المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الكتاب والسنة
شعبة التفسير وعلوم القرآن

المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور

من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران

جمعا ودراسةً ونقدا

بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن

إعداد الطالب:

أحمد بن محمد بن قاسم مذكور

الرقم الجامعي (٤٢٦٨٠٣١٤)

إشراف فضيلة الدكتور:

إسماعيل بن عبد الستار الميمني

١٤٢٩هـ - ٢٠٠٨م

بسم الله الرحمن الرحيم

ملخص الرسالة

عنوان الرسالة: (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعا ودراسةً ونقدا).

وتتكون من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس.

احتوت المقدمة على أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، إضافةً إلى الدراسات السابقة، ومنهج البحث، وخطته.

وأما التمهيد فاحتوى على تعريف علم المناسبات، وموضوعه وثمرته ونشأته، وموقف العلماء منه، إضافة إلى أهميته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه، كما احتوى على تعريف بالطاهر بن عاشور، وذلك من خلال ترجمته، وبيان أهم مراحل حياته، ومكانته العلمية، إلى جانب أهم مؤلفاته، وتاريخ وفاته، ثم تعريف بتفسيره التحرير والتنوير، وبيان موقفه من علم المناسبات، ومنهجه في إيرادها.

وأما الفصول الثلاثة فتضمنت دراسة المناسبات في سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران، وبيان أثرها، ويراد ا المناسبات بين آية وآية، وبين أجزاء الآية الواحدة، وبين مقطعٍ ومقطعٍ.

ثم الخاتمة واحتوت على أهم النتائج التي تم التوصل إليها، ومن أهمها أنّ علم المناسبات القرآنية علم ذو وجوه إعجازية وبيانِية وبلاغية متعددة، وأن بعض الصحابة ﷺ كانوا يشيرون إلى الربط بين بعض الآيات عند تفسيرها، وأن الطاهر بن عاشور كان ذا باعٍ طَويلٍ في هذا العلم، غير مقَلد ولا متكلف، وأنّ لكُل مناسبة أثَرا.

ثم ختمت الرسالة بفهارس كاشفة عن محتويا ا.

والحمد لله أولا وآخرا،،

الطالب

أحمد بن محمد بن قاسم مذكور

Abstract

This: (Connections and their effects in explaination of edition and illumination By Al Taher Bin Ashoor through surat Al Fateha; Al Baqarah; and Aal Emran) Collection; studying and criticism.

It Consists Of an introduction; preface; three chapters; conclusion and indexes.

The introduction included the subject importance; reasons of choice; in addition to previous studies; methodology and the plan.

The preface included a definition of the science of connections; its subject fruit and foundation; scientists situation; in addition to its importance and benefit. As it included sheikh Al Taher Bin Ashoor autobiography; the main stages in his life; his scientific position beside his most famous volumes; as it included a definition of editing and illumination explanation; illustration of Al Taher situation toward connections Science and his methodology in them.

The three chapters involved the study of connections in Surat Al Fateha; Al Baqarah; and Aal Emran and their effect; by which we mean the situations between two verses; the parts of only verse and between two syllables.

The Conclusion which involved the most important results that were achieved. The most important of them; the science of Quranic situations has rhetorical; eloquence; and miraculous faces. Some companions linked some verses when explanation; Al taher Bin Ashoor had a long span in this science; neither imitator nor affecter; and every situation has its effect.

Then; I ended the study with the indexes that recover it's contents.

"Thank Goodness firstly and finally"

Graduator: Ahmed Bin Mohammed Bin Kassem Mathkor

شكر وتقدير

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، أما بعد:

فلا يسعني إلا أن أتوجه إلى المولى ﷻ بالحمد والشكر الخالص الجزيل، على ما أنعم وأجزل، وامتـن به وتفَضلَ، فله الحمد في الأولى والآخرة، على ما أعانَ وسهلَ، وأسبل من النعمِ ويسر، وما لَطَف بِه وقَدر، له الحمد على أن أعانني على إتمام هذا البحث الذي أسأل الله تعالى أن يجعله عملا خالصا لوجهه الكريم، وأن يجعله قَبسا ينير دربا من دروب الباحثين والمطلعين.

ثم الشكر لوالدي الغاليين، فكم حرصا على تعليمي منذ نعومة أظفاري، وتشجيعي بشتى الوسائل، حتى غَرسا حب العلم في قلبي، ولم يبخلا علي بدعوا هما المستمرة لي، التي كانت تشد من عزمي وأزري، وأسأل الله تعالى أن يمن عليهما بالصحة والعافية، وأن يحفظهما ويبارك فيهما، وفي عمرهما.

والشكر موصولٌ لزوجتي اللتين ضحتا كثيرا، ولأبنائي الذين تجرعوا مرارة غيابي، ولأخوي اللذين وقفا جانبي طيلة فترة دراستي، ولأخواتي على ما بذلنه معي، ولجميع أهلي.

ثم الشكر والعرفان لفضيلة الشيخ الدكتور/ إسماعيل بن عبد الستار الميمني -رئيس قسم الكتاب والسنة سابقًا- الذي تفضل بالإشراف على هذا البحث، على ما أحاطني به من كريم اهتمامه، وخلاصة فكره وعلمه، وثمين وقته، ففرغ لي الساعات، موجها ومصوبا، ومشجعا، حرصا منه -رعاه الله- على أن يخرج البحث في أفضل صورة، فله الشكر الوفير، والاحترام والتقدير، وأسأل الله تعالى أن يمن عليه بالصحة والعافية، وأن يجزيه عني خير الجزاء.

كما أشكر جامعة أم القرى التي تكرمت بقبولي في مرحلة الماجستير.

والشكر موصولٌ لعمادة كلية الدعوة وأصول الدين ممثلةً بعميدها فضيلة الدكتور/ عبد الله بن محمد الرميان، ووكلائه الأفاضل.

ثم الشكر لقسم الكتاب والسنة ممثلا برئيسه فضيلة الدكتور/ غالب بن محمد الحامضي، وبأعضاء مجلس القسم الأكارم، الذين نهلت من علمهم الجم.

كما أشكر جامعةَ الـحديدة، ممثلةً برئيسها الأستاذ الدكتور/ قاسم بن محمد بريه، ونائبه الأستاذ الدكتور/ مهيوب بن عبد الرحمن سعيد، وقسم الدراسات الإسلامية والقرآن وعلومه بِكُلية التربية ممثلا برئيسه العلامة الأستاذ الدكتور/ إبراهيم بن إبراهيم القُريبِـي، وجميع أعضاء هيئة التدريس بالقسم، على ما أحاطوني به جميعا من رعاية واهتمامٍ وتشجيعٍ، وما بذلوه معي فترة ابتعاثي، سائلا المولى ﷻ أن يحفظهم جميعا، وأن يوفقهم لما يحب ويرضى.

كما أخص بالشكر فضيلة الدكتور/ أديب محمد شكور، الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية والقرآن وعلومه بكلية التربية بالحديدة، الذي استفدت من ملاحظاته وتوجيهاته العلمية القيمة.

وقبل الختام يسرني أن أتوجه بالشكر العميم إلى القائمين على المكتبات والجهات التي استفدت منها كثيرا في جمع مادة هذا البحث، وهي مكتبة الملك عبد الله بجامعة أم القرى، ومعهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ومكتبة الحرم المكي الشريف، ومكتبة جامع إمام الدعوة، والمكتبة المركزية بجامعة الـحديدة، ومكتبة كلية التربية بالحديدة.

وفي الختام أسأل الله تعالى أن يغفر لي تقصيري، ويتجاوز عني خطئي، فهذا الجهد المتواضع -لا شك- لم يخلُ من الخطأ والنقص والتقصير، فإن أصبت فمن الله تعالى، وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، كما أسأله تعالى أن ينفعني بما علمني، وأن يوفقني لما يحب ويرضى، وأن يجعل أعمالي خالصةً لوجهه الكريم، وأن يتقبلها مني، إنه بي وبالمؤمنين رؤوف رحيم.

الطالب

أحمد بن محمد بن قاسم مذكور

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذي أنزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيرا، والصلاة والسلام على من أرسله اللهُ شاهدا، ومبشرا، ونذيرا، صلاةً وسلاما متلازمين أبدا إلى يوم الدين. أما بعد:

فإنه لما كان القرآنُ الكريم أعظم الكتب المنـزلة وآخرها، وكان الحجةَ القاهرةَ التي قهر الله ا أعداءه بمختلف توجها م وأفكارهم، حتى سلّم له عقَلاء الغرب بالصدق والواقعية؛ كان الغوص في أسراره، والبحث في سورِه وآياته، من أشرف العلوم الشرعية.

ولتلك المكانة العظيمة للقرآن الكريم انطلق العلماء بكل شغف ينقبون عن كنوزه، ويتسابقون إلى إبراز مكامن إعجازه، ومن أولئك العلماء، علامةٌ فَذ، بذل الوقت والجهد في التأليف والتحقيق، فكان مثار إعجابٍ من علماء عصره، والعلماء من بعده، ذلك هو الشيخ الإمام محمد الطاهر بن عاشور (ت١٣٩٣هـ)، المفسر اللغوي الأصولي، وكان من أهم مؤلفاته: (تفسير التحرير والتنوير)، وهو تفسير بلاغي بياني لُغوي لا يغفل المأثور.

ولما لهذا التفسير من أهمية فقد تسابق الباحثون إلى البحث في جوانبه المتنوعة والمتعددة، خصوصا جوانب اللغة والبيان، ولما كان علم المناسبات يمثل أحد تلك الجوانب التي اهتم ا الطاهر بن عاشور في تفسيره، ولم يسبق لأحد من الباحثين -في حدود اطلاعي- أن تتبع المناسبات في ذلك التفسير، وأماط اللثام عما نتج عنها من آثار؛ رأيت أن يكون بحثي في هذا الموضوع من خلال ذلك التفسير، وأن أُبين أثر تلك المناسبات، فكان عنوان البحث: (المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، جمعا ودراسةً ونقدا).

هذا وأسأل الله العظيم، رب العرش الكريم، أن يوفقني وجميع زملائي لما يحب ويرضى.

◘ أهمية الموضوع:

تبرز أهمية الموضوع من خلال النقاط الآتية:

▫ يعد تفسير التحرير والتنوير من أجل التفاسير وأنفعها، حيث استفاد منه عدد كبير من الباحثين المتخصصين في التفسير وعلوم القرآن واللغة وغيرها.

▫ شهرة الطاهر بن عاشور العلمية، وقيمة مؤلفاته وكتاباته، وطول باعه في علم التفسير واللغة خاصةً.

▫ يعتبر علم المناسبات علما جليلا ذا قيمة علمية عالية، اهتم به الطاهر في تفسيره، واعتنى به أيما اعتناء، وله فيه اجتهادات قيمةٌ.

▫ استخلاص ما ورد من تناسب بين الآيات من خلال تفسير التحرير والتنوير يعتبر عملا ذا أهمية بالغة؛ كونه يستخلص علما جليلا ويجمعه بعد أن كان منثورا بين ثنايا ذلك التفسير.

▫ جاء اهتمام الطاهر بن عاشور ـذا العلم في تفسيره بعد جهود عدد من العلماء المتقدمين في هذا ا ال، مما منحه تميزا فيه، ومكنه من الاستفادة من جهودهم السابقة.

▫ كثرة الأقوال في بيان المناسبات بين الآيات، واختلافها من مفَسرٍ إلى آخر، وصلت إلى حد التكلف في بعض الأحيان، فأصبح هذا العلم بحاجة ماسة إلى دراسة تلك الأقوال وبيان أنسبها وألطفها بعيدا عن التكلف.

▫ يعتبر علم المناسبات من العلوم التي تعين المفسر على الوصول إلى المعنى الراجح للآية.

▫ يعين علم المناسبات على رد مزاعم المستشرقين الذين يشككون في ترابط أجزاء القرآن الكريم.

▫ أهمية الأثر الذي يترتب على استنباط المناسبة، وما ينبني عليه من توجيه للمعنى التفسيري، وأثر ذلك المعنى.

◙ أسباب اختيار الموضوع:

◘ جِدة هذا البحث، فلم أجد -في حدود اطلاعي- بحثًا تناول دراسةَ المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير ونقْدها.

◘ أن تفسير التحرير والتنوير قد عنِي به كثير من الباحثين من خلال جوانب متعددة، وبقيت جوانب مهمةٌ بحاجة إلى الاعتناء، ومنها دراسة المناسبات فيه، وبيان أثرها.

◘ تعلق موضوع البحث بمجال تخصصي تعلقًا مباشرا.

◙ الدراسات السابقة:

لم أدخر جهدا في البحث والتنقيب عن دراسة لعلم المناسبات من خلال تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، فكان كل ما وقفت عليه هي دراسات تناولته من جوانب مختلفة، وكان جلها دراسات لغوية وبلاغية، ومن تلك الدراسات:

١) الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير، هيا بنت ثامر بن مفتاح العلي. نشر: دار الثقافة، الدوحة، ١٩٩٤م.

٢) مباحث التشبيه والتمثيل في تفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، شعيب بن أحمد الغزالي، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

٣) المقاييس البلاغية في تفسير التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشـور، د. حواس بري، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٤) خصائص بناء الجملة القرآنية ودلالا ا البلاغية في تفسير التحرير والتنوير، إبراهيم بن علي الجعيد، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٥) أثر الدلالات اللغوية في التفسير عند الطاهر بن عاشور في كتابه التحرير والتنوير، مشرف بن أحمد بن جمعان الزهراني، رسالة دكتوراه، جامعة أم القرى.

٦) الإمام محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في توجيه القراءات من خلال تفسيره التحرير والتنوير، محمد بن سعد بن عبد الله القرني، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى.

◙ حدود البحث:

سيكون هذا البحث -بعون الله تعالى- مركزا على دراسة المناسبات وأثرها في تفسير التحرير والتنوير من خلال ثلاث سور، هي: الفاتحة، والبقرة، وآل عمران.

◙ خطة البحث:

يتكون البحث من مقدمة، وتمهيد، وثلاثة فصول، وخاتمة، وفهارس، وتفصيل ذلك كالآتي:

المقدمة: وفيها أهمية الموضوع، وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وحدود البحث، وخطته.

التمهيد: وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات، وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته.

المطلب الثاني: نشـ ـأته.

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات.

المطلب الرابع: أهميته، وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه.

المطلب الخامس: أنواع المناسبات.

المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف.

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير.

المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات.

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات.

الفصل الأول: سورة الفاتحة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها، وأغراضها.

المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن ا.

المبحث الثالث: المناسبات في آيا ا، وأثرها.

الفصل الثاني: سورة البقرة، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: المناسبات في آيا ا، وأثرها.

الفصل الثالث: سورة آل عمران، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: وجه تسميتها.

المبحث الثاني: أغراضها.

المبحث الثالث: المناسبات في آيا ا، وأثرها.

الخاتمة: وتتضمن أهم النتائج.

الفهارس: وتتضمن الآتي:

١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة.
٢) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.
٣) فهرس الآثار.
٤) فهرس الأعلام المترجم لهم.
٥) فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.
٦) فهرس القبائل.
٧) فهرس الأماكن والبلدان.
٨) فهرس الأبيات الشعرية.
٩) فهرس المصادر والمراجع.
١٠) فهرس الموضوعات.

◙ منهج البحث:

اتبعت المنهج الآتي في البحث:

- حصر المناسبات التي ذكرها الطاهر في سورة الفاتحة، والبقرة، وآل عمران.

- إيراد أقوال بعض المفسرين في تلك المناسبات، لموازنة أقوال الطاهر ا، وقد اعتمدت على خمسة تفاسير، هي:

١) مفاتيح الغيب لمحمد بن عمر فخر الدين الرازي (ت٦٠٦هـ).

٢) البحر المحيط لمحمد بن يوسف بن حيان الأندلسي أبو حيان (ت٧٤٥هـ).

٣) اللباب في علوم الكتاب لعمر بن علي الشهير بابن عادل الحنبلي، توفي بعد (٨٨٠هـ).

٤) نظم الدرر لإبراهيم بن عمر البقاعي (ت٨٨٥هـ).

٥) روح المعاني لمحمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي (ت١٢٧٠هـ).

▫ السبب في اختيار هذه التفاسير هو شهرة أصحا ا في الاهتمام بالمناسبات في تفاسيرهم، وقد اعتمدت في ترتيبهم عند نقل أقوالهم بنفس الترتيب الذي ورد آنفًا، والمستند في ذلك هو أقدمهم وفاةً.

▫ إيراد الآية أو الآيات التي ذكر الطاهر مناسبةً فيها، ثم إتباعها بكلامه، ثم بأقوال المفسرين، سواء وافقهم أم خالفهم.

▫ في حال موافقة الطاهر للمفسرين في بيان المناسبة فإني أورد أقوالهم، ثم أتبعها بتلخيصٍ جامعٍ لتلك المناسبة.

▫ في حال مخالفة الطاهر للمفسرين في بيان المناسبة فإني أستعرض جميع الأقوال معلقًا على ما يحتاج إلى تعليق، ثم أُبين الأنسب منها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

▫ أُبين أثر المناسبات، وأعني بالأثر دلالا ا وما يترتب على تلك الدلالات.

▫ بيان منهج الطاهر في إيراد المناسبات كان من خلال الجزء الذي حواه البحث، والمحصور في مناسبات سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران.

▫ الاعتماد على الرسم العثماني في كتابة الآيات القرآنية، بقراءة حفص عن عاصم.

▫ عند العزو إلى نص مكون من عدة صفحات فإن العزو يكون للصفحة التي فيها بداية ذلك النص.

▫ عزو الآيات القرآنية إلى رقمها ثم اسم السورة في الحاشية.

▫ إذا تكرر ذكر الآية في الصفحة نفسها أكتفي بعزوها في المرة الأولى.

▫ تخريج جميع الأحاديث الواردة في متن البحث، فما كان منها في الصحيحين أو أحدهما فأكتفي بتخريجها منهما دون غيرهما، وإن كان من غيرهما فأخرجها من مظا ا، ثم أذكر حكم العلماء عليها، وإن لم أجد فإني أدرس إسنادها في بطاقات خارجية ثم أُبين درجتها ما استطعت إلى ذلك سبيلا.

▫ عند تخريج الحديث أُبين اسم الكتاب والباب، ثم الجزء والصفحة، ورقم الحديث.

▫ اكتفيت في الآثار المروية عن الصحابة ﷺ والسلف بعزوها إليهم، وتخريجها من مظا ا قدر المستطاع.

▫ توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصلية، وذلك بذكر اسم المصدر مع اسم مؤلفه والجزء والصفحة في المرة الأولى التي يرد فيها ذكر المصدر، وإذا ورد المصدر مرة أخرى فلا أذكر اسم مؤلفه.

▫ المصادر التي تتشابه أسماؤها، ويختلف مؤلفوها أذكر اسم المصدر واسم مؤلفه في كل مرة تمييزا لها.

▫ اختصرت بعض أسماء المصادر عند العزو إليها بعد المرة الأولى، وهي:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن: جامع البيان

تفسير اللباب في علوم الكتاب: اللباب

نظم الدرر في تناسب الآي والسور: نظم الدرر

البرهان في علوم القرآن: البرهان

الإتقان في علوم القرآن: الإتقان

لباب النقول في أسباب الا ول: لباب النقول

الاستيعاب في معرفة الأصحاب: الاستيعاب

الإصابة في معرفة الصحابة: الإصابة

الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة: الدرر الكامنة

وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان: وفيات الأعيان

◘ الترجمة للأعلام الذين ذُكروا في متن البحث عند ذكرهم في المرة الأولى جميعا بلا استثناء، ترجمة موجزة، وعدم الترجمة للخلفاء الأربعة الراشدين ﷺ لشهر م، وعدم الإحالة إلى مكان الترجمة إذا ورد ذكر علَمٍ مرة أخرى، تخفيفًا على الحاشية.

◘ الإحالة إلى أهم مصادر الترجمة الأصلية.

◘ عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها، ومصادرها المعتبرة.

◘ التعريف بالأماكن من مصادرها المعتبرة.

◘ استخدمت الأنواع الآتية من الأقواس في متن البحث:

﴿ ﴾ للآيات القرآنية الكريمة.

{ } للأحاديث النبوية الشريفة.

(( )) للآثار والنصوص المنقولة.

◘ المعتمد في معرفة بيانات المصدر كاملة هو فهرس المصادر.

◘ إذا نقلت من مصدر ذي طبعة أخرى غير الواردة في فهرس المصادر والمراجع فإني أُشير إلى بيانا ا في مكان الإحالة منعا للالتباس.

◘ ضبط الألفاظ الـ مشكلة بالشكل.

◘ تذييل البحث بعشرة فهارس، اعتمدت فيها الترتيب الألف بائي، ما عدا فهرس الآيات القرآنية اعتمدت فيه ذكر اسم السورة، ورقم الآية، حسب ترتيب السور في المصحف الشريف.

والله أسأل العون والتوفيق.

التمهيد

وفيه ثلاثة مباحث

- المبحث الأول: مدخل إلى علم المناسبات
- المبحث الثاني: التحرير والتنوير، المؤلف والكتاب
- المبحث الثالث: منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

المبحث الأول

مدخل إلى علم المناسبات

وفيه خمسة مطالب

- المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته
- المطلب الثاني: نشــ ــأته
- المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات
- المطلب الرابع: أهميته، وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه
- المطلب الخامس: أنواع المناسبات

المطلب الأول: تعريفه، وموضوعه، وثمرته

تعريف علم المناسبات:

المناسبات لغة: جمع مناسبة، والمناسبة الـمشاكَلةُ، وناسب فلانا شركه في نسبِه وشاكلَه، يقَالُ: بينهما مناسبةٌ، ويقالُ: نـاسب الأمـر أو الشيءُ فلانـًا، أي لاءَمه ووافق مزاجه، والتناسب التشابه، والمقاربةُ، وفلانٌ يناسب فُلانا، أي يقرب منه ويشاكلُه، ومنه النسيب الذي هو القريب المتصلُ[١].

وعند الأصوليين: المناسبة في العلة في باب القياس، وهي تعيين العلة بمجرد إبداء المناسبة، مع السلامة عن القوادح[٢].

وعند البلاغيين: هو الترتيب للمعاني المتآخية التي تتلاءم ولا تتنافر[٣].

وفي **اصطلاح المفسّرين:** هو علم تعرف منه عِلَلُ ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما اقتضاه من الحال، وتتوقف الإجادةُ فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها[٤].

وعرفه ابن العربي[٥]بقوله: ((ارتباط آي القُرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني علم عظيم، لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، مادة (نسب)، باب الباء، فصل النون (١٧٥/١)؛ مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، باب النون (٦٥٦)؛ المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، باب النون (٩٥٦/٢).

(٢) ينظر: المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الرازي (٢١٧/٢)؛ إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني (٦٢٥/٢).

(٣) المعجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب: د. إنعام عكّاوي (ص٤٣٠).

(٤) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (٥/١).

(٥) محمد بن عبد الله بن محمد بن عبد الله بن أحمد الإمام أبو بكر بن العربي المعافري الأندلسي الحافظ، أحد الأعلام، ولد سنة (٤٦٨هـ)، كان من أهل التفنن في العلوم، والجمع لهـا، (ت٥٤٣هـ). ينظر: طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (ص٩٠)؛ طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي (ص١٨٠)؛ سير أعلام النبلاء، شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (١٩٧/٢٠).

فيه سورة البقرة[١]، ثم فتح الله لنا فيه، فلما لم نجد له حملة، ورأينا الخلق بأوصاف البطَلَة؛ ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله ورددناه إليه))[٢].

وعرفه الزركشي[٣]بقوله: ((المناسبة أمر معقُولٌ، إذا عرض على العقول؛ تلَقته بالقَبول))[٤].

ومن خلال هذه التعريفات يمكن القول بأن علم المناسبات علم يعنى بالبحث في أسرار ترابط الآيات وأجزائها، وترابط السور ببعضها، انطلاقًا من مقاصدها وأغراضها، للوصول إلى اتساق معانيها، وانتظام مبانيها.

موضوعه: أجزاء الشيء المطلوب علم مناسبته من حيثُ الترتيب.

هذا بالنسبة لموضوع علم المناسبات عموما، أما علم مناسبات القرآن الكريم فموضوعه السور والآيات القرآنية.

ثمرته: الاطلاع على الرتبة التي يستحقّها الجزء بسبب ما له بما وراءه، وما أمامه من الارتباط والتعلق، الذي هو كلُحمة النسبِ[٥]، وبــه يرســخ الإيمان في القلب، ويتمكّن من اللب، وذلك أنه يكشف أن للإعجاز طريقين: أحدهما: نظْم كل جملة على حيالها بحسب التركيب، والثّاني: نظْمها مع أختها بالنظَر إلى الترتيب، والأول أقرب تناولا وأسهل ذوقًا[٦].

---

(١) لم أقف على اسم هذا العالم.

(٢) البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن ادر الزركشي (٣٦/١)؛ الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (٩٧٦/٢)، نقلا عن ابن العربي من كتابه "سراج المريدين".

(٣) محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي الموصلي الشافعي بدر الدين، ولد سنة (٧٤٥هـ)، ألّف تصانيف كثيرة في عدة فنون، (ت٧٩٤هـ). ينظر: طبقات المفسرين، محمد بن علي الداوودي (١٦٢/٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٣٠٢)؛ طبقات الشافعية، أبو بكر بن أحمد بن قاضي شهبة الأسدي الشافعي (١٦٧/٣).

(٤) البرهان (٣٦/١).

(٥) نظم الدرر (٥/١).

(٦) المصدر نفسه (١٠/١).

المطلب الثاني: نشأته

أدرك فصحاءُ العربِ وبلغاؤهم تناسب القرآن الكريم منذ فترة تنـزله، مع أ م استهزؤوا به، ووسموه بالسحر وبأساطيرِ الأولين، وكان الدافع لأقوالهم تلك هو العناد والمكابرة.

ومما يدل على ذلك موقف الوليد بن المغيرة[1] بعد سماعه القرآن الكريم من الرسول ﷺ، حيث علم أبو جهل[2] بذلك فأتاه فقال: يا عم إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا، قال: لم؟ قال: ليعطوكه، فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله، قال: قد علمت قريش[3] أني من أكثرها مالا، قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له، أو أنك كاره له، قال: وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزٍ[4] ولا بقصيدة مني، ولا بأشعار الجن، والله ما يشبه الذي يقول شيئًا من هذا، ووالله إنّ لقَوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنـــه ليحطّم فاتحته، قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكّر، فلما فكّـــر قال: هذا سحر يؤثر، يأثُره عن غيره، فـ لت: ﴿ ذَرۡنِي وَمَنۡ خَلَقۡتُ وَحِيدٗا ﴾[5].

---

(١) هو الوليد بن المغيرة بن عبد الله من بني مخزوم، والد الوليد وخالد رضي الله عنهما، من ألد أعداء الرسولﷺ ، مات مشركًا في السنة الأولى من الهجرة بمكة. ينظر: سيرة ابن هشام، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المصري (٢٥٦/٢)؛ السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٣٤١/٢).

(٢) أبو جهل عمرو بن هشام بن المغيرة القرشي المخزومي،كان يكنى أبا الحكم فكناه رسولُ الله ﷺ أبا جهل فذهبت، كان شديد العداوة لرسول الله ﷺ، أجهز عليه عبد الله بن مسعود ﷺ يوم بدر. ينظر: سيرة ابن هشام (٣٠٥/٥)؛ الروض الأنف في شرح السيرة النبوية لابن هشام، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (١٧٦/٢).

(٣) قريش: من أشهر القبائل العربية، وأفصحها لسانا، اشتهرت بالتجارة. ينظر: كتاب المنمق، محمد بن حبيب البغدادي (ص٢)؛ قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي (ص١٣٧).

(٤) الرجز: إنشاد الشعر في مواطن الحرب والمفاخرة، وهو بحر من بحوره عند العروضيين. ينظر: القسطاس في علم العروض، محمود بن عمر جار الله الزمخشري (ص٩٨).

(٥) الآية (١١) من سورة المدثر، وأخرج هذه الرواية الحاكم في مستدركه عن ابن عباس رضي الله عنهما، وقال: ((هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه))، وقال الذّهبي: ((على شرط البخاري)). المستدرك، الإمام الحاكم أبو عبد الله محمد بن عبد الله، تعليق الإمام الذّهبي،كتاب التفسير، تفسير سورة المدثر (٥٥٠/٢)، رقم [٣٨٧٢].

إن اعتراف الوليد بن المغيرة لَيدل دلالةً واضحة على تأثير القرآن الكريم على النفس البشرية وإن كانت كافرة، وهذا التأثير إن دلّ على شيء فإنما يدلّ على روعة القرآن وسلاسته وترابطه، وقُوة إعجازه البلاغي.

وأخرج ابن جرير[١] في تفسيره عن ابن عباس[٢] رضي الله عنهما قال: أتى رسول الله ﷺ ابن مشكم[٣] في عامة من يهود سماهم، فقالوا: أخبرنا يا محمد هذا الذي جئت به، حق من عند الله عز وجل؟ فإنا لا نراه متناسقًا كما تناسق التوراةُ، فقال لهم رسول الله ﷺ: {أما والله إنكم لتعرفون أنه من عند الله تجدونه مكتوبًا عندكم، ولو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله ما جاؤوا به}[٤].

---

(١) محمد بن جرير بن يزيد بن كثير الطبري الإمام أبو جعفر، رأس المفسرين على الإطلاق، ولد بآمل سنة (٢٢٤هـ)، كان حافظًا لكتاب الله، بصيرا بالمعاني، فقيها في أحكام القرآن، له جامع البيان في تفسير القرآن، وهو أجل التفاسير، وتاريخ الأمم، وتهذيب الآثار، وغير ذلك من المؤلفات، (ت٣١٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي (ص٨٢)؛ طبقات المفسرين، الداوودي (١١٠/٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (٤٨).

(٢) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، ابن عم رسول الله ﷺ، ولد قبل الهجرة بثلاث سنين، ودعا له رسول الله ﷺ بالفهم في القرآن، وهو أحد المكثرين من الصحابة ﷺ، دعا له الرسول ﷺ بالحكمة والفقه والتأويل، (ت٦٨هـ) بالطائف. ينظر: الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر (٦٧/٣)؛ أسد الغابة، أبو الحسن علي الجزري ابن الأثير (١٨٦/٣)؛ الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (٣٣٠/٢).

(٣) هو سلام بن مشكم [بتشديد اللام] من رؤساء اليهود في المدينة، وسيد بني النضير في زمانه. ينظر: سيرة ابن هشام (٣١١/٣)؛ السيرة النبوية لابن كثير (٥٤٠/٢).

(٤) جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطّبري (٥٤٧/١٧)؛ وقد روى الطبري هذا الحديث قال: حدثنا أبو كريب، قال: ثنا يونس بن بكير، قال: ثنا محمد بن إسحاق، قال: ثنا محمد بن أبي محمد مولى زيد بن ثابت، قال: ثني سعيد بن جبير أو عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ضعيف فيه يونس وهو "صدوق يخطئ". تقريب التهذيب، أحمد بن حجر العسقلاني، (ص١٠٩٨) رقم [٧٩٥٧]، وفيه محمد بن أبي محمد وهو "مجهول". تقريب التهذيب، (ص٨٩٤) رقم [٦٣١٦]؛ وذكره جلال الدين عبد الرحمن السيوطي في لباب النقول في أسباب النزول (ص١٤٠).

وقال ابن مسعود[١] رضي الله عنه: ((إذَا سألَ أحدكُم صاحبه كَيف يقْرأُ آيةَ كَذَا وكَذَا؛ فَلْيسألْه عما قَبلَها))[٢].

يريد -والله أعلم- أن ما قبلها يدله على تحرير لفظها بما تدعو إليه المناسبة.

وعن جابر بن عبد الله[٣] رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول بأُذني هاتين -وأشار بيده إلى أُذنيه-: {يخرج اللهُ قوما من النارِ فَيدخلُهم الجنة}، فقال له رجل: إن الله يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا﴾[٤]، فقال جابر بن عبد الله: إنكم تجعلون الخاص عاما، هذه للكفار، اقرؤوا ما قبلها، ثم تلا: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُواْ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[٥]، هذه للكفار[٦].

---

(١) أبو عبد الرحمن عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي، أول من جهر بالقرآن بمكة، شهد بدرا وأُحدا والخندق وبيعة الرضوان وسائر المشاهد مع رسول الله ﷺ، شهد له رسول الله ﷺ بالجنة، (ت٣٢هـ). ينظر: الاستيعاب (١١٠/٣)؛ أسد الغابة (٢٨٠/٣)؛ الإصابة (٣٦٨/٢).

(٢) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، باب تعاهد القرآن ونسيانه (٣٦٥/٣)، رقم [٥٩٨٨]؛ وأخرجه الطبراني في المعجم الكبير، باب العين (١٤٠/٩)، رقم [٨٦٩٣] بلفظ: ((إذا شك أحدكم في الآية فلا يقول: ما تقول في كذا وكذا؟ فيلبس عليه، ولكن ليقرأ ما قبلها ثم ليخل بينه وبين حاجته)). قال الهيثمي: "رجاله ثقات إلا أنه منقطع". مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، باب في حسن السؤال والتودد (١٦٠/١).

(٣) جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلمي، صحابي ابن صحابي رضي الله عنهما، غزا تسع عشرة غزوة، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين سنة. ينظر: الاستيعاب (٢٩٣/١)؛ أسد الغابة (٣٠٧/١)؛ الإصابة (٢١٢/١).

(٤) الآية (٣٧) من سورة المائدة.

(٥) الآية (٣٦) من سورة المائدة.

(٦) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب صفة النار وأهلها (٥٢٦/١٦)، رقم [٧٤٨٣]، قال شعيب الأرنؤوط: ((إسناده صحيح على شرط مسلم)).

وذكر الزركشي أن أول من أظهر علم المناسبات هو أبو بكر النيسابوري[١]، وكان يزري[٢]على علماء بغداد لجهلهم وجوه المناسبات بين الآيات، وكان يقول إذا قرئت عليه الآية أو السورة: ((لمَ جعلَت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السـورة إلى جنب هذه السورة؟))[٣]، أما أول من وضع مصطلح (المناسبة) لهـذا الفن فليس معلـوما، إلا أنه يمكن القول إن أول من استخدم هذا المصطلح هو الرازي[٤]عند تفسيره لآخر سورة المائدة، وكلامه عن مناسبة آخر السورة لافتتاحيتها[٥].

ومن خلال استعراض ما سبق يتبين أن نشأة علم المناسبات وتطبيقها على القرآن الكريم أثناء بيان مراده مرتبطة بالزمن الذي بدأ فيه تنـزل القرآن الكريم، منذ كان الرسول ﷺ في مكة قبل الهجرة، وقصة الـوليد بن المغيرة تدل على ذلك دلالةً واضحةً، كما نلاحظ أيضا تناول الصحابة ﷺ لهذا العلم الشريف، من خلال تفسيرهم لبعض الآيات، وربطها بما قبلها، وإن لم يشيروا إلى مصطلح (المناسبة)

---

(١) عبد الله بن محمد بن زياد بن واصل، أبو بكر النيسابوري الحافظ الفقيه الشافعي مولى آل عثمـان بـن عفان، كان إمام عصره في الشافعية بالعراق، توفي سنة أربع وعشرين وثلاثمائة. ينظر: سير أعلام النـبلاء (٦٥/١٥)؛ الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفَدي أبو الصفاء (٤٨٠/١٧).
وفي ترجمة أبي بكر النيسابوري خلاف ذكره الدكتور/ عبد الحكيم أنيس في بحثه: (أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية) الذي نشر في مجلة الأحمدية، العدد (١١).

(٢) زرى عليه فعله أي عابه، والإزراء التهاون بالشيء، و ازدراه أي حقـره. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (زرى)، باب الواو والياء، فصل الزاي (٤٩٠/٤)؛ مختار الصحاح، باب الزاي (٢٧١)؛ المعجم الوسيط، باب الزاي (٤١٨/١).

(٣) البرهان (٣٦/١).

(٤) محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي الإمام فخر الدين الرازي القرشي الشافعي المفسر المتكلم، ولد سنة (٥٤٤هـ)، قال ابن خلكان فيه: ((فريد عصره، شهرته تغني عن استقصاء فضائله))، له التفسير الكبير، وإعجاز القرآن، ومناقب الشافعي، وغير ذلك، (ت٦٠٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين، السيوطي (ص١٠٠)؛ طبقات المفسرين، الداوودي (٢١٥/٢)؛ طبقات الشافعية (٦٥/٢).

(٥) قال الرازي عند تفسيره آخر سورة المائدة: ((فمفتتح السورة من الشريعة، ومختتمها بذكر كبرياء الله وجلاله وعزته، وقدرته، وعلُوه، وذلك هو الوصول إلى مقام الحقيقة، فما أحسن المناسبة بين ذلك المفتتح، وهذا المختتم)). مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي (١٣٩/١٢).

بالاسم، كما يؤيد ذلك استدلالُ أبي بكر الصديق ﷺ على قتال مانعي الزكـاة بسبب اقترا ا بالصلاة في القرآن الكريم[1]، وكلام الصحابي الجليل ابن مسعود ﷺ.

ولا يكاد يخلو كتاب من كتب التفسير المتقدمة والمتأخرة من الإشارة إلى ربط الآيات ببعضها وإن لم يصرح مؤلفوها بمصطلح المناسبة.

(١) أخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما من حديث أبي هريرة ﷺ قال: لما توفي رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب؛ قال عمر بن الخطاب لأبي بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ: {أُمرت أنْ أقاتلَ الناس حتى يقُولُوا لا إله إلا الله، فَمن قَالَ لا إله إلا الله؛ عصم مني ماله ونفْسه إلا بحقه وحسابه على الله}؟ فقال: والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عقالا كانوا يؤدونه إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعه، فقال عمر: فوالله ما هو إلا أن رأيت الله قد شرح صدر أبي بكر للقتال فعرفت أنه الحق. صحيح البخاري، محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ (٢٢٧٤/٤)، رقم [٧٢٨٤]؛ صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (٥٧/١)، رقم [٢٠].

المطلب الثالث: موقف العلماء من علم المناسبات

انقسم العلماء حول علم المناسبات بين الآيات والسور إلى فريقين، وسوف أعرض آراءهم، مع ذكر أدلة كل فريق، ثم سأبين الراجح بإذن الله تعالى.

أ - القائلون بوجود التناسب بين الآيات والسور:

تعد مناسبة الآيات والسور، وارتباط مبانيها، من وجوه إعجاز القرآن الكريم، ويعد الإمام أبو بكر النيسابوري أول من دعا إلى هذا العلم، وكان متفقها في الشريعة والأدب، وقد تقدم أنه كان يقول: ((لم جعلت هذه الآية إلى جنب هذه؟ وما الحكمة في جعل هذه السورة ملاصقة للأخرى؟ وكان يلقي باللائمة على علماء بغداد لإهمالهم علم المناسبات))[١].

والمتدبر لكتاب الله تعالى يجد أنه على الرغم من نزوله مفَرقًا، إلا أنه اكتمل مترابطًا محكما.

كما قال به ابن العربي، حيث قال في كتابه: "سراج المريدين": ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة، متسقة المعاني، منتظمة المباني، علم عظيم،لم يتعرض له إلا عالم واحد عمل فيه سورة البقرة، ثم فتح الله -عز وجل- لنا فيه، فلما لم نجد له حملةً، ورأينا الخلق بأوصاف البطَلَة ختمنا عليه، وجعلناه بيننا وبين الله، ورددناه إليه))[٢].

واهتم به الإمام فخر الدين الرازي، الذي ضمنه تفسيره مفاتيح الغيب.

وقال به الإمام برهان الدين البقاعي[٣]، حيث قال: ((علم مناسبات القرآن علم تعرف منه علل ترتيب أجزائه، وهو سر البلاغة لأدائه إلى تحقيق مطابقة المعاني لما

---

(١) يراجع (ص٢٣) من البحث.

(٢) يراجع (ص١٨) من البحث.

(٣) إبراهيم بن عمر بن حسن الرباط ابن علي بن أبي بكر برهان الدين،كنى نفسه بأبي الحسن الخرباوي البقاعي، نزيل القاهرة، ثم دمشق، صاحب المناسبات، ولد تقريبـًا سنة (٨٠٩هـ) بقرية خربـة روحـا، (ت٨٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٣٤٧).

اقتضاه الحال، وتتوقف الإجادة فيه على معرفة مقصود السورة المطلوب ذلك فيها، ويفيد ذلك معرفة المقصود من جميع جملها، فلذلك كان هذا العلم في غاية النفاسة، وكانت نسبته من علم التفسير، نسبة علم البيان من النحو[١]))[٢].

ويقول الشيخ الطاهر بن عاشور[٣]: ((وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض، وهو منـزع جليلٌ، قد عنِي به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى: "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، إلا أ ما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع))[٤].

ومن خلال ما سبق يتبين أن عددا من العلماء المتقدمين والمتأخرين يقولون بوجود التناسب بين الآيات والسور، مع العلم أن علماء آخرين -غير الذين ذُكروا- قالوا ذا القول.

(١) علم البيان يهتم بدراسة حسن تركيب الجمل وقُبحها، أما علم النحو فيهتم بدراستها من حيث صحتها وفسادها.

(٢) يراجع (ص١٨) من البحث.

(٣) محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور، من علماء تونس، صاحب تفسير التحرير والتنـوير، وكتاب مقاصد الشريعة الإسلامية، ولد سنة (١٢٩٦هـ)، وكانت وفاته سنة (١٣٩٣هـ). وسـتأتي ترجمته كاملة في المبحث الثاني من هذا الفصل بإذن الله تعالى. ينظر: تراجم المؤلفين التونسـيين، محمـد محفوظ (٣٠٤/٣)؛ من أعلام الزيتونة شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، د.بلقاسـم الغـالي (ص٦٨،٨٩).

(٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور (٨/١).

ب - المعارضون لوجود التناسب بين الآيات والسور:

ورد عن بعض العلماء معارضةٌ لهذا الفن، بزعم أنه تكلّف محض، وكان من أبرزهم سلطان العلماء العز بن عبد السلام[١]، والإمام المفسر محمد بن علي الشوكاني[٢].

قال العز بن عبد السلام: ((واعلم أن من الفوائد أن من محاسن الكلام أن يرتبط بعضه ببعض، ويتشبث بعضه ببعض، لئلا يكون مقطّعا متبرا، وهذا بشرط أن يقع الكلام في أمر متحد، فيرتبط أوله بآخره، فإن وقع على أسباب مختلفة، لم يشترط فيه ارتباط أحد الكلامين بالآخر، ومن ربط ذلك فهو متكلف، لما لم يقدر عليه إلا بِربط ركيك، يصانُ عن مثله حسن الحديث، فضلا عن أحسنه، فإن القرآن نزل على الرسول ﷺ في نيف[٣]وعشرين سنة، في أحكام مختلفة، شرعت لأسباب مختلفة غير مؤتلفة، وما كان كذلك لا يتأتى ربط بعضه ببعض، إذ ليس يحسن أن يرتبط تصرف الإله في خلقه وأحكامه بعضه ببعض، مع اختلاف العلل والأسباب))[٤].

ثم أخذ يضرب أمثلة لذلك.

فسلطان العلماء لم يعارض وجود المناسبة والترابط بين الكلام، لكنه اشترط أن يقع الكلام في أمر متحد، وما عدا ذلك فهو يراه أمرا متكلّفًا.

---

(١) عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن، شيخ الإسلام وبقية الأعلام، الشيخ عز الدين أبو محمد السلمي الدمشقي الشافعي، ولد سنة سبع أو ثمان وسبعين وخمس مائة، كان ناسكًا ورعا أمارا بالمعروف، ناهٍ عن المنكر، لا يخاف في الله لومة لائم، توفي سنة (٦٦٠هـ). ينظر: الوافي بالوفيات، (٥٢٠/١٨)؛ طبقات الشافعية (١٠٩/٢).

(٢) محمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني، فقيه مجتهد من كبار علماء اليمن، من أهل صنعاء، ولد بـهجرة شوكان من بلاد خولان باليمن سنة (١١٧٣هـ)، كان يرى تحريم التقليد، له نحو (١١٤) مؤلفًا، من أشهرها "فتح القدير" في التفسير، (ت١٢٥٠هـ). ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني (١٠٨٢/٢)؛ الأعلام، خير الدين الزركلي (٢٩٨/٦).

(٣) النيف: الزائد على العقد من واحد إلى ثلاثة، القاموس المحيط، مادة: (نيف)، باب الفاء، فصل النون (٢٧٣/٣)؛ مختار الصحاح، باب النون (ص٦٨٧)؛ المعجم الوسيط، باب النون (١٠٠٥/٢).

(٤) الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام (ص٢٢١).

أما الإمام الشوكاني فقد أنحى باللوم، بل بالتقريع على أئمة التفسير القائلين بالتناسب في القرآن الكريم، وأطال في الاستدلال لرأيه، وذلك عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَنِّي فَضَّلۡتُكُمۡ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾[1]، فقال: ((اعلم أن كثيرا من المفسرين جاؤوا بعلم متكلف، وخاضوا في بحر لم يكلفُوا سباحته، واستغرقوا أوقا م في فن لا يعود عليهم بفائدة، بل أوقعوا أنفسهم في التكلم بمحض الرأي المنهي عنه في الأمور المتعلقة بكتاب الله سبحانه، وذلك أ م أرادوا أن يذكروا المناسبة بين الآيات القرآنية، المسرودة على هذا الترتيب الموجود في المصاحف، فجاؤوا بتكلفات وتعسفات يتبرأُ منها الإنصاف، ويتنـزه عنها كلام البلغاء، فضلا عن كلام الرب سبحانه))[2].

إن رأي الإمام الشوكاني يستلزم مناقشته مناقشةً مستفيضة؛ كونه يمثل الاتجاه المقابل للقائلين بالتناسب بين الآيات.

ولكن لا بد من إدراك أن للمناسبة فوائد جمةً، إذ أ ا تساعد في ترجيح رأي على آخر إذا تساويا في القوة، وكان أحدهما أليق بارتباط أجزاء الآية، أو الآيات، فإن العقل يتوجه بداهة لترجيح ما هو الأولى بنظم الكلام، وإن ما ذمه الشوكاني من التكلف في هذا العلم لا شك أنه ذم في محله، إذ التكلف غير مقبول عموما.

أما قوله بأن فن المناسبة كلام بمحض الرأي المنهي عنه ففيه مبالغة، لأن الرأي المنهي عنه هو الرأي الناشئ عن الهوى، أو غير الملتزم بضوابط التفسير.

قال الإمام الشاطبي[3]: ((إعمال الرأي في القرآن جاء ذمه، وجاء أيضا ما يقتضي إعماله...فما كان موافقًا كلام العرب، والكتاب والسنة؛ فهذا لا يمكن إهمال مثله

---

(١) الآية (٤٧) من سورة البقرة.

(٢) فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني (١٧١/١).

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشـاطبي صـاحب (الموافقـات)، و(الاعتصام)، وغير ذلك، (ت٧٩٠هـ). ينظر: الأعلام (٧٥/١)؛ معجم المؤلفين، عمر رضا كحالـة (٧٧/١).

لعالم ـما، أما الرأي غير الجاري على موافقة العربية، أو غير الجاري على الأدلة الشرعية؛ فهذا هو الرأي المذموم المنهي عنه))[١].

كما أن ذكر المناسبة بين الآيات والسور ليس تكلّما بمحض الرأي، بل يبرز الوحدة المعنوية بين آيات وسور الكتاب العزيز، ويرسخ الاعتقاد بإعجاز القرآن الكريم، لما يبديه هذا العلم من لطائف القرآن وأسراره، كما أنه يعزز رأي العلماء الذين يرون أن ترتيب السور توقيفي، لا اجتهاد فيه.

أما قوله: ((فقد جاؤوا بتكلفات وتعسفات...))؛ ففيه حيف على المفسرين، فما أكثر المناسبات البديعة التي يقبلها العقل، ويطرب لها الذوق، وإذا قمنا برفض أي علم لأخطاء وقعت فيه، لما بقي لنا علم.

وقد خالف جمهور الأمة أصحاب هذا الرأي، ووهموا قائليه، وأكدوا وجود التناسب بين الآيات والسور.

ومن خلال استعراض رأي الفريقين يتبين أن القول الأول -وهو القول بالتناسب بين الآيات والسور- هو القول الراجح، كون التناسب بين الآيات قد أشار إليه بعض الصحابة عند تفسيرهم للقرآن الكريم، مثل الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، وجابر بن عبد الله ﵄، إلى جانب أن كثيرا من المفسرين اعتنوا ـذا العلم في تفاسيرهم، وأقره جمع كبير من العلماء؛ لأنه يبرز وجها مهما من وجوه إعجاز القرآن.

كما أن الإمام الشوكاني قد أشار في تفسيره إلى التناسب[٢]، مما يدلّ دلالة واضحة أن التناسب له ارتباط وثيق بالتفسير، ولا يمكن للمفسر إغفاله وإن ذمه، بل نجده يثني على الإمام البقاعي، وعلى كتابه نظم الدرر حيث قال: ((ومن أمعن النظر في كتابه

---

(١) الموافقات في أصول الفقه، إبراهيم بن موسى اللخمي (٢٧٦/٤).

(٢) قال -رحمه الله- عند تفسيره لقوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية. [البقرة: ٢٥]: ((لما ذكر تعالى جزاء الكافرين؛ عقّبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب، والوعد والوعيد، كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز، لما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه)). فتح القدير (١٤٢/١).

المترجم له في التفسير، الذي جعله في المناسبات بين الآي والسور؛ علم أنه من أوعية العلم المفرطين في الذكاء، الجامعين بين علم المعقول والمنقول، وكثير ما يشكل عليّ شيء في الكتاب فأرجع إلى مطولات التفسير ومختصرا ا فلا أجد ما يشفي، وأرجع إلى هذا الكتاب -نظم الدرر- فأجد فيه ما يفيد في الغالب))(١).

إن إمعان النظر في كلام كل من الإمامين، العز بن عبد السلام، والشوكاني؛ يظهر فرقًا بينهما، فالعز بن عبد السلام يقر بالمناسبات إلا أنه يمنع التكلّف في طلبها، والإمام الشوكاني يردها جملةً وتفصيلا، ويعتبر طلبها تعديا على القرآن الكريم.

وبين القولين فرق شاسع.

لكن لماذا التباين في موقف الإمام الشوكاني من المناسبات؟ ألم يشن هجمةً قويةً على القائلين بالتناسب مرة، ويثني على كتاب نظم الدرر المهتم بالتناسب بين الآيات والسور تارة أخرى؟!

ألم يعتبر طلب المناسبة تكلّفًا ورأيا محضا، ثم يوردها بين الآيات في تفسيره؟!

إن هذا التباين في موقفه -رحمه الله- يستوجب وقفة تأمل، ولعل الجواب الذي يلتئم مع الواقع، هو أن الإمام الشوكاني لما رأى البعض يتكلف في طلب التناسب بين الآيات والسور؛ خشي من خروج المفسرين إلى أغراض ثانوية على حساب الغرض الأساسي للتفسير؛ فَشن تلك الهجمة عليهم، ولكنه لما شرع في تفسيره -فتح القدير- لم يغفل الربط بين بعض الآيات، وكأنه يقول بلسان الحال: إن الممنوع في طلب المناسبة هو التكلف في طلبها إذا لم تكن ظاهرة، وتحميل القرآن ما لا يحتمل، أما إذا كانت متبادرة إلى الذهن فلا مانع من بيا ا. والله تعالى أعلم.

---

(١) البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني (١٩/١).

المطلب الرابع : أهمّيته وفائدته، وأشهر المؤلفات فيه

تبرز أهمّية علم المناسبات من خلال الآتي :

١- كونه يمثل نوعا فريدا من أنواع الإعجاز البلاغي والبياني للقرآن الكريم .

٢- يعد من أهم قواعد التفسير التي اعتمد عليها المفسرون في اختيارا م[١].

٣- قال أبو بكر ابن العربي: ((ارتباط آي القرآن بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني علم عظيم))[٢].

٤- قال الزركشي: ((واعلم أن المناسبة علم شريف تحرز به العقول، ويعرف به قدر القائل فيما يقول))[٣].

٥- قال الباقلاني[٤]: ((فأما ج القرآن ونظمه وتأليفه ورصفه فإن العقول تتيه في جهته، وتحار في بحره، وتضل دون وصفه))[٥].

٦- قال مسلم بن يسار[٦]: ((إذا حدثت عن الله فقف حتى تنظر ما قبله وما بعده))[٧].

---

(١) ينظر: قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي الحربي (١٢٥/١).

(٢) يراجع (ص١٨) من البحث.

(٣) البرهان (٣٥/١).

(٤) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر بن القاسم البصري القاضي أبو بكر الباقلاني المتكلم الأشعري، سكن بغداد وتوفي ا سنة (٤٠٣هـ)، من تصانيفه: إعجاز القرآن، والانتصار. ينظر: وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان (٢٦٩/٤)؛ سير أعلام النبلاء (١٩٠/١٧)؛ الوافي بالوفيات (١٧٧/٣).

(٥) إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب بن محمد الباقلاني (ص١٩٧).

(٦) هو مسلم بن يسار البصري أبو عبد الله، تابعي ثقة، توفي في خلافة عمر بن عبد العزيز سنة مائة، وقيل إحدى ومائة. ينظر: ذيب التهذيب، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٦٤/٨)؛ سير أعلام النبلاء (٥١٠/٤).

(٧) تفسير القرآن العظيم، الحافظ إسماعيل بن كثير (١٣/١).

٧- قال صالح بن كيسان[١] -مستدلا على صحة قوله في تفسير قولـه تعـالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾[٢]- : ((إنما يراد ا الكافر، اقـرأ مـا بعدها يدلك على ذلك))[٣].

٨- قال الدكتور محمد دراز[٤]:((لعمري لئن كانت للقـرآن في بلاغـة تعـبيره معجزات، وفي أساليب تربيته معجزات، وفي نبوءاته الصادقة معجزات، وفي تشريعاته الخالدة معجزات، وفي كل ما استخدمه من حقائق العلوم النفسـية والكونية معجزات ومعجزات، لعمري إنه في ترتيب آيه على هذا الوجه لهو معجزة المعجزات))[٥].

وجميع ما سبق يؤكد أهمية هذا العلم الشريف ومكانته، ولذلك جعله كثير من السلف معينا لهم على فهم معاني الكثير من الآيات التي أشكل عليهم معناها.

فائدته:

١- دحض شبه المفترين على كتاب الله تعالى بالادعاءات الكاذبة المشككة في تمام القرآن، وإثبات أن القرآن الكريم لا نقص فيه ولا تحريف، وذلك من خلال ترابط آياته دون أي خلل.

٢- المساعدة على فهم كتاب الله تعالى، وبيان المراد من الآية، ورفع اللبس عن قصدها.

٣- إبراز وجه مهم من وجوه إعجاز القرآن الكريم وبلاغته.

٤- توجيه الإنسان إلى التدبر والتفكر في كتاب الله ﷻ.

---

(١) صالح بن كيسان، أبو محمد، ويقال أبو الحارث، الإمام الحافظ الثقة، رأى عبد الله بن الزبير، وعبد الله بن عمر رضي الله عنهما، كان يؤدب أولاد عمر بن عبد العزيز، مات بعد الأربعين ومائة. ينظر: تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي (١٤٨/١)؛ سير أعلام النبلاء (٤٥٤/٥)؛ الوافي بالوفيات (٢٦٨/١٦).

(٢) الآية (٢١) من سورة ق.

(٣) جامع البيان (١٦٢/٢٦).

(٤) محمد بن عبد الله دراز، فقيه متأدب مصري أزهري، كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر، له عدد من المؤلفات (ت١٣٧٧هـ). ينظر: الأعلام (٢٤٦/٦)؛ معجم المؤلفين (٤٣٨/٣).

(٥) النبأ العظيم، د. محمد عبد الله دراز (ص٢١١).

أشهر المؤلفات فيه:

ألف عدد من العلماء -المتقدمين والمتأخرين- مؤلفات عديدةً عنوا فيها بعلم المناسبات، فمنهم من تناوله في كتب علوم القرآن، ومنهم من أفرده بالتأليف، ومنهم من أشار إليه إشارات لطيفة في بعض المواضع.

ولما كانت النفس تتشوق لمعرفة أهم وأشهر المؤلفات في هذا الفن، طمعا في الاستزادة، وتحصيلا للفائدة، كان لا بد من عرض أهم تلك المؤلفات، وذلك على سبيل المثال لا الحصر:

أولا: المؤلفات والبحوث من غير كتب التفسير، ومن أهمها:

١- الإتقان في علوم القرآن، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار إحياء العلوم، بيروت، ط٢، (١٤١٤هـ،١٩٩٢م).

٢- إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز، للإمام بديع الزمان سعيد النورسي. نشر: دار المحراب، أنقرة، [د.ط]، [د.ت].

٣- أضواء على ظهور علم المناسبة القرآنية، لعبد الحكيم الأنيس. بحث منشور في مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، جمادى الأولى، (١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م).

٤- الإعجاز البياني في ترتيب آيات القرآن وسوره، للدكتور محمد أحمد يوسف القاسم. نشر: دار المطبوعات الدولية، القاهرة، ط١، (١٣٩٩هـ،١٩٧٩م).

٥- إمعان النظر في نظام الآي والسور، لمحمد عناية الله محمد هداية الله. نشر: دار عمار، عمان، ط١، (١٤٢٤هـ).

٦- البرهان في ترتيب سور القرآن، لأبي جعفر أحمد بن إبراهيم بن الزبير الأندلسي الغرناطي. نشر: وزارة الأوقاف، المغرب، [د.ط]، (١٤١٠هـ،١٩٩٠م).

٧- البرهان في علوم القرآن، لبدر الدين الزركشي. نشر: دار المعرفة، بيروت، ط٢، (١٤١٥هـ،١٩٩٤م).

٨- التعبير القرآني، لفاضل صالح السامرائي. نشر: دار عمار، عمان، ط١، (١٤١٨هـ،١٩٩٨م).

٩- التناسب البياني في القرآن، لأحمد أبو زيد. رسالة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، الرباط، (١٩٩٢م).

١٠- تناسق الدرر في تناسب السور، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار الكتاب العربي، دمشق، ط١، (١٤٠٤هـ،١٩٨٣م).

١١- فواتح السور وخواتيمها، لعبد العزيز الخضيري. رسالة دكتوراه، جامعة الإمام محمد بن سعود، (١٩٩٧م).

١٢- فواتح السور ومناسبتها لمقاصد السور، لمنال بنت منصور محمد القرشي. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤٢٧هـ،٢٠٠٦م).

١٣- مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، لجلال الدين السيوطي. نشر: المكتبة المكية، مكة المكرمة، تحقيق: د. محمد بن عمر بازمول، ط١، (١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م).

١٤- معترك الأقران في إعجاز القرآن، لجلال الدين السيوطي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، تحقيق: أحمد شمس الدين، ط١، (١٤٠٨هـ،١٩٨٨م).

١٥- مناسبات الآيات والسور، نشأة علم المناسبة، محلها ودلالتها، وأثرها في التفسير، لعلي عبد العزيز سيور. بحث منشور في مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد (٢٥)، ربيع الثاني (١٤٢٤هـ)، يونيو (٢٠٠٣).

١٦- المناسبات في القرآن الكريم، ودراسة تطبيقية في سورتي الفاتحة والبقرة من تفسير الفخر الرازي، لعبد الله بن مقبل القرني. رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، (١٤١٣).

١٧- مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٠٩هـ،١٩٨٨م).

١٨- النبأ العظيم، لمحمد عبد الله دراز. نشر: دار القلم، الكويت، ط٣، (١٣٩٤هـ،١٩٧٤م).

ثانيا: المؤلفات من كتب التفسير، ومن أشهرها:

١٩- إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، لأبي السعود محمد العمادي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٩م).

٢٠- الأساس في التفسير، لسعيد حوى. نشر: دار السلام، القاهرة، ط5، (١٤١٩هـ،١٩٩٩م).

٢١- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، لمحمد الأمين الشنقيطي. نشر: مكتبة دار عالم الفوائد، الرياض، ط١، (١٤٢٦هـ).

٢٢- أنوار التنـزيل وأسرار التأويل، لعبد الله بن عمر البيضاوي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤٢٤هـ).

٢٣- البحر المحيط، لمحمد بن يوسف، الشهير بأبي حيان الأندلسي. نشر: دار الفكر، بيروت، [د.ط]، (١٤٢٥،١٤٢٦هـ).

٢٤- التحرير والتنوير، لمحمد الطاهر بن عاشور. نشر: دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس، [د.ط]، (١٩٩٧م).

٢٥- تفسير القرآن الحكيم المشتهر باسم تفسير المنار، لمحمد رشيد رضا. نشر: مطبعة المنار، القاهرة، [د.ط]، (١٣٤٦هـ).

٢٦- التفسير القيم للإمام ابن القيم. نشر: دار العربي، بيروت، ط١، (١٤٠٨هـ،١٩٨٨م).

٢٧- التفسير المنير، لوهبة الزحيلي. نشر: دار الفكر المعاصر، بيروت، ط١، (١٤١١هـ،١٩٩١م).

٢٨- جامع البيان عن تأويل آي القرآن، لأبي جعفر بن جرير الطبري. نشر: عالم الكتب، القاهرة، ط١، (١٤٢٤هـ).

٢٩- جواهر البيان في تناسب سور القرآن، لعبد الله بن محمود الصديق الغماري . نشر: عالم الكتب، بيروت، [د.ط]، (١٤٠٦هـ،١٩٩٦م).

٣٠- حاشية محيي الدين شيخ زادة على تفسير البيضاوي. {نشر: المكتبة الإسلامية، تركيا، [د.ط]، [د.ت]}.

٣١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي. نشر: دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، (١٤٢٠هـ،١٩٩٩م).

٣٢- السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير، شمس الدين محمد بن أحمد الخطيب الشربيني. نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، [د.ط]، (١٣١١هـ).

٣٣- غرائب القرآن ورغائب الفرقان، نظام الدين النيسابوري. نشر: مكتبة ومطبعة مصطفى الحلبي، مصر، ط١، (١٣٨١هـ،١٩٦٢).

٣٤- الفتوحات الإلهية بتوضيح تفسير الجلالين للدقائق الخفية، سليمان بن عمر العجيلي الشافعي الشهير بالجمل. نشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي، القاهرة، [د.ط]، (١٣٧٩هـ،١٩٥٩م).

٣٥- في ظلال القـرآن، لسـيد قطـب. نشـر: دار الشـروق، القـاهرة، ط٧، (١٣٩٨هـ،١٩٧٨م).

٣٦- لطائف الإشارات، للإمام عبد الكريم القشيري. نشر: المكتبة السلفية، المدينة المنورة، [د.ط]، [د.ت].

٣٧- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، لفخر الدين الرازي. نشر: المطبعة الخيرية، القاهرة، [د.ط]، (١٣٠٨هـ).

٣٨- نظم الدرر في تناسب الآي والسور، لبرهان الدين البقاعي. نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، (١٤١٥هـ،١٩٩٥م).

المطلب الخامس: أنواع المناسبات

وردت عدة تقسيمات لأنواع المناسبات في كتب المهتمين ذا العلم، واختلفت تلك التقسيمات من حيث عددها ومسميا ا، ومن خلال التأمل والتتبع، اتضح أن المناسبات تنقسم إلى قسمين رئيسين، ولكل قسم صور تندرج تحته، وذلك على النحو الآتي:

القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة، وله أربع صور:

١- تناسب كلمات الآية الواحدة.

٢- تناسب ترتيب الآيات.

٣- تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

٤- تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

٥- تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

القسم الثاني: التناسب بين السور، وله ثلاث صور:

١- تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

٢- تناسب خاتمة السورة مع فاتحة ما بعدها.

٣- تناسب مقاصد السورة مع السورة التي قبلها.

وبناء على هذا التقسيم سوف يكون الحديث عنها، مع إيراد الأمثلة عليها.

■ القسم الأول: التناسب بين الآيات في السورة الواحدة.

تمهيد:

الآية لغة: العلامة، والأمارة، والعبرة، قال تعالى: ﴿ فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً ﴾[(١)]، وتـ أتي بمعنى المعجزة[(٢)]، قال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً ﴾[(٣)].

واصطلاحا: هي قرآن مركب من جملٍ ولو تقديرا، ذو مبدأ ومقطع مندرج في سورة، وقيل: هي طائفة من القرآن منقطعة عما قبلها وما بعدها ليس بينها شبه بما سواها، وقيل: هي الواحدة من المعدودات في السور، وسميت به لأ ا علامة على صدق من أتى ا وعلى عجز المتحدى ا[(٤)].

قال القرطبي[(٥)]: ((قال ابن عطية[(٦)]: وجه التحدي في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه. ووجه إعجازه: أن الله تعالى قد أحاط بكل شيء علما، وأحاط بالكلام كله علما، فعلم بإحاطته أي لفظة تصلح أن تلي الأولى، وتبين المعنى بعد المعنى، ثم كذلك من أول القرآن إلى آخره، والبشر يعمهم الجهل والنسيان

---

(١) من الآية (٩٢) من سورة يونس.

(٢) ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (أيية)، باب الياء، فصل الهمزة (٤/٤٣٦)؛ مختار الصحاح، باب الهمزة (ص٣٧)؛ المعجم الوسيط، باب الهمزة (١/٥٥).

(٣) من الآية (٥٠) من سورة المؤمنون.

(٤) ينظر: البرهان (١/٢٦٤)؛ الإتقان (١/٢٠٨).

(٥) هو محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فَرح الأنصاري الخزرجي المالكي، أبو عبد الله القرطبي، مصنف التفسير المشهور (الجامع لأحكام القرآن)، ولد بقرطبة في الأندلس، وتوفي في منية بني خصيب بمصر سنة (٦٧١هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي (٢/٦٥)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٢٤٦)؛ الوافي بالوفيات (٢/١٢٢)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون (٢/٣٠٨).

(٦) هو القاضي أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عطية المحاربي الأندلسي، صاحب تفسير المحرر الوجيز، ولد سنة (٤٨١هـ)، وكانت وفاته سنة (٥٤٦هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص١٧٥)؛ الوافي بالوفيات (١٨/٦٦)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢/٥٨).

والذهول، ومعلوم ضرورة النظر يبطل قول من قال: "إن العرب كان في قدر ا أن تأتي بمثل القرآن في الغاية القصوى من الفصاحة، فلما جاء محمد ﷺ صرفوا عن ذلك وعجزوا عنه".

والصحيح أن الإتيان بمثل القرآن لم يكن قط في قدرة أحد من المخلوقين، ويظهر لك قصور البشر في أن الفصيح منهم يضع خطبة أو قصيدة يستفرغ فيها جهده، ثم لا يزال ينقحها حولا كاملا، ثم تعطى لآخر بعده، فيأخذها بقريحة جامة، فيبدل فيها وينقح، ثم لا تزال بعد ذلك فيها مواضع للنظر والبدل، وكتاب الله تعالى لو نزعت منه لفظة، ثم أُدير لسان العرب أن يوجِد أحسن منها لم يوجِد))(١).

ومما يدل على إعجاز القرآن الكريم هو وضع الألفاظ المناسبة في موضعها الملائم لها، حسب الغرض الذي سيقت له، والذي أراده الله عز وجل، ولو بدل ذلك اللفظ بلفظ آخر لتغير المعنى، ولما تحقق الغرض الذي أراده الله تعالى، ولظهر العوار والخلل في النظم القرآني، ولفقدت الآية بلاغتها ومدلولها، لأن الآية الواحدة تعتبر لبنة أساسية في الإعجاز القرآني.

---

(١) الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبي (١٢٠/١)، ونقل هذا القول عن ابن عطية السيوطي في الإتقان (١٠٠٧/٢). ولم أقف عليه في تفسير ابن عطية.

صور التناسب بين الآيات في السورة الواحدة:

◙ الصورة الأولى: تناسب كلمات الآية الواحدة.

ويقصد بهذه الصورة الترابط بين أجزاء الآية الواحدة مع بعضها، من حيث ترابط خاتمتها بمطلعها، وتناسب ألفاظها لمدلولها ومقصودها وغرضها.

ووجه التحدي في القرآن إنما هو بنظمه وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه ووجه إعجازه.

والتناسب بين أجزاء الآية ، يكون من حيث اللفظ أو المعنى:

أما من حيث اللفظ -وهو مناسبة اللفظ لبقية ألفاظ الآية- فمثاله قول الله تعالى: ﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾[(١)].

فقد جاءت الألفاظ بحيث يلائم بعضها بعضا، وذلك بأنه أتى في الآية بألفاظ متناسبة في الغرابة.

فالتاء: أغرب ألفاظ القسم، وذلك لأنها أقل استعمالا من الواو، والباء.

وأتى بـ(تَفۡتَؤُاْ). وفتئ: أغرب صيغ الأفعال التي تفيد الاستمرار من أخوات (كان).

وأتى بلفظ (حَرَضًا): وهو أغرب ألفاظ الهلاك، فاقتضى حسن الوضع في النظم، أن تُجاور كل لفظة بلفظة من جنسها توخيا في حسن الجوار، ورعاية في ائتلاف المعنى بالألفاظ، ولتتعادل الألفاظ في الوضع، وتتناسب في النظم، وجاءت هذه الألفاظ غريبة لتتوافق مع حال يعقوب -عليه السلام- التي وصل إليها، وإشفاق أبنائه على حاله، وخشيتهم عليه من الهلاك[(٢)].

---

(١) من الآية (٨٥) من سورة يوسف.

(٢) ينظر: الإتقان (٩١١/٢).

وأما تناسب اللفظ من حيث المعنى فمثاله قول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾[1].

إذ الركون إلى الظّالم والميل إليه لّما كان دون مشاركته في ظلمه؛ كان العقاب عليه دون العقاب على الظلم، فأتى بلفظ المس الذي هو دون الإحراق والاصطلاء[2].

ومن أمثلة ذلك أيضا قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾[3].

شبه الله تبارك وتعالى قلوب الكفار بالحجارة التي هي أبعد الأشياء عن حالها، فإن القلب أحيى حي، والحجر أجمد جامد، ولم يشبهها بالحديد لما فيه من المنافع، ولأنه قد يلين[4].

ومن المناسبات بين أجزاء الآية مراعاة ما يقتضيه التعبير والمعنى والسياق، مع مراعاة الانسجام في فواصل الآيات، لما لذلك من تأثير كبير على السمع، ووقع مؤثر في النفس.

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[5]، وقوله سبحانه: ﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾[6].

---

(١) الآية (١١٣) من سورة هود.
(٢) ينظر: البرهان: (٣/٣٧٩)؛ الإتقان (٢/٩١٢).
(٣) الآية (٧٤) من سورة البقرة.
(٤) نظم الدرر (١/١٧٣).
(٥) الآية (٣٤) من سورة إبراهيم.
(٦) الآية (١٨) من سورة النحل.

ولا شك أن خاتمة كل من الآيتين تنسجم مع الآيات فيهما، ولكن السياق أيضا يقتضي الفاصلة التي ختمت فيها كل آية من الآيتين، ذلك أن الآية في سورة إبراهيم، في سياق وصف الإنسان وذكر صفاته، فختم الآية بصفة الإنسان، وأن الآية الثانية في سورة النحل في سياق صفات الله تعالى، فذكر صفاته[1].

ويقول الطاهر بن عاشور عند تفسير الآية (٣٤) من سورة إبراهيم: ((وصيغتا المبالغة في ﴿لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ اقتضاهما كثرة النعم المفاد من قوله: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾، إذ بمقدار كثرة النعم يكثر كفر الكافرين ا إذ أعرضوا عن عبادة المنعم وعبدوا ما لا يغني عنهم شيئًا، فأما المؤمنون فلا يجحدون نعم الله ولا يعبدون غيره))[2].

ومن خلال ذلك يتضح أن التناسب والتلاؤم قائم بين أجزاء الآية الواحدة، وأن ألفاظها ناسبت الغرض الذي سيقت له، فأعطت للآية معنى رائعا، وبلاغةً لا توصف.

---

(١) ينظر: التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي (ص١٩٧).

(٢) التحرير والتنوير (٤٣٨/٧).

◙ الصورة الثانية: تناسب ترتيب الآيات.

وهذه الصورة كثيرة في القرآن الكريم، اهتم ا كثير من المفسرين في ثنايا تفاسيرهم، وتعني تلاؤم الآيات مع بعضها بحيث تظهر كلُحمة واحدة، غير منفصلة، لوجود رابط أو أكثر يربطها ببعضها، وقد يحصل التناسب بين عدد من الآيات المتتابعات وبين ما بعدها، ولا ينبغي التكلف والمبالغة في الوصول إلى المناسبة(١)؛ لأن ذلك يؤدي إلى تحميل القرآن ما لا يحتمل، فالمناسبة قد تظهر وقد لا تظهر.

ومثال ذلك المناسبة الظاهرة بين قـول الله تعـالى: ﴿ الٓمٓ ۝١ ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ۝٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ۝٣ وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ ۝٤ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾(٢)، وبين قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴾(٣).

لَما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين، وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومنافقين، وكان المنافقون قسمين: جهالا من مشركي العرب، وعلماء من كفار بني إسرائيل؛ كان الأنسب -ليفرغ من قسم يرأسـه على عجل- البـداءة أولا بالمصـارحين، فذكـر مـا أراد من أمرهم في آيتين؛ لأنّ أمرهم أهون، وشأ م أيسر، لقصدهم بما يوهنهم بالكلام أو بالسيف، على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام، فقال مخاطبا لأعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والإعجاز في معرض الجواب لسؤال من كأنه قال: ((هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟))(٤).

---

(١) ومثال ذلك ما ذكره الطاهر في المناسبة رقم (٤٤)، (ص١٩٩) من هذا البحث.

(٢) الآيات (١-٥) من سورة البقرة.

(٣) الآية (٦) من سورة البقرة.

(٤) نظم الدرر (٣٧/١).

◙ الصورة الثالثة: تناسب مطلع السورة مع مقاصدها.

وفي هذه الصورة إشارات بلاغية عظيمة، ودلالات على تلاحم القرآن بعضه ببعض.

ويجب أن يكون الكلام بارع المطلع، له روعة تستهوي اللب، وتخف على السمع، ويكون عذب اللّفظ، حسن السبك، صحيح المعنى؛ لأنه أول ما يقرع السمع، فإذا كان بهذه المنزلة؛ وقع من القلب موقعا حسنا، وأقبل عليه السامع.

ومثال هذه الصورة تناسب مطلع سورة المائدة مع مقاصدها، قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَوْفُوا۟ بِٱلْعُقُودِ ۚ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلْأَنْعَـٰمِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّى ٱلصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[1].

حيث افتتحت هذه السورة بأمر المؤمنين بالوفاء، ثم كان فيها أحكام تشريعية، وآداب، وأمر، ونهي، وهذا كله مما يجب الوفاء به. ولّما كان مدار هذه السورة على الزجر والإحجام عن أشياء اشتد إِلْفُهم لها، والتفاتهم إليها، وعظمت فيها رغباتهم، من الميتات وما معها، والأزلام، والذّبح على النصب، وأخذ الإنسان بجريمة الغير، والفساد في الأرض، والسرقة، والخمر، والسوائب، والبحائر، إلى غير ذلك؛ ذكّر في أولها بالعهود التي عقدوها على أنفسهم ليلة العقبة، حين تواثقوا على الإسلام من السمع والطاعة في المنشط والمكره، والعسر واليسر، فيما أحبوا وكرهوا[2].

وفي هذه القصة أوضح دليل على نقضهم للعهود التي بنيت السورة على طلب الوفاء بها، وافتتحت بها، وصرح بأخذها عليهم في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ إلى أن قال عز وجلّ: ﴿وَءَامَنتُم بِرُسُلِى وَعَزَّرْتُمُوهُمْ﴾[3].

---

(١) الآية (١) من سورة المائدة.

(٢) نظم الدرر (٣٨٧/٢).

(٣) الآية (١٢) من سورة المائدة؛ ينظر: نظم الدرر (٤٢٨/٢).

ومن الأمثلة على هذه الصورة أيضا تناسب مطلع سورة الإسراء مع مقاصدها فقد أجاب ابن الزملكاني[١] بأن سورة (سبحان) لما اشتملت على الإسراء الذي كذّب المشركون به النبي ﷺ، وتكذيبه تكذيب لله سبحانه وتعالى؛ أتى بـ (سبحان) لتنزيه الله تعالى عما نسب إلى نبيه من الكذب[٢].

◙ الصورة الرابعة: تناسب خاتمة السورة مع مقاصدها.

ويقصد به الترابط الحاصل بين خاتمة السورة وأهم مقاصدها، وقد ورد هذا النوع في بعض السور.

ومثال هذه الصورة تناسب خاتمة سورة يونس مع مقاصدها، وفي هذا الشأن يقول سيد قطب[٣]: ((هذه خاتمة السورة التي تضمنت تلك الجولات حول العقيدة في مسائلها الرئيسية الكبيرة: توحيد الربوبية...، ونفي الشركاء والشفعاء، ورجعة الأمر كله إلى الله، وسننه المقدرة التي لا يملك أحد تحويلها ولا تبديلها، والوحي وصدقه، والحق الخالص الذي جاء به، والبعث، واليوم الآخر، والقسط في الجزاء...

هذه القواعد الرئيسية للعقيدة التي دار حولها سياق السورة كله، وسيقت القصص لإيضاحها ، وضربت الأمثال لبيانها، ها هي ذي كلها تلخص في هذه الخاتمة))[٤].

---

(١) محمد بن على بن عبد الواحد الأنصاري الدمشقى ابن الزملكاني كمال الدين، ولد سنة (٦٦٧هـ)، أطلق عليه الذهبي عالم العصر وكبير الشافعية، (ت٧٢٧هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٢١٤/٤)؛ البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، مكتبة ابن تيمية، [د.ط]، [د.ت] (٢١٢/٢).

(٢) الإتقان (٩٩٣/٢).

(٣) سيد قطب بن إبراهيم، مفكر إسلامي مصري، ولد في قرية (موشا) في أسيوط سنة (١٩٠٦م)، له عدد من المؤلفات، من أشهرها (في ظلال القرآن)، و(التصوير الفني في القرآن)، أُعدم سنة (١٩٦٧م). ينظر: الأعلام (١٤٧/٣).

(٤) ينظر: في ظلال القرآن، سيد قطب (١٨٧/٤).

◘ الصورة الخامسة: تناسب مطلع السورة مع خاتمتها.

سبق الإشارة إلى افتتاح الكلام، وأهمية سبكه، وبراعة مطلعه، أما ختامه فلا بد أن يكون بارع المقطع، تهتز له النفس وتستوعبه، لأن ختام الكلام آخر ما يقرع الأسماع، فيجب أن يكون هذا القرع مؤثرا، ولأجل أن يكون مؤثرا يجب أن يحوي معاني بلاغيةً تفهم السامع أن الكلام انتهى؛ حتى لا تتشوف النفس إلى سماع شيء بعده. ويسمى براعة المقطع(١).

ومثال هذه الصورة تناسب مطلع سورة النساء مع خاتمتها، فقد افتتحت السورة بالإشارة إلى أصل الناس جميعا، مما يدل على تساويهم في الحقوق والواجبات، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾(٢)، واختتمت بالإشارة إلى التسوية في أصل الميراث، وإن اختلفت الأنصبة في قوله تعالى: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِۚ إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَهُۥٓ أُخۡتٞ فَلَهَا نِصۡفُ مَا تَرَكَۚ وَهُوَ يَرِثُهَآ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهَا وَلَدٞۚ فَإِن كَانَتَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُمَا ٱلثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَۚ وَإِن كَانُوٓاْ إِخۡوَةٗ رِّجَالٗا وَنِسَآءٗ فَلِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۗ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ أَن تَضِلُّواْۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ﴾(٣).

وهذه الصورة من التناسب لا يلزم وجودها بين جميع السور، بل قد تظهر في سورة، ولا تظهر في أخرى.

---

(١) براعة المقطع: هو أن يكون آخر الكلام الذي يقف عليه المترسل أو الخطيب أو الشاعر مستعذبا حسنا، لتبقى لذته في الأسماع. نهاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري (١٣٥/٧)؛ معجم المصطلحات البلاغية، د. أحمد مطلوب (ص٢٣٣).

(٢) الآية (١) من سورة النساء.

(٣) الآية (١٧٦) من سورة النساء.

■ القسم الثاني: التّناسب بين السور.

تمهيد:

السورة لغة: مأخوذة من السور، وهو حائطُ المدينة، وتأتي بمعنى المنـزلة، وجمعها سور، وهي من البناء ما طال وحسن[١].

واصطلاحا: هي قرآنٌ يشتملُ على آيٍ ذي فاتحة وخاتمة، وأقلها ثلاثُ آيات[٢].

إن التآلف والترابطَ والتناسب كما هو حاصلٌ بين آيات القرآن الكريم في السورة الواحدة، حاصلٌ بين سورِ القرآن، فمن قرأ سورةً من سورِ القُرآن بإمعان وتدبر؛ وجد بينها وبين سابقتها مناسبةً ورابطة، تظهر سر الإعجاز في ترتيب سورِه[٣].

---

(١) ينظر: القاموس المحيط، مادة (سور)، باب الراء، فصل السين (١١٨/٢)؛ مختار الصحاح، باب السين (ص٣٢٠)؛ المعجم الوسيط، باب السين (٤٨٧/١).

(٢) ينظر: البرهان (٢٦٤/١)؛ الإتقان (١٦٦/١).

(٣) أشير هنا إلى أن الطاهر بن عاشور لا يرى هذا القسم من المناسبات، ومستنده في ذلك أن ترتيب سور القرآن اجتهادي وليس توقيفيا، وسوف أُبين هذا الموضوع بالتفصيل في بيان منهج الطاهر في إيراد المناسبات في المبحث الثالث من هذا الفصل بإذن الله تعالى.

صور التناسب بين السور :

◙ الصّورة الأولى: تناسب فاتحة السورة مع فاتحة ما قبلها.

ويقصد به الترابط والتلاحم بين فاتحتي سورتين متتاليتين.

ومثال هذه الصورة افتتاح سورة الإسراء بالتسبيح، وسورة الكهف بالتحميد.

والتناسب بين الفاتحتين أن التسبيح -حيث جاء- مقدم على التحميد، تقول: سبحان الله والحمد لله(١).

فعن أبي هريرة(٢) ﷺ قال: قال النبي ﷺ: {كَلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفَتان علَى اللسان، ثَقيلَتان في الميزان، سبحانَ اللهِ وبِحمده، سبحانَ اللهِ العظيمِ}(٣).

ومنها التناسب بين فاتحتي سورة الرحمن وسورة القمر، وفي بيان ذلك يقول فخر الدين الرازي: ((اعلم أولا أن مناسبة هذه السورة لما قبلها بوجهين، أحدهما: أن الله تعالى افتتح السورة المتقدمة بذكر معجزة تدل على العزة والجبروت والهيبة، وهو انشقاق القمر، فإن من يقدر على شق القمر يقدر على هد الجبال وقّد الرجال، وافتتح هذه السورة بذكر معجزة تدلّ على الرحمة والرحموت، وهو القرآن الكريم، فإن شفاء القلوب بالصفاء عن الذنوب))(٤).

---

(١) ينظر: البرهان (٣٩/١)؛ الإتقان (٩٩٣/٢).

(٢) اسمه عبد الرحمن بن صخر الدوسي، أسلم عام خيبر وشهدها مع رسول الله ﷺ، ثم لزمه وواظب عليه رغبةً في العلم، من أحفظ الصحابة للحديث، كان من أهل الصفّة، استعمله عمر بن الخطاب ﷺ على البحرين، ثم سكن المدينة، و ا كانت وفاته سنة سبع وخمسين. ينظر: الاستيعاب (٣٣٢/٤)؛ أسد الغابة (٣١٨/٥)؛ الإصابة (٢٠٢/٤).

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: ٤٧] (٢٣٦٤/٤)، رقم [٧٥٦٣].

(٤) مفاتيح الغيب (٨٢/٢٩).

◙ الصورة الثانية: تناسب فاتحة السورة مع خاتمة ما قبلها.

ويقصد به التلاحم والتلاؤم بين مطلع السورة وخاتمة السورة التي قبلها.

يقول الزركشي: ((إذا اعتبرت افتتاح كل سورة؛ وجدته في غاية المناسبة لما ختمت به السورة قبله، ثم هو يخفى تارة ويظهر أخرى))[1].

ومثال هذه الصورة ما ذكره البقاعي في حديثه عن تناسب فاتحة سورة الكهف لخاتمة سورة الإسراء، حيث قال: ((لما ختمت تلك بأمر الرسول ﷺ بالحمد عن التنـزه عن صفات النقص لكونه أعلم الخلق بذلك؛ بدئت هذه بالإخبار باستحقاقه سبحانه الحمد على صفات الكمال التي منها البراءة عن كل نقص))[2].

وكذلك تناسب فاتحة سورة الطور مع خاتمة سورة الذاريات، فلما ختمت الذاريـات بتحقيق الوعيد في قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ﴾[3]؛ افتتحت سـورة الطور بإثبـات العـذاب الـذي هو روح الوعيد فقـال تعالى: ﴿وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ﴾[4].

وقد لا تظهر هذه الصورة بين سورتين، ومثال ذلك عدم ظهورها بين فاتحة سورة التين وخاتمة سورة الشرح، فسورة التين افتتحت بالقسم بالتين، والزيتون... إلخ، وسورة الشرح ختمت بأمر النبي ﷺ بالاجتهاد في العبادة.

وهذا يدل على أنه لا يلزم وجود هذه الصورة بين جميع سور القرآن الكريم.

---

(١) البرهان (٣٨/١).

(٢) نظم الدرر (٤٤١/٤).

(٣) الآيتان (٥٩،٦٠) من سورة الذاريات.

(٤) الآيات (١-٨) من سورة الطور، والمناسبة ذكرها البقاعي في تفسيره نظم الدرر (٢٩١/٧).

◙ الصورة الثالثة: تناسب مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها.

وهذا النوع يشبه الحلقة التي تربط بين أجزاء الشيء حتى تجعله عقدا واحدا، وقد أشار كثير من المفسرين إلى مناسبة مقاصد السورة مع مقاصد السورة التي قبلها، خصوصا عند القائلين بأن ترتيب سور القرآن الكريم توقيفي وليس اجتهاديا.

ومثال ذلك ما ذكره البقاعي –رحمه الله– في مناسبة مقاصد سورة البقرة لمقاصد سورة الفاتحة، حيث قال: ((وأما مناسبة ما بعد ذلك للفاتحة، فهو أنه لّما أخبر سبحانه وتعالى أن عباده المخلصين سألوا في الفاتحة هداية الصراط المستقيم -الذي هو غير طريق الهالكين-؛ أرشدهم في أول التي تليها إلى أن الهدى المسؤول إنما هو في هذا الكتاب، وبين لهم صفات الفريقين الممنوحين بالهداية حثّا على التخلق ا، والممنوعين منها زجرا عن قر ا، فكان ذلك من أعظم المناسبات لتعقيب الفاتحة بالبقرة))[1].

ومثال ذلك أيضا التناسب الحاصل بين مقاصد سورِ آل حم[2]، فجميعها تدور مقاصدها حول قضية الوحي، وقضية الحق والباطل، وقضية العقيدة، وعرض آيات الله في الأنفس والآفاق، وعرض لمشاهد المكذبين يوم القيامة.

ولا يلزم وجود هذه الصورة بين جميع سورِ القرآن الكريم.

---

(١) نظم الدرر (٣٢/١).

(٢) يراد ا سورة (غافر، وفصلت والشورى، والزخرف، والدخان، والجاثية، والأحقاف).

المبحث الثاني

تفسير التحرير والتنوير، المؤلّف والكتاب

وفيه مطلبان

- المطلب الأول: التعريف بالمؤلف
- المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

المطلب الأول: التعريف بالمؤلف

اسمه ونسبه:

هو العلامة الشيخ محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن محمد بن محمد الشاذلي بن عبد القادر بن محمد بن عاشور[١].

مولده:

ولد -رحمه الله- في ضاحية المرسى[٢] في تونس، في جمادى الأولى سنة (١٢٩٦هـ)، الموافق سبتمبر (١٨٧٩م)[٣].

نشأته، وطلبه للعلم:

نشأ -رحمه الله- في أحضان أبيه، وفي رعاية جده الذي كان يحرص على أن يكون خليفتهم في العلم والسلطان والجاه، حفظ القرآن الكريم، وتعلم اللغة الفرنسية وأتقنها، والتحق بجامع الزيتونة[٤] سنة (١٣١٠هـ)، وهو في الرابعة عشرة من عمره، فدرس علوم الزيتونة ونبغ فيها، وأظهر همةً عاليةً في التحصيل، وساعده على ذلك ذكاؤه النادر، والبيئة العلمية الدينية التي نشأ فيها، وشيوخه العظام في الزيتونة الذين كان لهم باع كبير في النهضة العلمية والفكرية في تونس، وقد برع في علوم الشريعة، واللّغة، والآداب، والطّب[٥].

---

(١) تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ (٣٠٤/٣)؛ الأعلام (١٧٤/٦).

(٢) المرسى: ضاحية من ضواحي العاصمة تونس، لها تاريخ قديم. ينظر: معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي (١٠٧/٥).

(٣) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (٣٠٤/٣)؛ مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة (١٥٣/١).

(٤) أسسه الأمير عبيد الله بن الحبحاب سنة (١١٤هـ) على عهد خلفاء بني أمية، وتم بناؤه سنة (١٤١هـ)، وهو أول جامع أُسس في تونس، ويمثل منارة علمية عظيمة، تخرج منه عدد من العلماء. ينظر: تاريخ جامع الزيتونة، محمد بن عثمان الحشائشي (ص٢١)؛ جامع الزيتونة، الطاهر المعموري (ص٤٥).

(٥) مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٤/١).

شيوخه:

اكتسب الطاهر ثقافة واسعة شملت التفسير والحديث والقراءات والمصطلح والبيان واللغة والتاريخ والمنطق وعلم العروض، وأعملَ فكره فيما حصلّه، وتوسع في ذلك وحللّه، فقد تخرج على أيدي ثُلّة من علماء عصره، امتازوا بثقافة موسوعية في علوم الدين، وقواعد اللغة العربية وبلاغتها وبيا ا وبديعها، إلى جانب قدرة على التبليغ، ومعرفة بطرق التدريس، والتركيز على تربية المـَلَكات في العلوم، ومن أشهرهم الشيخ محمد النجار(١)، والشيخ سالم بوحاجب(٢)، والشيخ محمد النخلي(٣)، والشيخ محمد بن يوسف(٤)، والشيخ عمر بن عاشور(٥)، وغيرهم، رحمهم الله تعالى جميعا.

إن حياة هؤلاء الأعلام كانت حياةً علميةً زاخرةً حافلةً بجلائل الأعمال، فقد أعطَوا ا تمع التونسي -خصوصا- عطاءً جزيلا في الدين والاجتماع والأدب والسياسة.

---

(١) هو محمد بن عثمان النجار، مفتي تونس في زمانه، درس الطاهر على يده النحو والبلاغة وعلم الكلام والمصطلح (ت١٣٣١هـ). ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٥/١)؛ معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان يوسف (٦٥٧/٢).

(٢) سالم بن عمر بوحاجب البنبلي، فاضل مالكي، من أهل تونس، ولد سنة (١٢٤٤هـ)، تولّى التـدريس بجامع الزيتونة، له (شرح على ألفية ابن عاصم) في الأصول، و(ديـوان خطـب)، و(تقريـرات علـى البخاري)، ناقد بارع، تدرج حتى بلغ مقام مشيخة الإسلام، (ت١٣٤٣هـ). ينظر: تراجم الأعـلام، محمد الفاضل بن عاشور (ص٢٢١)؛ الأعلام (٧١/٣)؛ تراجم المؤلفين التونسيين (٧٧/٢).

(٣) محمد بن محمد النخلي الصراوي القيرواني، ولد سنة (١٢٨٦هـ) بالقيروان، درس بجامع الزيتونة، له عدد من المؤلفات ما زالت مخطوطة، توفي بتونس سنة (١٣٤٢هـ). ينظر: آثار الشيخ محمد النخلي، عبد المنعم النخلي (ص١٨، ٢٠، ٣٧، ٤٠).

(٤) عمل مدرسا بجامع الزيتونة، فدرس تفسير البيضاوي، وشرح القسطلاني على البخاري، وتولّى مشـيخة الإسلام، كان مولَعا بالشعر، ولي خطّةَ الفتوى. ينظر: تراجم الأعلام (ص٢٦١).

(٥) عمر بن محمد بن العربي، أبو حفص، الملقب بعاشور، فقيه مالكي متصوف، درس الطاهر على يده النحو والصرف والبلاغة والفقه والفرائض (ت١٣١٤هـ). ينظر: الأعلام (٦٥/٥)؛ شيخ الإسـلام الإمـام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٥/١)؛ معجم المؤلفين المعاصرين (٤٧٦/١).

وهؤلاء النبغاء وإن لم يتركوا مؤلفات ضخمةً إلا أ م تركوا تلاميذ شهدوا لهم بِطُول الباع في نقد الآثار، والمناهج، وتتبع الهنات اللغوية، فقد كان الشيخ محمد النجار جامعا لشتى العلومِ التي تدرس بجامع الزيتونة، والشيخ بوحاجب أخصائيا في علوم اللّغة والنحو والبلاغة والأدب، والأستاذ عمر بن عاشور ماهرا في الفقه والمنطق والكلام والفلسفة[١].

شخصيته:

كان الطاهر بن عاشور عالـما مصلحا مجددا، لا يستطيع الباحثُ في شخصيته وعلمه أن يقف على جانبٍ واحد فقط، إلا أن القضية الجامعة في حياته وعلمه ومؤلفاته هي التجديد والإصلاح من خلال الإسلام وليس بعيدا عنه، ومن ثَم جاءت آراؤه وكتاباته ثورةً على التقليد والجمود، وثورةً على التسيب والضياع الفكري والحضاري.

يقول محمد الطاهر الميساوي[٢]في مقدمته على كتاب مقاصد الشريعة الإسلامية لابن عاشور: ((إن ابن عاشور ليس اسما عاديا في محيط الثقافة الإسلامية، بل إن اسمه وجهاده قد ارتبطا ارتباطًا وثيقًا بواحدة من أهم مؤسسات هذه الثقافة، ويرمزٍ من أبرز رموزها في النصف الأول من القرن العشرين، ألا وهي جامعة الزيتونة، وهــو -بدون شك- آخر العمالقة الذين عرفهم التاريخ المديد لهذه المؤسسة العريقة))[٣].

كان جم النشاط، غزير الانتاج، تزينه أخلاق رضيةٌ، وتواضع، فلم يكن -على سعة اطلاعه، وغزارة معارفه- مغرورا كشأن بعض الأدعياء، ممن لم يبلغ مستواه[٤].

ويعد الطاهر من كبار مفسري القرآن الكريم في العصر الحديث، وقد احتوى تفسيره "التحرير والتنوير" على خلاصة آرائه الاجتهادية والتجديدية.

---

(١) ينظر: مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور (١٥٣/١).

(٢) محقق ومؤلف معاصر، وأستاذ في الجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

(٣) مقدمة مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي (ص١٨).

(٤) تراجم المؤلفين التونسيين (٣٠٦/٣).

مسيرته العلمية والوظيفية:

❁ التحق الشيخ ابن عاشور بجامع الزيتونة، وثابر على تعلّمه به حتى حصل على شهادة التطويع سنة (١٣١٧هـ/١٨٩٦م).

❁ شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الثانية واجتازها بنجاح سنة (١٣٢٠هـ/١٨٩٩م).

❁ عمل مدرسا بالمدرسة الصادقية[1] سنة (١٣٢١هـ/١٩٠٠م).

❁ شارك في مناظرة التدريس من الرتبة الأولى فنجح فيها سنة (١٣٢٤هـ/١٩٠٣م).

❁ عمل مدرسا من الدرجة الأولى.

❁ في سنة (١٣٢٥هـ/١٩٠٤م) سمي نائبا عن الدولة لدى نظارة جامع الزيتونة.

❁ سمي عضوا مؤسسا للجنة تنقيح برامج التعليم بجامع الزيتونة سنة (١٣٢٩هـ/١٩٠٨م)، ثم التحق بعد ذلك بالقضاء.

❁ في سنة (١٣٣١هـ/١٩١٣م) صار عضوا بالمحكمة العقارية، وقاضيا مالكيا.

❁ عين مفتيا مالكيا سنة (١٣٤١هـ/١٩٢٣م).

❁ عين كبير المفتين سنة (١٣٤٢هـ/١٩٢٤م).

❁ عين شيخ الإسلام للمذهب المالكي سنة (١٣٥١هـ/١٩٣٢م)، وهو أول من تولى هاته الخطة، وفي نفس السنة سمي شيخ جامع الزيتونة وفروعه لأول مرة،ولكنه استقال من مشيخة جامع الزيتونة بعد سنة واحدة.

❁ في سنة (١٣٦٤هـ/١٩٤٤م) سمي شيخا لجامع الزيتونة وفروعه للمرة الثانية.

---

(١) أنشئت عام (١٢٩١هـ/ ١٨٧٤م) بإشراف لجنة كُونت من علماء الزيتونة. ينظر: الحركة الأدبية والفكرية في تونس، محمد الفاضل بن عاشور (ص٤٠).

❁ في سنة (١٩٥٦م) عين شيخا عميدا للكلّية الزيتونية للشريعة وأصول الدين حتى سنة (١٩٦٠م).

❁ شغل مهمة عضو مراسل مجمعي اللغة العربية بالقاهرة ودمشق منذ سنة (١٩٥٥م)(١).

وقد باشر –رحمه الله- كل هذه المهام بمهارة ودقّة علمية نادرة، وبنـزاهة وحسن نظر، فكان حجةً ومرجعا فيما يقضي به.

وكان مقْبِلا على الكتابة والتحقيق والتأليف، فقد شارك في إنشاء مجلة السعادة العظمى، وهي أول مجلة تونسية، ونشر بحوثًا عديدةً خصوصا في المجلة الزيتونية، ومجلات مشرقية، مثل مجلة هدى الإسلام)، والمنار، والهداية الإسلامية، ونور الإسلام، ومجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة، كما نشرت له مجلة المجمع العلمي بدمشق(٢).

ومما لا يخفى على كل مطلعٍ على مؤلفاته أنه كان ذا عقل جبار، وذا تدفق وتدفعٍ في العلم، وكان إذا كتب في أي فن أو موضوع كأنه يغرف من بحر، وينحت من صخر، كما كان ذا أسلوب محكم النسج، شديد الأسر، يذَكر بأرباب البيان الأوائل، وإذا كتب استجمع مواهبه العلمية، واللغوية، والأدبية، والاجتماعية، والتاريخية، والتربوية، وغيرها لخدمة غرضه الذي يرمي إليه.

---

(١) ينظر: تراجم المؤلفين التونسيين (٣/ ٣٠٤)؛ مجلة جوهر الإسلام، محمد الحبيب بن الخوجة، العدد (٣-٤) (ص١٢).

(٢) سيأتي التعريف بهذه المجلات عند الحديث عن إسهاماته -رحمه الله- في المجلات العلمية والشرقية: (ص٦٣).

مؤلفاته:

وصلت كتبه ومؤلفاته إلى قرابة الأربعين، هي غاية في الدقة العلمية، وتدل على تبحر الشيخ في شتى العلوم الشرعية والأدبية، ومن أجلها كتابه في التفسير "التحرير والتنوير"، وكتابه الثمين والفريد من نوعه "مقاصد الشريعة الإسلامية"، وغيرهما كثير.

ولا يزال عدد من مؤلفاته مخطوطة، وتنقسم مؤلفاته إلى قسمين منها مؤلفات في العلوم الشرعية، وأخرى في اللغة العربية وآدا ا:

◙ العلوم الشرعية:

١- آراء اجتهادية ومسائل علمية. (مخطوط).

٢- أصول التقدم في الإسلام. طبعته الشركة التونسية للتوزيع، (د.ت).

٣- أصول النظام الاجتماعي في الإسلام. طبعته دار النفائس بِعمان سنة (١٤٢١هـ).

وهذا الكتاب أصله جملة مقالات نشرها الطاهر بن عاشور في مجلة هدى الإسلام[(١)] خلال العامين (١٣٥٤،١٣٥٥هـ) عالج فيها الأوضاع الاجتماعية في العالم الإسلامي.

٤- أليس الصبح بقريب، التعليم العربي الإسلامي: دراسة تاريخية وآراء إصلاحية. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (١٩٦٧م).

وهذا الكتاب يتناول مشكلات التعليم وكيفية معالجتها في الوطن العربي.

٥- الأمالي على مختصر خليل[(٢)].(مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

٦- تحقيقات وأنظار في القرآن والسنة. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (١٩٨٥م).

---

(١) مجلة اجتماعية كانت تصدر بالقاهرة.

(٢) مختصر خليل: كتاب في فروع الفقه المالكي، ومؤلفه هو الإمام خليل بن إسحاق بن موسى المالكي المعروف بالجندي، من كبار فقهاء المالكية (ت٧٦٧هـ). ينظر: الديباج الذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٣٥٧/١)؛ الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني (١٧٥/٢).

٧- تعليقات على شرح حديث أم زرع[1]. (مخطوط).

٨- تفسير التحرير والتنوير. طبعته دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس سنة (١٩٩٧م).

٩- التوضيح والتصحيح في أصول الفقه للقرافي[2]. طبعته مطبعة النهضة بتونس سنة (١٣٤١هـ).

والعنوان الكامل للكتاب هو: حاشية التوضيح والتصحيح لمشكلات التنقيح على شرح تنقيح الفصول في الأصول.

١٠- فتاوى ورسائل فقهية. (مخطوط).

١١- قصة المولد. طبعته الدار التونسية للنشر سنة (١٣٩٢هـ،١٩٧٢م).

ويتناول هذا الكتاب السيرة النبوية المباركة.

١٢- كشف المغطّى من المعاني والألفاظ الواقعة في الموطّأ. طبعته الشركة التونسية للتوزيع سنة (١٩٧٥).

وقد حوى هذا الكتاب تعليقات وإفادات قيمة.

١٣- مقاصد الشريعة الإسلامية. طَبعته الشركة التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٨٥).

وهذا الكتاب يعتبر من أهم المؤلفات في أصول الفقه.

---

(١) حديث طويل أخرجه البخاري في صحيحه عن عائشة رضي الله عنها في كتاب النكاح، باب حسن المعاشرة مع الأهل (١٦٦٨/٣)، رقم [٥١٨٩].

(٢) هو أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن أبو العباس القرافي، إمام بارع، من علماء المالكية، وهو مصري المولد والمنشأ والوفاة، (ت٦٨٤هـ)، له مصنفات جليلة في الفقه والأصول، منها: (أنوار البروق في أنواء الفروق)، و(الذخيرة) في فقه المالكية، و(شرح تنقيح الفصول) في الأصول. ينظر: الوافي بالوفيات (٢٣٣/٦)؛ الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب (٢٣٦/١).

١٤- النظر الفسيح عند مضايق الأنظار في الجامع الصحيح[١]. طبعته الدار العربية للكتاب بتونس وليبيا سنة (١٩٧٩م).

وهذا الكتاب سار فيه على نمط كتابه (كشف المغطّى).

١٥- نقد علمي لكتاب الإسلام وأصول الحكم[٢]. طبعته المطبعة السلفية ومكتبتها بمصر سنة (١٣٤٤هـ).

١٦- الوقف وأثره في الإسلام. مطبوع[٣].

◙ اللغة العربية وآدا ا:

١٧- أصول الإنشاء والخطابة. طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٨٨م).

وهو كتاب في فن الأدب، اهتم فيه بالأسلوب في التعبير الذي يهدف إلى الإفهام بأسهل الطرق والأساليب.

١٨- الأمالي على دلائل الإعجاز. (مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

١٩- تحقيق كتاب (الاقتضاب في شرح أدب الكتاب) لعبد الله بن محمد البطليوسي. (مخطوط) وهو موجود في المكتبة العاشورية بالمرسى في تونس.

٢٠- تحقيق كتاب (قلائد العقيان)[٤] و(شرح ابن زاكور)[٥] له. طبعته الدار التونسية للنشر سنة (١٩٨٩م).

---

(١) الجامع الصحيح: أصح كتب الحديث بعد كتاب الله تعالى للإمام محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري.

(٢) ألفه علي عبد الرزاق، وقد حرص العلماء والمفكرون على الرد عليه، وذلك لأنه زعم فيه أن الخلافة ليست في أصول الشريعة، حتى أنه هاجم الخلفاء بما فيهم الخلفاء الأربعة الراشدين ﷺ، إلى غير ذلك من المزاعم الباطلة.

(٣) الكتاب مطبوع كما أشارت إلى ذلك د. هيا ثامر في كتا ا: "الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير" (ص٧٦)، إلا أني لم أقف على بيانات طبعه.

(٤) قلائد العقيان ومحاسن الأعيان: من تأليف أبي نصر الفتح ابن خاقان، وضم تراجم أدبية لمشاهير علماء الأندلس.

(٥) محمد بن قاسم بن محمد، ابن زاكور الفاسي، أديب فاس في عصره، مولده ووفاته فيها، (ت١١٢٠هـ)، شرح قلائد العقيان في كتابٍ أسماه: (تزيين قلائد العقيان بفرائد التبيان). ينظر: الأعلام (٧/٧).

٢١- تحقيق (مقدمة في النحو)[١]. (مخطوط).

٢٢- تحقيق (شرح القرشي على ديوان المتنبي[٢]). (مخطوط).

٢٣- تراجم لبعض الأعلام. (مخطوط).

٢٤- تصحيح وتعليق على كتاب (الانتصار لجالينوس[٣]) للحكيم ابن زهر[٤]. (مخطوط).

٢٥- تعليق على المطول[٥] بحاشية السيالكوتي[٦]. (مخطوط).

٢٦- ديوان بشار بن برد[٧](جمع وتحقيق وشرح). طبعته الدار التونسية للتوزيع سنة (١٩٧٦م).

٢٧- ديوان الحماسة لأبي تمام[٨](شرح وتحقيق). (مخطوط).

---

(١) مقدمة في النحو: من تأليف خلف بن حيان أبو محرز المعروف بالأحمر.

(٢) أحمد بن الحسين بن الحسن الجعفي الكوفي الكندي، أبو الطيب المتنبي، الشاعر الحكيم، ولد بالكوفة سنة (٣٠٣هـ)، وقتل سنة (٣٥٤هـ). ينظر: تاريخ بغداد، أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي (١٠٢/٤)؛ الأعلام (١١٥/١).

(٣) جالينوس: يعتبر آخر الأطباء الكبار المعلمين، وهو الثامن منهم، لا يدانيه أحد في صناعة الطب فضلا عن أن يساويه، عاش سبعا وثمانين سنة تقريبا. ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة (ص٩٠).

(٤) زهر بن عبد الملك بن محمد بن مروان بن زهر أبو العلاء، فيلسوف طبيب، أندلسي من أهل إشبيلية، (ت٥٢٥هـ). ينظر: عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص٥١٧)؛ الأعلام (٥٠/٣).

(٥) كتاب في البلاغة من تأليف مسعود بن عمر بن عبد الله التفتازاني سعد الدين.

(٦) عبد الحكيم بن شمس الدين الهندي السيالكوتي البنجابي، فاضل، له: (عقائد السيالكوتي)، و(حاشية على المطول للتفتازاني)، (ت١٠٦٧هـ). ينظر: الأعلام (٢٨٣/٣)؛ معجم المؤلفين (٦٠/٢).

(٧) بشار بن برد العقيلي أبو معاذ، أشعر المولدين على الإطلاق، اتهم بالزندقة فمات ضربا بالسياط، وقيل إغراقاً في الماء سنة (١٦٧هـ)، ودفن بالبصرة. ينظر: طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد المعتز بالله (ص٢١)؛ الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ص٥١٣).

(٨) أبو تمام: حبيب بن أوس بن الحارث الطائي، أبو تمام، الشاعر الأديب، أحد أمراء البيان. (ت٢٣١هـ). ينظر: طبقات الشعراء (ص٢٨٢)؛ تاريخ بغداد (٢٤٨/٨).

٢٨- ديوان سحيم[(١)](جمع وشرح). (مخطوط).

٢٩- ديوان النابغة الذبياني[(٢)](شرح وتحقيق). طبعته الدار التونسية للتوزيع سنة (١٩٧٦م).

٣٠- سرقات المتنبي[(٣)](شرح وتحقيق). طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٧٠م).

٣١- غرائب الاستعمال. (مخطوط).

٣٢- قصيدة الأعشى[(٤)]في مدح المحّلق[(٥)](شرح وتحقيق). طبعته مطبعة العرب بتونس سنة (١٣٤٨هـ/١٩٢٩م).

٣٣- مراجعات تتعلق بكتابي (معجز أحمد) ، و(اللامع العزيزي)[(٦)]. (مخطوط).

---

(١) سحيم عبد بني الحسحاس، شاعر، رقيق الشعر، أعجمي الأصل، قتله بنو الحسحاس وأحرقوه في زمن عمر ابن الخطاب رضي الله عنه سنة (٤٠هـ) لتشبيبه بنسائهم، له (ديوان شعر) صغير. ينظر: طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي (١٨٧/١)؛ الشعر والشعراء (ص٢٦٣).

(٢) النابغة: زياد بن معاوية بن ضباب الذبياني الغطفاني المضري، أبو أمامة، شاعر جاهلي. ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥١/١)؛ الشعر والشعراء (ص٨٧)؛ تاريخ مدينة دمشق، علي بن الحسن بن عساكر (٢٢١/١٩).

(٣) هذا الكتاب مؤلفه ابن بسام النحوي.

(٤) الأعشى: ميمون بن قيس بن جندل، من بني قيس بن ثعلبة الوائلي أبو بصير، المعروف بأعشى قيس، ويقال له: الأعشى الكبير، من شعراء الجاهلية، وأحد أصحاب المعلّقات، مات قبل أن يسلم سنة (٧هـ). ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥٢/١)؛ الشعر والشعراء (ص١٥٩).

(٥) المـُحلق بن حنتم بن شداد الكلابي العامري، كريم جاهلي، اشتهر بأبيات قالها فيه الأعشى، أولها:

لَعمري لَقَد لاحت عيونٌ كَثيرةٌ إلى ضَـوءِ نارٍ في يفاعٍ تحرق

تشـب لمقرورين يصطَليانِها وبات على النارِ الندى والمُحلق [البحر الطويل]

ينظر: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، أبو نصر علي بن هبة الله ابن ماكولا (١٢٧/٣)؛ معجم الشعراء الجاهليين، د. عزيزة فوال بابتي (ص٣٢٦).

(٦) الكتابان للمعري شرح فيهما ديوان أبي الطيب المتنبي، وسمى الأول (معجز أحمد) إشارة إلى المتنبي، وسمى الثاني: (اللامع العزيزي) إشارة إلى عزيز الدولة ثابت بن ثمار بن صالح بن مرداس.

٣٤- معلقة امرئ القيس[١](شرح وتحقيق). (مخطوط).

٣٥- المقدمة الأدبية للمرزوقي[٢](شرح وتحقيق). طبعته الدار العربية للكتاب بليبيا سنة (١٣٩٨هـ/١٩٧٨م).

٣٦- موجز البلاغة. مطبوع[٣].

٣٧- الواضح في مشكلات شعر المتنبي[٤](تحقيق). طبعته الدار التونسية للنشر والتوزيع سنة (١٩٦٨م).

---

(١) امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي، أشهر شعراء العرب على الإطلاق، اشتهر بمعلقته، (ت٨٠ق.هـ). ينظر: طبقات فحول الشعراء (٥١/١)؛ الشعر والشعراء (ص٥٢).

(٢) أحمد بن محمد بن الحسن أبو علي المرزوقي، عالم بالأدب، من أهل أصبهان، له (الأزمنة والأمكنة)، و(شرح ديوان الحماسة لأبي تمام) وغيرهما، (ت٤٢١هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٣٧٢/٧)؛ معجم الأدباء، ياقوت الحموي (١٩/٢).

(٣) الكتاب مطبوع كما أشارت إلى ذلك د. هيا ثامر في كتا ا: "الشيخ محمد الطاهر بن عاشور ومنهجه في تفسيره التحرير والتنوير" (ص٧٦)، إلا أني لم أقف على بيانات طبعه.

(٤) الواضح في مشكلات شعر المتنبي: مؤلفه أبو القاسم عبد الله بن عبد الرحمن الأصفهاني.

ا لات العلمية والشرقية التي أسهم فيها:

١- السعادة العظمى.

أسسها محمد الخضر حسين[(١)] سنة (١٣٢١هـ)، وهي أول مجلة ظهرت في المغرب، واستمر صدورها لمدة عامين ثم أوقفتها سلطات الاستعمار الفرنسي.

٢- ا لة الزيتونية.

مجلة شهرية علمية أدبية أخلاقية، أصدر ا هيئة من مدرسي جامع الزيتونة سنة (١٩٣٦م)، وتوقفت سنة (١٩٤٥م).

٣- مجلة ا مع العلمي بدمشق.

مجلة لغوية علمية صدر العدد الأول منها في (١٣٣٩/٤/٢١هـ -يناير/١٩٢١م) في سوريا، وظلت تصدر شهرية لعدة سنوات، ثم تحولت إلى فصلية، وما تزال تصدر حتى الآن.

٤- مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة.

مجلة لغوية صدر جزؤها الأول سنة (١٩٣٤م)، ثم توالى صدورها سنويا إلى أن صارت تصدر مرتين كل عام، وما زالت تصدر حتى الآن.

٥- مجلة المنار.

أسسها محمد رشيد رضا[(٢)] بالقاهرة، وصدر عددها الأول في (١٣١٥/١٠/٢٢هـ -١٥/آذار/١٨٩٨م)، كان الغرض من إنشائها الإصلاح الديني والاجتماعي للأمة الإسلامية، وغرضها الأول الحثّ على تربية البنين والبنات،

---

(١) محمد الخضر الحسين: ولد بتونس سنة (١٢٩٣هـ/١٨٧٣م) من أسرة علم وصلاح، كان من أعضاء ا معين العربيين بدمشق والقاهرة، وممن تولّوا مشيخة الأزهر، (ت١٣٧٧هـ/١٩٥٨م). ينظر: الأعلام (١١٣/٦)؛ معجم المؤلفين المعاصرين (٥٨٤/٢).

(٢) محمد رشيد بن علي رضا ولد سنة (١٢٨٢هـ/١٨٦٥م) وتوفي سنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م) أحد رجال الإصلاح الإسلامي، عالم وكاتب وأديب، ينظر: الأعلام (١٢٦/٦)؛ معجم المطبوعات، يوسف اليان سركيس (ص٩٣٤)؛ معجم المؤلفين المعاصرين (٥٩٢/٢).

والترغيب في تحصيل العلوم والفنون، وإصلاح كتب العلم وطريقة التعليم، والتنشيط على مجاراة الأمم المتمدنـة في العلـوم النافعـة، توقفـت عـن الصـدور سـنة (١٣٥٤هـ/١٩٣٥م)، واستغرقت (٣٣) مجلّدا ضمت (١٦٠) ألف صفحة.

٦- مجلة الهداية الإسلامية.

أسسها الشيخ مصطفى كمال التارزي[1]، وصدر العدد الأول منها في أكتوبر (١٩٧٣م)، وما زالت تصدر حتى الآن عن ا لمس الإسلامي الأعلى، إلا أ ا غير منتظمة في الصدور.

٧- مصباح الشرق.

أسسها إبراهيم المويلحي[2]، وصدرت سنة (١٨٩٨م) في القاهرة، اهتمت بالنقد الاجتماعي والأدبي، وتوقفت عن الصدور سنة (١٩٠٣م).

٨- نور الإسلام.

أصدرها الأزهر في شهر أكتوبر سنة (١٩٣٠م)، ورأس تحريرها الشيخ محمد الخضر حسين، وفي عام (١٩٣٥م) تغير اسمها إلى الأزهر، وما زالت تصدر حتى الآن.

٩- هدى الإسلام[3].

(١) لم أقف على ترجمته.

(٢) إبراهيم بن عبد الخالق بن إبراهيم المويلحي، كاتب مصري، رشيق الأسلوب، نقاد. ولد سنة (١٢٦٢هـ) في القاهرة، وتوفي ا سنة (١٣٢٣هـ). ينظر: الأعلام (٤٥/١).

(٣) لم أقف على معلومات عن هذه ا لة، ولصعوبة الحصول على مصادر تعرف ذه ا لات فقد اعتمدت على بعض مواقع الانترنت التي تحدثت عنها.

حياته السياسية:

لم يكن الطاهر بن عاشور بعيدا عن سهام الاستعمار، والحاقدين عليه، والمخالفين لمنهجه الإصلاحي التجديدي، فتعرض الشيخ لمحنة قاسية استمرت ثلاثة عقود، عرفت بمحنة التجنيس، وملخصها أن الاستعمار الفرنسي أصدر قانونا في (شوال ١٣٢٨هـ) عرف بقانون التجنيس، يتيح لمن يرغب من التونسيين التجنس بالجنسية الفرنسية، فتصدى الوطنيون التونسيون لهذا القانون ومنعوا المتجنسين من الدفن في المقابر الإسلامية، مما أربك الفرنسيين، فلجأت السلطات الفرنسية إلى الحيلة لاستصدار فتوى تسوغ مبدأ التجنس من خلال صيغة سؤال عن حالة عامة لا تتعلق بالحالة التونسية توجه إلى المجلس الشرعي، وكان ابن عاشور يتولّى -سنة (١٣٥١هـ)- رئاسة المجلس الشرعي لعلماء المالكية، فأفتى المجلس صراحة بأنه يتعين على المتجنس عند حضوره لدى القاضي أن ينطق بالشهادتين، ويتخلى في نفس الوقت عن جنسيته التي اعتنقها، لكن الاستعمار حجب هذه الفتوى، وبدأت حملة لتلويث سمعة هذا العالم الجليل، وتكررت هذه الحملة الآثمة عدة مرات على الشيخ، وهو صابر محتسب(١).

وفاته:

توفي الطاهر بن عاشور -رحمه الله- في الثالث عشر من شهر رجب سنة (١٣٩٣هـ)، الموافق الثاني عشر من شهر أغسطس سنة (١٩٧٣م)، وعمره (٩٧) سنة، بعد حياة حافلة بالعلم والإصلاح والتجديد على مستوى تونس والعالم الإسلامي، ودفن بمقبرة الزلاج بمدينة تونس.

رحمه الله تعالى، وجعلنا خير خلف لخير سلف(٢).

---

(١) مجلة جوهر الإسلام العدد (٣-٤) (ص١٤١).

(٢) ينظر: الأعلام (٦/١٦٤)؛ تراجم المؤلفين التونسيين (٣/٣٠٧).

المطلب الثاني: التعريف بتفسير التحرير والتنوير

• اسم الكتاب:

يقول مؤلفه ابن عاشور في مقدمة تفسيره: ((وسميته: "تحرير المعنى السديد، وتنوير العقل الجديد، من تفسير الكتاب ا يد"، واختصرت هذا الاسم باسم "التحرير والتنوير من التفسير"))[١].

فهذه تسمية مؤلفه له، ثم اشتهر هذا التفسير باسم "التحرير والتنوير"، و"تفسير التحرير والتنوير".

ويقع في ثلاثين جزءًا، في خمسة عشر مجلدا، طبعة دار سحنون للنشر والتوزيع بتونس.

• قصة تأليف الكتاب ووصف منهجه:

بدأ في تأليفه للتفسير سنة (١٣٤١هـ)، وفرغ منه سنة (١٣٨٠هـ).

وأشار في بدايته إلى أن منهجه هو أن يقف موقف الحَكَم بين طوائف المفسرين، تارة لها وأخرى عليها، معللا ذلك بأن الاقتصار على الحديث المعاد في التفسير هو تعطيل لفيض القرآن الكريم الذي ما له من نفاد، ووصف تفسيره بأنه احتوى أحسن ما في التفاسير، وأن فيه أحسن مما في التفاسير.

وتفسير التحرير والتنوير في حقيقته تفسير بلاغي، اهتم فيه الطاهر بدقائق البلاغة في كل آية من آياته، وأورد فيه بعض الحقائق العلمية ولكن باعتدال ودون توسع أو إغراق في تفريعا ا ومسائلها.

وقد نقد الطاهر كثيرا من التفاسير والمفسرين، ونقد فَهم الناس للتفسير، ورأى أن أحد أسباب تأخر علم التفسير هو الولع بالتوقف عند النقل، حتى وإن كان ضعيفًا أو فيه كذب، وكذلك اتقاء الرأي ولو كان صوابا حقيقيا، فأصبحت كتب التفسير عالة

---

(١) التحرير والتنوير (٨/١).

على كلام الأقدمين، ولا هم للمفسر إلا جمع الأقوال، و ـذه النظرة أصبح التفسير تسجيلا يقيد به فهم القرآن ويضيق به معناه.

وبعد فراغه منه ختمه بكلمة عظيمة مؤثرة، قال فيها: ((وإن كلام رب الناس حقيق بأن يخدم سعيا على الرأس، وما أدى هذا الحق إلا قلم مفسرٍ يسعى على القرطاس، وإن قلمي استن بشوط فسيح، وكم زجر عند الكلال والإعياء زجر الـمنيح، وإذ قد أتى على التمام فقد حق له أن يستريح.

وكان تمام هذا التفسير عصر يوم الجمعة الثاني عشر من شهر رجب عام ثمانين وثلاث مائة وألف، وكانت مدة تأليفه تسعا وثلاثين سنة، وستة أشهر، وهي حقبة لم تخلُ من أشغال صارفة، ومؤلفات أخرى أفنا ـا وارفة، ومنازع بقريحة شاربة طورا، وطورا غارفة، وما خلا ذلك من تشتت بال، وتطور أحوال، مما لم تخلُ عن الشكاية منه الأجيال، ولا كفران لله، فإن نِعمه أوفى، ومكاييل فضله عليّ لا تطفّف ولا تكفى.

وأرجو منه -تعالى- لهذا التفسير أن ينجِد ويغور، وأن ينفع به الخاصة والجمهور، ويجعلني به من الذين يرجون تجارة لن تبور.

وكان تمامه بمنـزلي ببلد المرسى شرقي مدينة تونس، وكتب محمد الطاهر بن عاشور))[1].

وقد بيّن في مقدمة تفسيره منهجه[2]، والذي يتضح من خلال النقاط الآتية:

- بدأ تفسيره بمقدمات عشر؛ لتكون -كما قال- عونا للباحث في التفسير.
- حرص على بيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال.
- اعتنى ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض.
- بين أغراض جميع السور قبل أن يشرع في تفسيرها.

---

(١) التحرير والتنوير (٦٣٦/٣٠).

(٢) ينظر: مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، محمد بن إبراهيم الحمد (٣٧).

- اعتنى بتحليل الألفاظ، وتبيين معاني المفردات بضبطها وتحقيقها.

- حرص على استنباط الفوائد، وربطها بحياة المسلمين.

- حرص على استلهام العبر من القرآن.

وسوف أورد أهم ما ذكره في المقدمة الثامنة؛ كو ا إحدى الركائز التي يعتمد عليها هذا البحث، وينطلق منها.

قال رحمه الله: المقدمة الثامنة: في اسم القرآن وآياته وسوره وترتيبها وأسمائها.

((هذا غرض له مزيد اتصال بالقرآن، وله اتصال متين بالتفسير؛ لأن ما يتحقق فيه ينتفع به في مواضع كثيرة من فواتح السور، ومناسبة بعضها لبعض فيغني المفسر عن إعادته...))[1].

((وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي، ومن المعلوم أن القرآن نزل منجما آيات، فربما نزلت عدة آيات متتابعة، أو سورة كاملة، كما سيأتي قريبا، وذلك الترتيب مما يدخل في وجوه إعجازه من بداعة أسلوبه...، فلذلك كان ترتيب آيات السورة الواحدة على ما بلغتنا عليه متعينا بحيث لو غُيـر عنه إلى ترتيب آخر لنـزل على حد الإعجاز الذي امتاز به، فلم تختلف قراءة النبي ﷺ في ترتيب آي السور على نحو ما هو في المصحف الذي بأيدي المسلمين اليوم، وهو ما استقرت عليه رواية الحفاظ من الصحابة عن العرضات الأخيرة التي كان يقرأ ا النبي ﷺ في أواخر سنِي حياته الشريفة، وحسبك أن زيد بن ثابت[2] حين كتب المصحف لأبي بكر لم يخالف في ترتيب آي القرآن، ولما جمع القرآن في عهد

---

(١) التحرير والتنوير (٧٠/١).

(٢) زيد بن ثابت بن الضحاك بن زيد الأنصاري الخزرجي أبو سعيد، وقيل: أبو ثابت، وقيل غير ذلك في كنيته، استصغر يوم بدر ويقال: إنه شهد أُحدا ويقال: أول مشاهده الخندق، كتب الوحي للنبي ﷺ، وهو الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، مات سنة اثنتين أو ثلاث أو خمس وأربعين، وقيل سنة إحدى أو اثنتين أو خمس وخمسين، وفي خمس وأربعين قول الأكثر. ينظر: الاستيعاب (١١١/٢)؛ أسد الغابة (١٢٦/٢)؛ الإصابة (٥٦١/١).

أبي بكر؛ لم يؤثَر عنهم أ ـم ترددوا في ترتيب آيات من إحدى السور، ولا أُثر عنهم إنكار أو اختلاف فيما جمع من القرآن، فكان موافقًا لما حفظَته حوافظُهم...))[١].

((واتساق الحروف، واتساق الآيات، واتساق السور، كله عن رسول الله ﷺ؛ فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل، ومما يدل عليه وجود حروف العطف المفيدة الاتصال، مثل: الفاء، ولكن، وبل، ومثل: أدوات الاستثناء، على أن وجـود ذلك لا يعيـّـن اتصال ما بعـده بما قبله في النـزول، فإنه قد اتفق على أن قوله تعالى: ﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾[٢] نزل بعد نزول ما قبله وما بعـده من قوله: ﴿لَّا يَسْتَوِي ٱلْقَٰعِدُونَ﴾، إلى قوله: ﴿وَأَنفُسِهِمْ﴾))[٣].

((...ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مروي إلا في عدد قليل؛ كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا، وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين[٤].

إن الغرض الأكبر للقرآن هو إصلاح الأمة بأسرها، فإصلاح كفارها بدعو ـم إلى الإيمان ونبذ العبادة الضالة، واتباع الإيمان والإسلام، وإصلاح المؤمنين بتقويم أخلاقهم وتثبيتهم على هداهم وإرشادهم إلى طريق النجاح وتزكية نفوسهم، ولذلك كانت أغراضه مرتبطة بأحوال ا ـتمع في مدة الدعوة، فكانت آيات القرآن مستقلا بعضها عن بعض، لأن كل آية منه ترجع إلى غرض الإصلاح والاستدلال عليه، وتكميله وتخليصه من تسرب الضلالات إليه، فلم يلزم أن تكون آياته متسلسلة، ولكن حال القرآن كحال الخطيب يتطرق إلى معالجة الأحوال الحاضرة على اختلافها، وينتقل من

---

(١) التحرير والتنوير (٧٩/١).

(٢) من الآية (٩٥) من سورة النساء.

(٣) التحرير والتنوير (٧٩/١).

(٤) يبرز هنا جانب مهم من منهج الطاهر -رحمه الله- في طلب المناسبة، فهو يحذر من التكلف في طلبها، وكأنه يشير إلى أن ذلك لا يكون إلا لأولي البصيرة في هذا العلم الشريف، فليس كل مفسر قادرا على إظهار المناسبة بين الآيات.

حال إلى حال بالمناسبة، ولذلك تكثر في القرآن الجمل المعترضة لأسباب اقتضت نزولها أو بدون ذلك))[1].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد رسم خطوطًا عريضة فيما يتعلق بالتناسب بين الآيات والسور، من أهمها:

- ارتباط المناسبات بالآيات القرآنية ارتباطًا وثيقًا.
- يعتبر طلب المناسبات بين الآيات غرض مهم من الأغراض الشريفة للقرآن.
- على المفسر أن يطلب المناسبة بين الآيات ويبينها ما استطاع إلى ذلك سبيلا.
- إذا لم يهتد المفسر إلى المناسبة فليتوقف عن طلبها ولا يتكلف.

(١) التحرير والتنوير (٨١/١).

المبحث الثالث:

منهج الطاهر بن عاشور في إيراد المناسبات

وفيه مطلبان:

- المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات
- المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات

المطلب الأول: موقفه من علم المناسبات

نص الطاهر -رحمه الله- في المقدمة الثامنة من تفسيره على موقفه من المناسبات بنوعيها، وهما المناسبات بين الآيات، والمناسبات بين السور.

فأما موقفه من المناسبات بين الآيات فهو موقف المؤيد لهذا النوع، ويتضح موقفه هذا من خلال كلامه عن هذا النوع، حيث قال: ((وقد اهتممت في تفسيري هذا ببيان وجوه الإعجاز، ونكت البلاغة العربية، وأساليب الاستعمال، **واهتممت أيضا ببيان تناسب اتصال الآي بعضها ببعض**، وهو منـزع جليل، قد عنى به فخر الدين الرازي، وألّف فيه برهان الدين البقاعي كتابه المسمى "نظم الدرر في تناسب الآي والسور"، إلا أ ما لم يأتيا في كثير من الآي بما فيه مقنع، فلم تزل أنظار المتأملين لفصل القول تتطلع))[1].

ويقول في موضع آخر: ((وأما ترتيب الآي بعضها عقب بعض فهو بتوقيف من النبي ﷺ حسب نزول الوحي...فلهذا كان الأصل في آي القرآن أن يكون بين الآية ولاحقتها تناسب في الغرض، أو في الانتقال منه، أو نحو ذلك من أساليب الكلام المنتظم المتصل))[2].

و ذا يتضح موقفه من التناسب بين الآيات، وقد أثنى على المفسرين الذين اعتنوا ذا النوع من المناسبات، إلا أنه أشار إلى أن كثيرا من الآيات ما زالت تحتاج إلى بيان تناسبها وترابطها، تحقيقًا لبغية المتأملين في نظم القرآن الكريم.

وأما موقفه من المناسبات بين السور فهو يرى أن طلب هذا النوع من المناسبات لا حاجة إليه، بل لا يراه حقا على المفسر، وقال في هذا الشأن: ((أما البحث عن تناسب مواقع السور بعضها إثر بعض، فلا أراه حقا على المفسر))[3].

---

(١) يراجع (ص٢٦) من البحث.

(٢) يراجع (ص٦٨) من البحث.

(٣) التحرير والتنوير (٨/١).

وقد بنى رأيه هذا على القول بأن ترتيب سور القرآن الكريم اجتهادي وليس توقيفيا.

وقد لمح إلى هذا الرأي عند حديثه عن ترتيب سور القرآن بقوله: ((أقول: لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم، الذي هو نسخة من المصحف الإمام الذي جمع وكُتب في خلافة أبي بكر الصديق، ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي النورين، **فلا شك** في **أن سور المفصل**[1] **كانت هي آخر القرآن**، ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة أن يكون في بعض الصلوات من طوال المفصل، وفي بعضها من وسط المفصل، وفي بعضها من قصار المفصل، وأن طائفة السور الطولى الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي ﷺ أول القرآن، والاحتمال فيما عدا ذلك))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر لا يمانع من طلب التناسب بين الآيات، بل يحث عليه ويعتبره أمرا مطلوبا على المفسر أن يبحث فيه، ولا يرى طلب التناسب بين السور؛ لميله إلى رأي الجمهور القاضي بأن ترتيب سور القرآن كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم[3]. ولذلك لم يربط بين السور في تفسيره.

---

(١) المفصل: هو المحكم وآخره سورة الناس بلا نزاع، واختلف في أوله على اثني عشر قولا، أشهرها أن أوله سورة (ق). ينظر: البرهان (٢٤٥/١)؛ الإتقان (٢١٣/١).

(٢) التحرير والتنوير (٨٦/١).

(٣) يرى الجمهور أن ترتيب سور القرآن الكريم كان باجتهاد من الصحابة رضوان الله عليهم، واستدلوا على ذلك باختلاف مصاحف السلف في ترتيب السور، فمنهم من رتبها على النزول، وهو مصحف علي بن أبي طالب رضي الله عنه، كان أوله اقرأ ثم المدثر ثم نون ثم المزمل ثم تبت ثم التكوير، وهكذا إلى آخر المكي والمدني، وكان أول مصحف ابن مسعود رضي الله عنه البقرة ثم النساء ثم آل عمران على اختلاف شديد، وكذا مصحف أبي رضي الله عنه وغيره. ويرى فريق آخر أن الترتيب كان بتوقيف من الرسول ﷺ ، ومنهم الكرماني حيث قال: ((ترتيب السور هكذا هو عند الله في الكتاب في الكتاب المحفوظ على هذا الترتيب))، وقال الطيبي: ((أنزل القرآن أولاً جملة واحدة من اللوح المحفوظ إلى السماء الدنيا، ثم نزل مفرقاً على حسب المصالح، ثم أثبت في المصاحف على التأليف والنظم المثبت في اللوح المحفوظ))، وقال البيهقي: ((كان القرآن على عهد النبي ﷺ مرتباً سوره وآياته على هذا الترتيب إلا الأنفال وبراءة))، وقال السيوطي: ((وما يدل على أنه توقيفي كون الحواميم رتبت ولاء، وكذا الطواسين، ولم ترتب المسبحات ولاء بل فصل بين سورها، وفصل بين طسم الشعراء، وطسم القصص بطس مع أنها أقصر منهما، ولوكان الترتيب اجتهادياً لذكرت المسبحات ولاء، وأخرت طس عن القصص، والذي ينشرح له الصدر ما ذهب إليه البيهقي، وهو أن جميع السور ترتيبها توقيفي إلا براءة والأنفال)). ومن هذا النقل يترجح أن ترتيب السور توقيفي وليس اجتهاديا. ينظر: البرهان (٢٦٠/١)؛ والإتقان (١٩٤/١).

المطلب الثاني: منهجه في إيراد المناسبات من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران

يتبين منهج الطاهر في إيراد المناسبات من خلال النقاط الآتية:

- يذكر الطاهر المناسبة في الآية -إن وجدت- قبل أن يشرع في تفسيرها غالبا(١).
- يذكر المناسبة بين الآية والآية(٢).
- يذكر المناسبة بين ألفاظ الآية الواحدة(٣).
- يذكر المناسبة بين الآية وبين غرض من أغراض السورة(٤).
- يذكر مناسبة التذييل(٥) للآية(٦).
- عند ذكره للمناسبة يستخدم العبارات الآتية: [ووجه المناسبة(٧)، عقب بكذا(٨)، ناسب كذا(٩)، موقع هذه الجملة(١٠)]، وأحيانا لا يصرح بذلك، ويفهم من كلامه أنه يريد به الإشارة إلى مناسبة ما(١١).

---

(١) التحرير والتنوير (٤٧٤/١).

(٢) تراجع المناسبة رقم (٧٨)، (ص٢٨٠).

(٣) تراجع المناسبة رقم (٩)، (ص١١٣).

(٤) تراجع المناسبة رقم (١٠٠)، (ص٣٢٨).

(٥) التذييل: إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه. كتاب الصناعتين، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ص٤١٣)؛ اية الأرب في فنون الأدب (١٤٠/٧).

(٦) تراجع المناسبة رقم (٤٣)، (ص١٩٧).

(٧) تراجع المناسبة رقم (٢٣)، (ص١٤٩).

(٨) تراجع المناسبة رقم (٢٢)، (ص١٤٦).

(٩) تراجع المناسبة رقم (٣)، (ص٩١).

(١٠) تراجع المناسبة رقم (١١)، (ص١٢٠).

(١١) تراجع المناسبة رقم (١٨)، (ص١٣٨).

▫ يحذر من التكلّف في طلب المناسبة، وذلك في قوله: ((ولما كان تعيين الآيات التي أمر النبي ﷺ بوضعها في موضع معين غير مرويٍّ إلا في عدد قليل؛ كان حقا على المفسر أن يتطلب مناسبات لمواقع الآيات ما وجد إلى ذلك سبيلا موصلا، وإلا فليعرض عنه ولا يكن من المتكلفين))[١].

▫ يورد آراء بعض المفسرين في بعض المناسبات ثم يعقب ذلك بموافقتهم، أو بمخالفتهم، وترجيح ما يراه مناسبا [٢].

▫ قد يتكلف أحيانا في بيان بعض المناسبات، وهذا نادر جدا[٣].

▫ يشير إلى المناسبات التي لم يسبقه أحد إلى بيا ا[٤].

▫ لا يتطرق إلى الربط بين خاتمة السورة وأولها.

▫ لا يرى وجود المناسبة في المحادثات والاقتضابات[٥].

(١) تراجع (ص٦٩) من البحث.
(٢) تراجع المناسبة رقم (١)، (ص٨٥).
(٣) تراجع المناسبة رقم (٤٤)، (ص١٩٩).
(٤) تراجع المناسبة رقم (١٦)، (ص١٣٢،١٣٣).
(٥) التحرير والتنوير (١٨٨/٣).

الفصل الأول

سورة الفاتحة

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: وجه تسميتها، وأغراضها.
- المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن ا.
- المبحث الثالث: تناسب آيا ا، وأثره.

المبحث الأول: وجه تسميتها، وأغراضها

اهتم كثير من علماء التفسير، والمتخصصون في علوم القرآن –قديـما وحديثًا- ببيان وجه تسمية سور القرآن الكريم.

قال الزركشي: ((ينبغي النظر في وجه اختصاص كل سورة بما سميت به، ولا شك أن العرب تراعي في الكثير من المسميات أخذ أسمائها من نادر أو مستغرب يكون في الشيء، من خُلُقٍ أو صفة تخصه، أو تكون معه أحكم أو أكثر أو أسبق لإدراك الرائي للمسمى، ويسمون الجملة من الكلام أو القصيدة الطويلة بما هو أشهر فيها، وعلى ذلك جرت أسماء سور الكتاب العزيز...))[1].

وقد ذكـر المفسـرون في تفاسيرهم أسماء عديدة لسـورة الفاتحة، لكن الطاهر اقتصر في بيان وجه تسميتها على ثلاثة أسماء، هي:

١- فاتحة الكتاب.

٢- السبع المثاني.

٣- أم القرآن أو أم الكتاب.

ولبيان أوجه تسميتها بهذه الأسماء سيكون الاعتماد على ما ذكره الطاهر في هذا الشأن، كونه جاء بما يفي بالغرض، وبما يغني ويفيد، حيث قال:

((سـورة الفاتحـة من السـور ذات الأسمـاء الكثيرة، أنهاهـا صاحب الإتقان[2] إلى نيف وعشرين، بين ألقاب وصفات جرت على ألسنة القُراء من عهد

---

(١) البرهان (٢٧٠/١).

(٢) إشارة إلى جلال الدين السيوطي، صاحب كتاب الإتقان في علوم القرآن. (١٤٨/١).

السلف، ولم يثبت في السنة الصحيحة والمأثور من أسمائها إلا فاتحة الكتاب، والسبع المثاني، وأم القرآن أو أم الكتاب[١]، فلنقتصر على بيان هذه الأسماء الثلاثة))[٢].

((**فأما تسميتها فاتحة الكتاب** فقد ثبتت في السنة في أحاديث كثيرة منها قول النبي ﷺ: {لا صلاةَ لمن لم يقْرأ بِفَاتحة الكتابِ}[٣]، وفاتحة: مشتقةٌ من الفتح وهو إزالة حاجز عن مكان مقصود ولُوجه، فصيغتها تقتضي أن موصوفها شيء يزيل حاجزا وليس مستعملا في حقيقته بل مستعملا في معنى أول الشيء تشبيها للأول بالفاتح؛ لأن الفاتح للْبابِ هو أولُ من يدخل، فقيل: الفاتحة في الأصل مصدر بمعنى الفتح كالكاذبة بمعنى الكذب، والباقية بمعنى البقاء في قوله تعالى: ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾[٤]، وكذلك الطاغية في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾[٥] في قول ابن عباس رضي الله عنهما: ((أي: بِطُغيانِهم))[٦]، والخاطئة بمعنى الخطأ، والحاقّة بمعنى الحق.

ومعنى فَتحها الكتاب أ ا جعلت أول القرآن لمن يريد أن يقرأ القرآن من أوله، فتكون فاتحة بالجعل النبوي في ترتيب السور، وقيل لأ ا أول ما نزل، وهو ضعيف، لما

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بينما جبريل قاعد عند النبي ﷺ سمع نقيضا من فوقه فرفع رأسه فقال: {هذَا باب من السماءِ فُتح اليوم لَم يفْتح قَط إلا اليوم} فنــزل منه ملك فقال: {هذَا ملَك نزلَ إلى الأرض لَم ينزلْ قَط إلا اليوم} فسلّم وقال: ((أبشر بِنورين أُوتيتهما لَم يؤتهما نبِي قَبلَك، فَاتحة الكتابِ، وخواتيم سورة البقَرة، لَن تقْرأَ بِحرف منهما إلا أُعطيته)). أخرجه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة: (٥٥٤/١)، رقم: [٨٠٦]. وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: {الحَمد لله أُم القُرآن، وأُم الكتابِ، والسبع المثَاني}. أخرجه الترمذي في جامعه، كتاب تفسير القرآن، باب سورة الحجر (ص٨٣٠)، رقم [٣١٢٤]. وقال: ((هذا حديث حسن صحيح)).

(٢) التحرير والتنوير (١٣١/١).

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب صفة الصلاة، باب وجوب القراءة للإمام والمأموم (٢٣٤/١)، رقم [٧٥٦]؛ ومسلم في صحيحه، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة (٢٤٧/١)، رقم [٣٩٤].

(٤) الآية (٨) من سورة الحاقة.

(٥) الآية (٥) من سورة الحاقة.

(٦) ذَكره أبو حيان في تفسير سورة الحاقة عن ابن عباس رضي الله عنهما. ينظر: تفسير البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان (٢٥٥/١٠).

ثبت في الصحيح واستفاض أن أول ما أنزل سورة ﴿ ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ﴾[(١)]، وهذا مما لا ينبغي أن يتردد فيه، فالذي نجزم به أن سورة الفاتحة بعد أن نزلت أمر الله -ﷻ- رسولَه ﷺ أن يجعلها أولَ ما يقْرأ في تلاوته))[(٢)].

((**وأما تسميتها أم القرآن وأم الكتاب** فقد ثبتت في السنة، من ذلك ما في صحيح البخاري في كتاب الطّب أن أبا سعيد الخدري[(٣)] ﷺ رقى ملْدوغًا فَجعلَ يقْرأُ علَيه بِأُم القُرآن. وفي الحديث قصة[(٤)].

ووجه تسميتها أم القرآن أن الأم يطلق على أصل الشيء ومنشئه، وفي الحديث الصحيح قال النبي ﷺ: {كُل صلاة لم يقْرأْ فيها بِأُم القُرآن فَهي خداج}[(٥)]أي: منقوصة مخدوجة، وقد ذكروا لتسمية الفاتحة بِأُم القرآن وجوها ثلاثةً:

أحدها: أ ا مبدؤه ومفْتتحه، فكأ ا أصلُه ومنشؤه، يعني أن افتتاحه الذي هو وجود أول أجزاء القرآن قد ظهر فيها، فجعلت كالأم للولد في أ ا الأصل والمنشأ،

---

(١) من الآية (١) من سورة العلق. ثبت ذلك في صحيح البخاري، كتاب بدء الوحي، باب كيف كان بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (٢٢/١)، رقم [٣]؛ وعند مسلم، كتاب الإيمان، باب بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ (١٢٦/١)، رقم [١٦٠].

(٢) التحرير والتنوير (١٣١/١).

(٣) هو سعد بن مالك بن سنان، أبو سعيد الـخدري، مشهـور بكنيته، أولُ مشاهده الخندق، وغزا مع رسول الله ﷺ اثنتي عشرة غزوة، وكان ممن حفظ عن رسول الله ﷺ سننا كثيرة، وروى عنه علما جما وكان من نجباء الأنصار وعلمائهم وفضلائهم، توفي سنة أربع وسبعين، روى عنه جماعة من الصحابة وجماعة من التابعين. ينظر: الاستيعاب (١٦٧/٢)؛ أسد الغابة (١٤٢/٥)؛ الإصابة (٣٥/١).

(٤) وتمام القصة: عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن ناسا من أَصحابِ النبِي ﷺ أَتوا علَى حي من أَحياءِ العربِ فَلَم يقْروهم، فَبينما هم كَذَلك إِذْ لُدغَ سيد أُولَئك فَقَالُوا: هلْ معكُم من دواءٍ أَو راقٍ؟ فَقَالُوا: إِنكُم لَم تقْرونا ولا نفْعلُ حتى تجعلُوا لَنا جعلا، فَجعلُوا لَهم قَطيعا من الشاءِ، فَجعلَ يقْرأُ بِأُم القُرآن، ويجمع بزاقه ويتفل فَبـرأَ، فَأَتوا بِالشاءِ فَقَالُوا: لا نأْخذُه حتى نسأَلَ النبِي ﷺ، فَسأَلُوه فَضحك وقَالَ: {وما أَدراك أَنها رقْيةٌ؟ خذُوها واضرِبوا لي بِسهمٍ}. صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الرقى بفاتحة الكتاب (١٨٣٢/٤)، رقم [٥٧٣٦].

(٥) أخرجه مسلم في كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة بلفظ: {من صلى صلاةً لَم يقْرأْ فيها بِأُم الكتابِ فَهي خداج} (٢٤٨/١)، رقم [٣٩٥].

فيكون أم القرآن تشبيها بالأم التي هي منشأ الولد لمشا تها بالمنشأ من حيث ابتداء الظهور والوجود.

الثاني: أ ا تشتمل محتويا ا على أنواع مقاصد القرآن، وهي ثلاثة أنواع: الثناء على الله ﷻ ثناءً جامعا لوصفه بجميع المحامد وتنـزيهه من جميع النقائص، ولإثبات تفرده بالإلهية، وإثبات البعث والجزاء...فهذه هي أنواع مقاصد القرآن كله، وغيرها تكْملات لها؛ لأن القصد من القرآن إبلاغ مقاصده الأصلية، وهي صلاح الدارين، وذلك يحصل بالأوامر والنواهي، ولّما توقّفت الأوامر والنواهي على معرفة الآمر، وأنه الله الواجب وجوده، خالق الخلق؛ لزم تحقيق معنى الصفات، ولّما توقّف تمام الامتثال على الرجاء في الثواب، والخوف من العقاب؛ لزم تحقّق الوعد والوعيد.

الثالث: أ ا تشتمل معانيها على جملة معاني القرآن من الحكَم النظرية والأحكام العملية، فإن معاني القرآن إما علوم تقصد معرفتها، وإما أحكام يقصد منها العمل ا، فالعلوم كالتوحيد والصفات والنبوءات والمواعظ والأمثال والحكَم والقَصص، وإما عمل الجوارح وهو العبادات والمعاملات، وإما عمل القلوب أي العقول وهو ذيب الأخلاق وآداب الشريعة، وكلها تشتمل عليها معاني الفاتحة بدلالة المطابقة(١)أو التضمن(٢)أو الالتزام(٣).

(١) دلالة المطابقة: هي دلالة اللفظ على تمام المعنى الموضوع له اللفظ، ومثاله: دلالة الرجل على الإنسان الذكر، ودلالة المرأة على الإنسان الأنثى. ينظر: معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي (ص٤٢)؛ معجم المصطلحات البلاغية (ص٤٩٠).

(٢) دلالة التضمن: هي دلالة اللفظ على جزء من أجزاء المعنى المتضمن له، ولا تكون إلا في المعاني المركّبة، ومثاله: دلالة لفظ إنسان على الناطق، ودلالة البيت على الجدران أو على السقف. ينظر: معيار العلم في فن المنطق (ص٤٣)؛ معجم المصطلحات البلاغية (ص٤٨٩).

(٣) دلالة الالتزام: هي دلالة اللفظ على أمر خارج عن المعنى لازم له لزوما ذهنيا بحيث يلزم من فهم المعنى المطابقي فهم ذلك الخارج اللازم، مثاله: دلالة الأربعة على الزوجية، والزوجية في الاصطلاح: هي الانقسام إلى متساويين، ودلالة لفظ السقف على الجدار، ويلاحظ أن هذا النوع من الدلالة يشترط فيه وضوح اللزوم الذهني بين اللفظ وما يلازمه. ينظر: معيار العلم في فن المنطق (ص٤٣)؛ معجم المصطلحات البلاغية (ص٤٨٩).

ﻓ ـ ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ يشمل سائر صفات الكمال التي استحق الله لأجلها حصر الحمد له تعالى بناء على ما تدل عليه جملة ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ﴾ من اختصاص جنس الحمد به تعالى واستحقاقه لذلك الاختصاص كما سيأتي.

و ﴿ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴾ يشمل سائر صفات الأفعال والتكوين عند من أثبتها.

و﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ يشمل أصول التشريع الراجعة للرحمة بالمكلفين.

و﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾ يشمل أحوال القيامة.

و﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ يجمع معنى الديانة والشريعة.

و ﴿ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ﴾ يجمع معنى الإخلاص لله في الأعمال...

و﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾ يشمل الأحوال الإنسانية وأحكامها من عبادات ومعاملات وآداب.

و﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ ﴾ يشير إلى أحوال الأمم والأفراد الماضية الفاضلة.

وقوله: ﴿ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴾ يشمل سائر قصص الأمم الضالة، ويشير إلى تفاصيل ضلالا م المحكية عنهم في القرآن.

فلا جرم يحصل من معاني الفاتحة -تصريحا وتضمنا- علم إجمالي بما حواه القرآن من الأغراض، وذلك يدعو نفس قارئها إلى تطلّب التفصيل على حسب التمكّن والقابلية، ولأجل هذا فرضت قراءة الفاتحة في كل ركعة من الصلاة حرصا على التذكير لما في مطاويها))(١).

((**وأما تسميتها السّبع المثاني** فهي تسمية ثبتت بالسنة، ففي صحيح البخاري عن أبي سعيد ابن المعلّى(٢)أن رسول الله ﷺ قال: {الْحمد لله رب العالمين هي السبع

(١) التحرير والتنوير (١٣٣/١).

(٢) أصح ما قيل في اسمه الحارث بن نفَيع بن الـمعلّى بن لُوذان بن حارثة بن زيد بن ثعلبة من بني زريق الأنصاري الزرقي، (ت٧٤هـ) وهو ابن أربع وستين سنة، روى عن رسول الله ﷺ حديثين فقط. ينظر: الاستيعاب (٢٣٣/٤)؛ أسد الغابة (١٤٢/٥)؛ الإصابة (٨٨/٤).

المثاني والقُرآنُ العظيم الذي أُوتيته}[١]، **ووجه تسميتها** بذلك أ ا سبع آيات باتفاق القُراء والمفسرين، ولم يشذ عن ذلك إلا الحسن البصري[٢]فقال: ((هي ثَمانُ آيات))[٣]، وإلا الحسين الـجعفي[٤]فقال: ((هي ست آيات))[٥]، وقال بعض الناس: تسع آيات، ويتعين حينئذ كون البسملة ليست من الفاتحة لتكون سبع آيات، ومن عد البسملة أدمج آيتين...

ووجه الوصف به أن تلك الآيات تثنى في كل ركعة...، وقيل لأ ا تثنى في الصلاة أي تكرر، فتكون التثنية بمعنى التكرير بناء على ما شاع عند العرب من استعمال المثنى في مطلق المكرر نحو: ﴿ثُمَّ ٱرۡجِعِ ٱلۡبَصَرَ كَرَّتَيۡنِ﴾[٦]، وقولهم: لبيك وسعديك، وعليه فيكون المراد بالمثاني هنا مثل المراد بالمثاني في قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ﴾[٧] أي مكرر القصص والأغراض.

---

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (١٣٥٠/٣)، رقم [٤٤٧٤]، عن أبي سعيد ابن المعلى ﷺ قال: كُنت أُصلّي في المسجِد فَدعاني رسولُ اللهِ ﷺ فلَم أُجِبه، فَقُلْت يا رسولَ اللهِ إني كُنت أُصلي فَقَال: {أَلَم يقُل اللهُ: ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ﴾ [الأنفال: ٢٤]}، ثُم قَالَ لي: {لأعلمنك سورةً هي أعظَم السور في القُرآن قَبلَ أنْ تخرج من المسجِد}. ثُم أخذَ بِيدي فلَما أراد أن يخـرج قُلْت له ألَم تقُلْ: لأعلمنك سـورةً هي أعظـم سورة في القُرآن؟ قـال: {﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ هي السبع المثَاني، والقُرآنُ العظيم الذي أُوتيته}.

(٢) الحسن بن أبي الحسن واسم أبي الحسن يسار البصري، ولد بالمدينة لسنتين بقيتا من خلافة عمر بن الخطاب ﷺ، وكان عمره أربع عشرة سنة يوم قُتل عثمان ﷺ، وقد رآه وسمع منه، (ت١١٠هـ) وله ثمان وثمانون سنة، ينظر: الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي: (١١٤/٧)؛ تذكرة الحفاظ (٧١/١)؛ ذيب التهذيب (٢٤٦/٢).

(٣) ذكر هذا القول الرازي، حيث قال: ((رأيت في بعض الروايات الشاذة أن الحسن البصري كان يقول: هذه السورة ثمان آيات)). مفاتيح الغيب (٢٠٢/١). والصحيح أ ا سبع آيات.

(٤) الحسين بن علي بن الوليد شيخ الإسلام أبو علي الـجعفي مولاهم الكوفي الحافظ المقرىء الزاهد القدوة، كان عابدا ناسكًا قارئًا للقرآن يقرئ الناس، (ت٢٠٣هـ) وعمره أربع وثمانون سنة. ينظر: الطبقات الكبرى (٣٩٦/٦)؛ تذكرة الحفاظ (٣٤٩/١)؛ غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري (٢٤٧/١).

(٥) ذكر هذا القول ابن كثير في تفسيره (١٠١/١).

(٦) من الآية (٤) من سورة الملك.

(٧) من الآية (٢٣) من سورة الزمر.

وقيل سميت المثاني لأ ا ثُنِيت في النـزول فنـزلت بمكة، ثم نزلت في المدينة، وهذا قول بعيد جدا، وتكرر النّـزول لا يعتبر قائله، وقد اتفق على أ ا مكّية، فأي معنى لإعادة نزولها بالمدينة(١).

ثم ختم كلامه بقوله: ((وأغراضها قد علمت من بيان وجه تسميتها أم القرآن))(٢).

ويمكن تلخيص أغراضها في النقاط الآتية:

- الثناء على الله تعالى بأوصاف كماله وجلاله.
- إثبات تفرده ﷻ بالإلهية.
- إثبات البعث والجزاء.
- الأمر بالعبادات والإخلاص فيها.

---

(١) نقل هذا القولَ الزركشي في البرهان (٢٩/١)، والسيوطي في الإتقان (١١٤/١). وذَكَرا أن الغرض من نزولها ثانية هو التذكير ا، والمبالغة في تشريفها.

(٢) التحرير والتنوير (١٣٦/١).

المبحث الثاني: مناسبة افتتاح القرآن ا.

افتتح سبحانه وتعالى كتابه الكريم ذه السورة لأ ا جمعت مقاصد القرآن، وتصدرت السور لأ ا تنـزل منها منـزل ديباجة الخطبة[1] أو الكتاب فصارت كالعنوان وبراعة الاستهلال[2].

قال الطاهر: ((تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله تعالى ووصفـوه بصفات الجلالة، ثم أتبعوا ذلك بقـولهم: (إياك نعبد وإياك نستعين)، الذي هو واسطةٌ جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية، وهي حظّ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثّناء وبين الطلب، حتى إذا ظنّوا بِربهم الإقبال عليهم، ورجوا من فضله؛ أفْضوا إلى سؤل حظهم فقالوا: (اهدنا الصراط المستقيم) ، فهو حظ الطالبين، خاصة لِما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم.

فهذا هو التوجيه المناسب لكون الفاتحة بمنـزلة الديباجة للكتاب الذي أنزل هدى للناس ورحمة، فتتنـزل هاته الجملة مما قبلها منـزلة المقصد من الديباجة، أو الموضوع من الخطبة))[3].

---

(١) ديباجة الكتاب: فاتحته. ينظر: المعجم الوسيط، (مادة دبج)، باب الدال (٢٩٢/١).

(٢) براعة الاستهلال: هو أحسن الابتداءات، وهو ما ناسب المقصود. الإيضاح في علوم البلاغة (٥٩٤/٢)؛ معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة (ص٧٠).

(٣) التحرير والتنوير (١٨٧/١).

المبحث الثالث: المناسبات في آيا ا، وأثرها.

١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾[١].

ذكر الطاهر –رحمه الله- المناسبة في البسملة فقال: ((وعندي أن البسملة كان ما يرادفها قد جرى على ألسنة الأنبياء من عهد إبراهيم عليه السلام، فهي من كلام الحنيفية، فقد حكى الله عن إبراهيم عليه السلام أنه قال لأبيه: ﴿يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ﴾[٢]، وقال: ﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي ۖ إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا﴾[٣]، ومعنى الـحفي قريب من معنى الرحيم، وحكي عنه قوله: ﴿وَتُبْ عَلَيْنَا ۖ إِنَّكَ أَنتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾[٤]، وورد ذكر مرادفها في كتاب سليمان عليه السلام إلى ملكة سبأ: ﴿إِنَّهُ مِن سُلَيْمَانَ وَإِنَّهُ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾[٥]. والمظنون أن سليمان عليه السلام اقتدى في افتتاح كتابه بالبسملة بسنة موروثة من عهد إبراهيم عليه السلام، جعلها إبراهيم عليه السلام كلمة باقية في وارثي نبوته، وأن الله أحيا هذه السنة في الإسلام في جملة ما أوحى له من الحنيفية كما قال تعالى: ﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ ۚ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[٦]))[٧].

---

(١) الآية (١) من سورة الفاتحة.

(٢) من الآية (٤٥) من سورة مريم.

(٣) من الآية (٤٧) من سورة مريم.

(٤) من الآية (١٢٨) من سورة البقرة.

(٥) الآيتان (٣١،٣٠) من سورة النمل.

(٦) من الآية (٧٨) من سورة الحج.

(٧) التحرير والتنوير (١٥١/١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

قبل أن يذكر الطاهر مناسبة افتتاح القرآن بالبسملة أورد كلام الإمام البيضاوي[١] والأستاذ محمد عبده[٢] في ذلك، وسوف أورد ما نقله عنهما إلى جانب ما ذكره الرازي؛ لإبراز رأي الطاهر في هذه المناسبة.

- قال البيضاوي: ((إن المسمي إذا قصد الاستعانة بالمعبود الحق الموصوف بأنه مولي النعم كلها جليلها ودقيقها؛ يذْكُر علَم الذات، إشارة إلى استحقاقه أن يستعان به بالذات، ثم يذكر وصف الرحمن إشارة إلى الاستعانة على الأعمال الصالحة، وهي نِعم))[٣].

- وقال الأستاذ محمد عبده: ((إن النصارى كانوا يبتدئون أدعيتهم ونحوها باسم الأب والابن والروح القدس إشارة إلى الأقانيم[٤] الثلاثة عندهم، فجاءت فاتحة كتابِ الإسلام بالرد عليهم موقظة لهم بأن الإله الواحد وإن تعددت أسماؤه فإنما هو تعدد الأوصاف دون تعدد المسميات، يعني فهو رد عليهم بتغليظ وتبليد))[٥].

---

(١) عبد الله بن عمر بن محمد بن علي الشيرازي أبو الخير القاضي ناصر الدين البيضاوي الشافعي، له مختصر الكشاف في التفسير المسمى بأنوار التنزيل وأسرار التأويل، وله شرح المصابيح في الحديث، كان إماما مبرزا نظارا صالحًا متعبدا زاهدا، (ت٦٨٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي (٢٤٨/١)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (٢٥٤/١)؛ طبقات الشافعية (١٧٢/٢).

(٢) محمد عبده بن حسن خير الله، مفتي الديار المصرية في عصره، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد، ولد سنة (١٢٦٦هـ/١٨٤٩م)، ألف "تفسير القرآن الكريم" ولم يتمه، و"رسالة التوحيد" وغير ذلك من المؤلفات وتوفي بالإسكندرية سنة (١٣٢٣هـ/١٩٠٥م)، ودفن في القاهرة. ينظر: الأعلام (٢٥٢/٦)؛ معجم المؤلفين (٤٧٤/٣).

(٣) لم أقف على كلام البيضاوي هذا في تفسيره، ولم أقف على المصدر الذي نقل منه الطاهر.

(٤) الأقانيم: مفردها أُقنوم، وهو الجوهر والأصل، ويستعمل عند المسيحيين العرب للدلالة على الأب والابن وروح القدس. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (قنم)، باب الميم، فصل القاف (٢٣٧/٤)، مختار الصحاح، باب القاف، (ص٥٥٣)؛ المعجم الوسيط، باب القاف (٧٩٨/٢).

(٥) نقل هذا القولَ الطاهر في تفسيره ولم يعزه، ولم أقف على المصدر الذي نقل منه.

- وقال الرازي: ((﴿ٱللَّهِ﴾ إشارة إلى القهر والقدرة والعلُو، ثم ذكر عقيبه ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾، وذلك يدلّ على أن رحمته أكثر وأكمل من قهره))(١).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد أشار إلى ما أشار إليه محمد عبده من مناسبة افتتاح القرآن بالبسملة، ولم يتطرق إلى تناسب ألفاظها، فهو يرى أ ا سنةٌ موروثة من عهد إبراهيم عليه السلام.

كما يتبين أنه وإن خالف الأستاذ محمد عبده إلا أنه استحسن رأيه بقوله: ((وإذا صح أنّ فواتح النصارى وأدعيتهم كانت تشتمل على ذلك -إذ الناقل أمين- فهي نكتةٌ لطيفةٌ))(٢).

فالأستاذ محمد عبده يرى أن المناسبة هي الرد على النصارى من خلال إثبات وحدانية الله تبارك وتعالى، ونفي عقيدة التثليث.

وما استدلّ به الطاهر مما ورد على لسان بعض الأنبياء -عليهم الصلاة والسلام- يؤيد رأيه ويقويه.

أما ما ذكره البيضاوي والرازي فهو يتناول المناسبة بين ألفاظ الآية نفسها، فالبيضاوي يرى أن التناسب هنا مرتبط بالتدرج في الأسلوب ليصل المُسمي إلى المقصود من خلال أيسر الطرق، أما الرازي فهو يرى أن المناسبة هي المقابلة بين مدلول لفظ الجلالة (الله) وبين مدلول (الرحمن الرحيم).

والذي يظهر أن المناسبة هنا هي أن الله تعالى افتتح القرآن ا جريا على سنة أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام والأنبياء من بعده، كما أن هناك إشارةً إلى أن البسملة هي أفضل أمرٍ يفتتح ا الإنسانُ جميع أعماله، والله تعالى أعلم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٦٨/١).

(٢) التحرير والتنوير (١٥١/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن افتتاح القرآن بالبسملة فيه دلالة على أ ا أفضل مفتتح يفتتح به المسلم جميع أموره، فهي مفتاح كل أبواب الخير، وسبب في حلول البركة.

٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(١)]

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((فلما أراد الله أن تكون هذه السورة أُولى سور الكتاب ا يد بتوقيف النبيء ﷺ ...؛ نبه الله تعالى قُراء كتابه وفاتحي مصحفه إلى أصول هذه التزكية النفسية بما لَقّنهم أن يبتدئوا بالمناجـاة التي تضمنتها سورة الفاتحة من قولـه تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾[(٢)]إلى آخر السورة.

ولما لُقّن المؤمنون هاته المناجاة البديعة التي لا يهتدي إلى الإحاطة ا في كلامه غير علام الغيوب سبحانه؛ قَدم الحمد عليها ليضعه المناجون كذلك في مناجا م جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء أن يفتتحوا خطا م إياهم وطلبهم بالثناء والذكر الجميل...

فكان افتتاح الكلام بالتحميد سنة الكتاب ا يد لكل بليغ مجيد...ولذلك شأنٌ مهم في صناعة الإنشاء، فإن تقديم المقدمة بين يدي المقصود أعون للأفهام وأدعى لوعيها))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((بانَ سر الافتتاح من حيثُ تصديرها بالحمد جزئيا فَكُليا، كل أمر ذي بال لا يبدأُ فيه فهو أجذم))[(٤)].

---

(١) الآية (٢) من سورة الفاتحة.

(٢) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٣) التحرير والتنوير (١٥٢/١).

(٤) نظم الدرر (٢٠/١). وقوله: ((كل أمر ذي بال...)) إلخ، أصله حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كُل أَمرٍ ذي بالٍ لا يبدأ فيه يِحمد الله فهو أَقْطَع» أخرجه النسائي في كتاب عمل اليوم والليلة، باب ما يستحب من الكلام عند الحاجة (١٢٧/٦)، رقم [١٠٣٢٨]؛ وابن ماجة في كتاب النكاح، باب خطبة النكاح (٦١٠/١)، رقم [١٨٩٤]، والبيهقي في كتاب الجمعة، باب ما يستدل به على وجوب التحميد في خطبة الجمعة (٢٩٥/٣)، رقم [٥٧٦٨]، وابن حبان (١٧٣/١)، رقم [٢،١]، والدارقطني في كتاب الصلاة (٥٠٢/١)، رقم [٨٧١]. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

- وقال الآلوسي[(١)]: ((ولما افتتح سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهي نوع من الحمد؛ ناسب أن يردفها بالحمد الكُلّي الجامع لجميع أفراده، البالغ أقصى درجات الكمال، فقال جـل شأنه: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٢)]وهو أول الفاتحة وآخر الدعوات الخاتمة كما قال تعالى: ﴿وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[(٣)]))[(٤)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في هذه الآية هي التمهيد والمقدمة للطلب الذي سيأتي بعدها، جريا على طريقة بلغاء العرب عند مخاطبة العظماء، و بهذا المعنى قال البقاعي.

أما الآلوسي فيرى أن مناسبتها مرتبطة بما قبلها وهي البسملة.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية الكريمة، إلاّ أن ما ذكره الطاهر والبقاعي أسرع تبادرا إلى الأذهان، وأكثر تأثرا بأسلوب البلاغة العربية التي تحدى القرآنُ الكريم أربابها، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن افتتاح هذه السورة الكريمة بالحمد فيه دلالة على أنه لا بد لكل موضوع من مقَدمة تسبقه، وتمهد له، ولو افتتحت السورة بغير ذلك لغاب ذلك المعنى.

---

(١) محمود بن عبد الله الحسيني الآلوسي، شهاب الدين، أبو الثناء: مفسر، محدث، أديب، من المجددين، من أهل بغداد، مولده ووفاته فيها، من كتبه (روح المعاني) في التفسير، (ت ١٢٧٠هـ). ينظر: حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار (١٤٥٠/٣)؛ الأعلام (١٧٦/٧).

(٢) الآية (٢) من سورة الفاتحة.

(٣) من الآية (١٠) من سورة يونس.

(٤) روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي (٩١/١).

٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾[(١)]

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((وإجراء هذين الوصفين العليين على اسم الجلالة بعد وصفه بأنه رب العالمين لمناسبة ظاهرة للبليغ؛ لأنه بعد أن وصف بما هو مقتضى استحقاقه الحمد من كونه رب العالمين، أي مدبر شؤو م، ومبلّغهم إلى كمالهم في الوجودين الجثماني والروحاني، ناسب أن يتبع ذلك بوصفه بالرحمن، أي الذي الرحمة له وصف ذاتي تصدر عنه آثاره بعموم واطراد على ما تقدم، فلما كان ربا للعالمين، وكان المربوبون ضعفاء؛ كان احتياجهم للرحمة واضحا، وكان ترقبهم إياها من الموصوف ا بالذات ناجِحا.

فإن قلت: إن الربوبية تقتضي الرحمة لأ ا إبلاغ الشيء إلى كماله شيئًا فشيئًا، وذلك يجمع النعم كلها؛ فلماذا احتيج إلى ذكر كونه رحمانا؟ قلت: لأن الرحمة تتضمن أن ذلك الإبلاغ إلى الكمال لم يكن على وجه الإعنات، بل كان برعاية ما يناسب كل نوع وفرد، ويلائم طوقه واستعداده، فكانت الربوبية نعمة، والنعمة قد تحصل بضرب من الشدة والأذى، فأتبع ذلك بوصفه بالرحمن تنبيها على أن تلك النعم الجليلة وصلت إلينا بطريق الرفق واليسر ونفي الحرج، حتى في أحكام التكاليف والمناهي والزواجر فإ ا مرفوقة باليسر بقدر ما لا يبطل المقصود منها، فمعظم تدبيره تعالى بنا هو رحمات ظاهرة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر أبا حيان[(٣)]، والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((وبدأ أولا بالوصف بالربوبية، فإن كان الرب بمعنى السيد، أو بمعنى المالك، أو بمعنى المعبود، كان صفة فعل للموصوف ا التصريف في الـ مسود

(١) الآية (٣) من سورة الفاتحة.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٢/١).

(٣) محمد بن يوسف بن علي بن حيان الأندلسي أبو حيان، ولد سنة (٦٥٤هـ)، كان إماما منتقَعا به، صنف تصانيف كثيرة من أشهرها "البحر المحيط" في التفسير توفي سنة (٧٤٥هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الداوودي (٢٨٧/٢)؛ طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٢٧٨)؛ طبقات الشافعية (٦٧/٣).

والمملوك والعابد بما أراد من الخير والشر، فناسب ذلك الوصف بالرحمانية والرحيمية، لينبسط أمل العبد في العفو إن زلّ، ويقْوى رجاؤه إن هفَا...، وإن كان بمعنى المصلح، كان الوصف بالرحمة مشعرا بقلة الإصلاح، لأنّ الحامل للشخص على إصلاح حال الشخص رحمته له، ومضمون الجملة والوصف أنّ من كان موصوفًا بالربوبية والرحمة للمربوبين كان مستحقا للحمد))(١).

- وقال البقاعي: ((لما كانت مرتبة الربوبية لا تستجمع الصلاح إلا بالرحمة؛ أتبع ذلك بصفتي ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ترغيبا في لزوم حمده))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن جميع المفسرين متفقين في بيان هذه المناسبة.

والذي يظهر أن المناسبة في هذه الآية الكريمة هي أن الله تعالى لما ذكر الربوبية التي تقتضي التصرف والسيادة في العالم؛ عقّبها بذكر هاتين الصفتين اللتين تستلزم الرحمة الكاملة للخلق أجمعين، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مجيء هذين الوصفين العليين بعد صفة الرب يعطي إشارة إلى المعنى المراد بهما، فموقعهما في هذا الموضع بالذات أظهر حاجة العباد الماسة إلى رحمة الرب ﷻ.

---

(١) البحر المحيط (٣٥/١).

(٢) نظم الدرر (١٤/١).

٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((إتباع الأوصاف الثّلاثة المتقدمة هذا ليس لمجرد سرد صفات من صفاته تعالى، بل هو مما أثارته الأوصاف المتقدمة، فإنه لّما وصف تعالى بأنه رب العالمين، الرحمن الرحيم، وكان ذلك مفيدا لما قدمناه من التنبيه على كمال رفقه تعالى بالمربوبين في سائر أكوانهم، ثم التنبيه بأن تصرفه تعالى في الأكوان والأطوار تصرف رحمة عند المعتبِر، وكان من جملة تلك التصرفات تصرفات الأمر والنهي المعبـَّر عنها بالتشريع الراجع إلى حفظ مصالح الناس عامة وخاصة، وكان معظم تلك التشريعات مشتملا على إخراج المكلّف عن داعية الهوى الذي يلائمه اتباعه، وفي نزعه عنه إرغام له ومشقةٌ؛ خيف أن تكون تلك الأوصاف المتقدمة في فاتحة الكتاب مخففًا عن المكلفين عبءَ العصيان لما أُمروا به، ومثيرا لأطماعهم في العفو عن استخفافهم بذلك، وأن يمتلكهم الطمع فيعتمدوا على ما علموا من الربوبية والرحمة المؤكدة فلا يخشوا غائلةَ الإعراض عن التكاليف؛ لذلك كان من مقتضى المقام تعقيبه بذكر أنه صاحب الحُكم في يوم الجزاء -يوم تجزى كل نفسٍ بما كسبت- لأن الجزاء على الفعل سبب في الامتثال والاجتناب لحفظ مصالح العالم، وأحيط ذلك بالوعد والوعيد، وجعلَ مصداق ذلك الجزاء يوم القيامة، ولذلك اختير هنا وصف ملك أو مالك مضافًا إلى يوم الدين))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((ثم لما بين الرحمة المضاعفة فكأنه قال: لا تغتروا بذلك فإني مالك يوم الدين))[(٣)].

---

(١) الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٣/١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٤٢/١).

- وقال أبو حيان: ((ولما اتصف تعالى بالرحمة، انبسط العبد وغلب عليه الرجاء، فنبه بصفة الـملك أو الـمالك ليكون من عمله على وجل، وأن لعمله يوما تظهر له فيه ثمرته من خير وشر))[١].

- وقال البقاعي: ((ولَما كان الرب المنعوت بالرحمة قد لا يكون مالكًا، وكانت الربوبية لا تتم إلا بالملك المفيد للعزة، المقرون بالهيبة المثمرة للبطش والقهر، المنتج لنفوذ الأمر؛ أتبع ذلك بقوله: ﴿ مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ﴾[٢]ترهيبا من سطوات مجده))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أنه لما جيء بصفتين تدلان على كمال الرحمة الإلهية؛ خيف أن يركن العباد إلى تلك الرحمة فيغلب عليهم جانب الرجاء على جانب الخوف ويحصل التقصير في حقوق الله تعالى، فأتبعت تلك الصفتان بما فيه تخويف للعباد، وتذكير لهم بيوم المعاد، ليكون رادعا لهم، وهو من باب قول الله تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ﴾[٤]، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مجيء هذه الآية الكريمة في هذا الموضع يعطي لنا معنى يفيد إعادة التوازن إلى السلوك الإنساني إذا انحرف عن جادة الطريق، وكبح جماح النفس، وتحذيرها من الركون المطلق إلى الرحمة الإلهية؛ إصلاحا لها، وحفاظًا عليها.

---

(١) البحر المحيط (٤٠/١).

(٢) الآية (٤) من سورة الفاتحة.

(٣) نظم الدرر (١٤/١).

(٤) الآيتان (٤٩،٥٠) من سورة الحجر.

٥- المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- ثلاث مناسبات في هذه الآية الكريمة.

المناسبة الأولى: مناسبة الآية لما قبلها، حيث قال: ((فإنّ الحامد لما حمد الله تعالى، ووصفه بعظيم الصفات؛ بلغت به الفكرة منتهاها، فتخيل نفسه في حضرة الربوبية، فخاطب ربه بالإقبال))[٢].

المناسبة الثانية: مناسبة الإتيان بضمير المتكلم، حيث قال: ((وفي العدول عن ضمير الواحد إلى الإتيان بضمير المتكلم المشارك الدلالة على أن هذه المحامد صادرة من جماعات ففيه إغاظة للمشركين، إذ يعلمون أن المسلمين صاروا في عزة ومنعة؛ ولأنه أبلغ في الثّناء من (أعبد) و(أستعين)؛ لئلا تخلو المناجاة عن ثناء، أيضا بأن المحمود المعبود المستعان قد شهد له الجماعات وعرفوا فضله...فكأن الحامد لما انتقل من الحمد إلى المناجاة لم يغادر فرصة يقتنص منها الثناء إلا انتهزها)) [٣].

المناسبة الثالثة: مناسبة تقديم قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قوله تعالى: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ حيث قال: ((ووجه تقديم قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على قـوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ أن العبادة تقرب للخالق تعالى، فهي أجدر بالتقديم في المناجاة، وأما الاستعانة فهي لنفع المخلوق للتيسير عليه، فناسب أن يقدم المناجي ما هو من عزمه وصنعه على ما يسأله مما يعين على ذلك، ولأن الاستعانة بالله تتركب على كونه معبودا للمستعين به، ولأن من جملة ما تطلب الإعانة عليه العبادة فكانت متقدمة على الاستعانة في التعقل، وقد حصل من ذلك التقديم أيضا إيفاء حق فواصل السورة المبنية على الحرف الساكن المتماثل أو القريب في مخرج اللسان)) [٤].

---

(١) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

(٢) التحرير والتنوير (١٧٩/١).

(٣) المصدر نفسه (١٨٦/١).

(٤) المصدر نفسه (١٨٦/١).

أقوال المفسرين في مناسبات هذه الآية:

- قال الرازي في حديثه عن المناسبة الأولى: ((فائدة الانتقال من لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب فيه وجوه:

الأول: أن المصلي كان أجنبيا عند الشروع في الصلاة، فلا جرم أثنى على الله بألفاظ المغايبة إلى قوله تعالى: ﴿مالك يوم الدين﴾، ثم إنه تعالى كأنه يقول له حمدتني وأقررت بكوني إلـها ربا رحمانا رحيما مالكًا ليوم الدين، فنِعم العبد أنت، قد رفعنا الحجاب، وأبدلنا البعد بالقرب، فتكلم بالمخاطبة وقل: ﴿إياك نعبد﴾.

الوجه الثاني: أن أحسن السؤال ما وقع على سبيل المشافهة، ألا ترى أن الأنبياء عليهم السلام لما سألوا ر م شافهوه بالسؤال؟

الوجه الثالث: أن من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿إياك نعبد﴾ ثناء، والثناء في الغيبة أولى، ومن قوله تعالى: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾ إلى آخر السورة دعاء، والدعاء في الحضور أولى))[1].

أما حديثه عن المناسبة الثانية فقال: ((لو قال إياك أعبد لكان ذلك تكبرا، ومعناه أني أنا العابد، أما لما قال إياك نعبد كان معناه أني واحد من عبيدك، فالأول تكبر، والثاني تواضع، ومن تواضع لله رفعه الله، ومن تكبر وضعه الله))[2].

وأما حديثه عن المناسبة الثالثة فقال: ((وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ يقتضي حصول رتبة عظيمة للنفس بعبادة الله تعالى، وذلك يورث العجب فأردف بقوله: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ليدل ذلك على أن تلك الرتبة الحاصلة بسبب العبادة ما حصلت من قـوة العبد، بل إنما حصلت بإعانـة الله، فالمقصود من ذكر قولـه: ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ إزالة العجب وإفناء تلك النخوة والكبر))[3].

(١) مفاتيح الغيب (٢٥٢/١).
(٢) المصدر نفسه (٢٤٧/١).
(٣) المصدر نفسه (٢٥٤/١).

- وقال أبو حيان في المناسبة الأولى: ((وفائدة الالتفات في (إياك نعبد) أنه لما ذكر أن الحمد لله المتصف بالربوبية والرحمة والملك لليوم المذكور؛ أقبل الحامد مخبِرا بأثر ذكره الحمد المستقر له منه ومن غيره، أنه وغيره يعبده ويخضع له))[١].

أما في المناسبة الثانية فقال: ((وكذلك أتى بالنون التي تكون له ولغيره، فكما أن الحمد يستغرق الحامدين، كذلك العبادة تستغرق المتكلم وغيره...ولأنه ذكر ذلك توطئة للدعاء في قوله: ﴿اهدنا﴾))[٢].

وأما في المناسبة الثالثة فقال: ((وقُدمت العبادة على الاستعانة لتقديم الوسيلة قبل طلب الحاجة لتحصل الإجابة إليها))[٣].

- وقال ابن عادل الحنبلي[٤]: ((وقَدم العبادةَ على الاستعانة؛ لأ ا وصلةٌ لطلب الحاجة))[٥].

ومن هذا النقل يتبين من كلام أهل التفسير أن في هذه الآية أكثر من مناسبة.

فالمناسبة الأولى: الالتفات في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٦]، فهو التفات من الغيبة إلى الحضور، فالعبد لما أثنى على الله تعالى في غيبته، تخيل كأنه في حضرة المولى ﷻ فخاطبه مباشرة بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

وهذا المناسبة وافق الطاهر فيها الرازي وأبا حيان.

---

(١) البحر المحيط (٤٢/١).

(٢) المصدر نفسه (٤٢/١).

(٣) المصدر نفسه (٤٢/١).

(٤) عمر بن علي، الشهير بابن عادل، الحنبلي الدمشقي، إمام علامة مفسر فاضل، صنف تفسير (اللباب في علوم الكتاب)، كانت وفاته بعد (٨٨٠هـ). ينظر: طبقات المفسرين، الأدنه وي (ص٤١٨)؛ الأعلام (٥٨/٥).

(٥) تفسير اللباب في علوم الكتاب، عمر بن علي بن عادل (٢٠١/١).

(٦) الآية (٥) من سورة الفاتحة.

والمناسبة الثانية: مناسبة مجي النون في (نعبد) بدلا من (أعبد).

فالطاهر يرى أن المناسبة هي الدلالة على الجماعة لإغاظة المشركين، والإشارة إلى أن الجماعات تشهد لله تعالى بالفضل وتثني عليه، إلى جانب مراعاة الفواصل، وبنحوه قال أبو حيان، وزاد أن هناك توطئةً للدعاء الذي يأتي بعد هذه الآية الكريمة.

والرازي يرى أن التعبير بـ (أعبد) فيه تكبر، أما التعبير بـ (نعبد) ففيه تواضع.

والذي يظهر أن رأي الطاهر في هذه المناسبة أولى، لأن المشركين كانوا يصابون بالغيظ الشديد كلما رأوا الناس يدخلون في الإسلام، وكلما رأوا أن عدد المسلمين في ازدياد. والله تعالى أعلم.

والمناسبة الثالثة: تقديم (إياك نعبد) على (إياك نستعين).

فالطاهر -رحمه الله- يرى أن المناسبة في ذلك هي أن العبادة تقرب للخالق سبحانه وتعالى، أما الاستعانة فهي نفع للمخلوق، إلى جانب مراعاة الفواصل، لذلك قُدمت العبادة على الاستعانة، و ـذا المعنى قال أبو حيان وابن عادل.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي إزالة العجب من نفس العبد، لأن قول: (إياك نعبد) يورث العجب ولإزالته أُردف بالقول: (وإياك نستعين).

والذي يظهر من هذا النقل أن جميع ما ذكره المفسرون يصلح أن يكون مناسبة لتقديم العبادة على الاستعانة، لأن كل مناسبة تؤدي إلى معنى مقبول، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبات:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذه الآية يراد ـا حصر العبادة والاستعانة على الله ﷻ مع تقرب العبد إليه بالثناء المصحوب بالتذلل والتواضع والخضوع، بحيث يستشعر قربه من ربه ﷻ استشعارا يقوي إيمانه به، ويشد من عزمه على أداء ما فرضه الله تبارك وتعالى عليه، كما أن هناك إشارةً إلى أهمّية الجماعة، وأ ـا علامة من علامات العزة والقوة، وبالمقابل خطورة التشرذم والتفرق.

٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((تهيأ لأصحاب هذه المناجاة أن يسعوا إلى طلب حظوظهم الشريفة من الهداية بعد أن حمدوا الله تعالى ووصفوه بصفات الجلالة، ثم أتبعوا ذلك بقولهم: (إياك نعبد وإياك نستعين)، الذي هو واسطةٌ جامع بين تمجيد الله تعالى وبين إظهار العبودية، وهي حظّ العبد بأنه عابد ومستعين، وأنه قاصر ذلك على الله تعالى، فكان ذلك واسطة بين الثّناء وبين الطلب، حتى إذا ظنّوا بربهم الإقبال عليهم، ورجوا من فضله؛ أفْضوا إلى سؤل حظهم فقالوا: (اهدنا الصراط المستقيم) ، فهو حظ الطالبين، خاصة لِما ينفعهم في عاجلهم وآجلهم.

فهذا هو التوجيه المناسب لكون الفاتحة بمنزلة الديباجة للكتاب الذي أنزل هدى للناس ورحمة، فتتنزل هاته الجملة مما قبلها منزلة المقصد من الديباجة، أو الموضوع من الخطبة، أو التخلص[٢] من القصيدة، ولاختلاف الجمل المتقدمة معها بالخبرية والإنشائية فصلت هذه عنهن، وهذا أولى في التوجيه من جعلها جوابا لسؤال مقَدر على ما ذهب إليه صاحب الكشاف[٣]))[٤].

وقد وافق الطاهر الرازي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ نهما متفقان في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((ولّما تم الوفاء بعهد الربوبية، وبعهد العبودية؛ ترتب عليه طلب الفائدة والثمرة، وهو قوله: ﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴾[٥]، وهذا ترتيب شريف رفيع عالٍ يمتنع في العقول حصول ترتيبٍ آخر أشرف منه))[٦].

---

(١) الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٢) التخلص: هو حسن الانتقال من المقدمة إلى الموضوع الرئيس في الكلام. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة (٥٩٦/٢).

(٣) قال الزمخشري في تفسير هذه الآية: ((كأنه قيل: كيف أعينكم؟ فقالوا: اهدنا الصراط المستقيم)). الكشاف: (١٢٠/١).

(٤) التحرير والتنوير (١٨٧/١).

(٥) الآية (٦) من سورة الفاتحة.

(٦) مفاتيح الغيب (٢٥٢/١).

وخالف هذا الرأي البقاعي فقال: ((فلما أشرق واستنار، وعرف مواقع الأسرار بالأقدار، كأنه قيل له: ماذا تطلب؟ وفي أي مذهبٍ تذهب؟ فقال: اهدنا الصراط المستقيم))[(١)].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة في هذه الآية هي أن طلب الهداية هو النتيجة والثمرة للإقرار بالربوبية والألوهية، فإن العبد لما أقر بربوبية الله تعالى، وأفرده بالعبادة، حق له أن يسأله وأن يدعوه، والله تعالى أعلم.

كما أن ما أورده البقاعي ووافق فيه صاحب الكشاف يصلح أن يكون مناسبة أيضاً من وجه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مجيء هذه الآية في هذا الموضع يدل على أن الطلب لا بد أن تسبقه مقدمة وتمهيد، وفي هذا تعليم وتأديب للمؤمنين.

وينطبق ذلك أيضا على افتتاح الدعاء بالحمد والثناء على الله تعالى، والصلاة والسلام على الرسول ﷺ قبل الطلب والسؤال.

---

(١) نظم الدرر (١٩/١).

الفصل الثاني

سورة البقرة

وفيه ثلاثة مباحث :

- المبحث الأول: وجه تسميتها.
- المبحث الثاني: أغراضها.
- المبحث الثالث: تناسب آيا ا، وأثره.

المبحث الأول: وجه تسميتها

ذكر الطاهر -رحمه الله- وجه تسمية سورة البقرة بهذا الاسم قبل أن يشرع في تفسير آياتها، حيث قال: ((ووجه تسميتها أنها ذُكرت فيها قصةُ البقرة التي أمر الله بني إسرائيل بذبحها لتكون آية، ووصف سوءَ فهمهم لذلك، وهي مما انفردت به هذه السورة بذكره.

وعندي أنها أضيفت إلى قصة البقرة تمييزا لها عن السور آل (الٓمٓ)[1] من الحروف المقطعة؛ لأنهم كانوا ربما جعلوا تلك الحروف المقطعة أسماءً للسور الواقعة هي فيها، وعرفوها بها نحو: طه، ويس، وص))[2].

من خلال ما سبق يتبين أن الطاهر يرجح أن وجـه تسميتها بسورة البقرة هو تمييزها عن السـور آل (الٓمٓ) على قول من يرى أن تلك الحروف أسماءٌ للسورِ الواقعة فيها.

والذي يظهر أن وجه تسميتها بهذا الاسم هو ذكر قصة البقرة فيها، وعجيب الحكمة منها، وغرابةُ أحداثها، وأضيفت إلى هذه القصة دون القَصصِ الأخرى التي وردت في السورة لما حوته من أحداث مثيرة، وجدال بني إسرائيل المتواصل مع موسى عليه السلام، ثم ارتباطها بقصة القتيل، وما فيها من إظهارٍ للحق، وإثبات لقدرة الخالق عز وجل. والله تعالى أعلم.

---

(١) سور آل (الٓمٓ) هي السور التي افتتحت بهذه الحروف المقطعة وهي سورة البقرة، وآل عمران، والعنكبوت، والروم، ولقمان، والسجدة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٠١/١).

المبحث الثاني: أغراضها

تنقسم أغراض سورة البقرة إلى قسمين:

■ **القسم الأول:** قسم يثبت سمو هذا الدين على ما سبقه، وعلو هديه.

وتندرج تحت هذا القسم الأغراض الآتية:

▫ الابتداء بالرمز إلى تحدي العرب المعاندين تحديا إجماليا بحروف التهجي المفتتح ا، رمزا يقتضي استشرافهم لما يرد بعده، وانتظارهم لبيان مقصده.

▫ التنويه بشأن القرآن، فتحول الرمز إيماءً له أشد وقْعٍ على نفوس المشركين.

▫ تصنيف الناس تجاه تلَقيهم هذا الكتاب وانتفاعهم ديه إلى أربعة أصناف:

الصنف الأول: المؤمنون، وابتدئ م لأ م أخص الأصناف انتفاعا ديه.

الصنف الثاني: المشركون، وثُنِي م لأ م أشد الأصناف عنادا وحقدا.

الصنف الثالث: المنافقون، وخصوا بالإطناب تشويها لنفاقهم، وإعلانا لدخائلهم.

الصنف الرابع: أهل الكتاب، وهم أشد الناس مقاومةً لهدي القرآن، وأنفذ الفرق قولا في عامة العرب، لأ م كانوا أهل علمٍ في زما م، فكانوا مظنة اقتداء العامة لهم، ولذلك أطنب القرآن في تذكيرهم بنعم الله، وأيامه لهم.

▫ قَرنُ اليهود والنصارى والمشركين في حسدهم المسلمين، والسخط على الشريعة الجديدة ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1] إلى قوله تعالى: ﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[2].

▫ ذكر الخلاف بين اليهود والنصارى، وادعاء كل فريقٍ أنه هو الـ محق[3].

---

(١) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١١٢) من سورة البقرة.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٣/١).

▫ التنويه بأن المشركين هم أظلم هؤلاء الأصناف الثلاثة؛ لأ م منعوا المسلمين من ذكر الله في المسجد الحرام، وسعوا بذلك في خرابه، وأ م تشا وا في ذلك هم واليهود والنصارى، واتحدوا في كراهية الإسلام.

▫ ذكر فضائل المسجد الحرام، وبانيه، ودعوته لذريته بالهدى، والاحتراز عن إجابتها في الذين كفروا منهم، وأن الإسلام على أساس ملة إبراهيم عليه السلام وهو التوحيد.

▫ التنويه بأن اليهودية والنصرانية ليستا ملة إبراهيم عليه السلام، وذُكروا بأن نسخ الشرائع هو لصلاح الأمم، وأنه لا يدع في نسخ شريعة التوراة أو الإنجيل بما هو خير منهما.

▫ محاجة المشركين بالاستدلال بآثار صنعة الله ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ﴾[1] الآية، ومحاجة المشركين في يوم يتبرؤون فيه من قاد م.

▫ إبطال مزاعم دين الفريقين فيما حرموه من المأكولات[2].

■ **القسم الثاني:** قسم تشريعات الإسلام، ويندرج تحت هذا القسم غرضان:

▫ التشريعات الإسلامية إجمالا، وذلك في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾[3].

▫ التشريعات الإسلامية تفصيلا، وتمثلت في القصاص، والوصية، والصيام، والاعتكاف، والحج، والجهاد، ونظام المعاشرة والعائلة، والمعاملات المالية، والإنفاق في سبيل الله، والصدقات، والمسكرات، واليتامى، والمواريث، والبيوع، والربا،

---

(١) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٤/١).

(٣) من الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

والديون، والإشهاد، والرهن، والنكاح، وأحكام النساء، والعدة، والطلاق، والرضاع، والنفقات، والأيمان(٤).

وختمت السورة بالدعاء المتضمن لخصائص الشريعة الإسلامية، وذلك من جوامع الكلم، فكان هذا الختام تذييلا وفذلكةً(٥) ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾(٦) الآيات.

وختم الطاهر حديثه عن أغراض السورة بقوله: ((وكانت في خلال ذلك كله أغراض شتى، سبقت في معرض الاستطراد(٧)في متفَرق المناسبات، تجديدا لنشاط القارئ والسامع، كما يسفر وجه الشمس إثر نزول الغيوث الهوامع(٨)، وتخرج بوادر الزهرِ عقب الرعود القوارع، من تمجيد الله وصفاته ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾(٩)، ورحمته وسماحة الإسلام، وضربِ أمثالٍ ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ﴾(١٠)، واستحضارِ نظائر ﴿وَإِنَّ مِنَ ٱلۡحِجَارَةِ﴾(١١)، ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ﴾(١٢)، وعلمٍ وحكمة، ومعاني الإيمان والإسلام، وتثبيت المسلمين ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَعِينُواْ

---

(٤) ينظر: التحرير والتنوير (٢٠٥/١).

(٥) الفَذلَكَة: كلمة محدَثة تعني مجمل ما فُصل وخلاصته، وهي منحوتة من (فلذلك). ينظر: المعجم الوسيط، باب الفاء (٧١١/٢).

(٦) من الآية (٢٨٤) من سورة البقرة.

(٧) الاستطراد: هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر متصل به. ينظر: الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني (٤٩٥/١)، ‌ اية الأرب في فنون الأدب (١١٩/٧).

(٨) هوامع: جمع همع، والهمع الماطر. ينظر: القاموس المحيط، مادة (همع)، باب العين، فصل الهاء (١٣٢/٣)؛ المعجم الوسيط، باب الهاء (١٠٣٦/٢).

(٩) من الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.

(١٠) من الآية (١٩) من سورة البقرة.

(١١) من الآية (٧٤) من سورة البقرة.

(١٢) من الآية (٢٤٣) من سورة البقرة.

بِٱلصَّبۡرِ﴾[1]، والكمالات الأصلية، والمزايا التحسينية، وأخذ الأعمال والمعاني من حقائقها وفوائدها لا من هيئا ا، وعدمِ الاعتداد بالمصطلحات إذا لم ترمِ إلى غايات ﴿وَلَيۡسَ ٱلۡبِرُّ بِأَن تَأۡتُواْ ٱلۡبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا﴾[2]، ﴿لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ﴾[3]، ﴿وَإِخۡرَاجُ أَهۡلِهِۦ مِنۡهُ أَكۡبَرُ عِندَ ٱللَّهِ﴾[4]، والنظرِ والاستدلالِ، ونظامِ الحاجة، وأخبارِ الأمم الماضية، والرسلِ وتفاضلهم، واختلاف الشرائع))[5].

---

(١) من الآية (١٥٣) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٨٩) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٧٧) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (٢١٧) من سورة البقرة.

(٥) التحرير والتنوير (٢٠٥/١).

المبحث الثالث: المناسبات في آيا ا، وأثرها.

٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((وتظهر المناسبة لوقوعهـا في فواتح السور أن كل سورة مقصودة بالإعجاز؛ لأن الله تعالى يقـول: ﴿فَأۡتُواْ بِسُورَةٖ مِّن مِّثۡلِهِۦ﴾[(٢)]، فناسب افتتاح ما به الإعجاز بالتمهيد لمحاولته، ويؤيد هذا القول أن التهجي ظاهر في هذا المقصد، فلذلك لم يسألوا عنه لظهور أمره، وأن التهجي معروف عندهم للتعليم، فإذا ذُكرت حروف الهجاء على تلك الكيفية المعهودة في التعليم في مقامٍ غير صالح للتعليم؛ عرف السامعون أ م عوملوا معاملة المتعلم؛ لأن حالهم كحاله في العجزِ عن الإتيان بكلام بليغ))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((قال الـمبرد[(٤)]: إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجا على الكفار، وذلك أن الرسول ﷺ لما تحداهم أن يأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، فعجزوا عنه؛ أنزلت هذه الحروف تنبيها على أن القرآن ليس إلا من هذه الحروف، وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفصاحة، فكان يجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دل ذلك على أنه من عند الله لا من البشر.

إن التكلم ذه الحروف، وإن كان معتادا لكل أحد، إلا أن كو ا مسماةً ذه الأسماء لا يعرفه إلا من اشتغل بالتعلم والاستفادة، فلما أخبر الرسول عليه السلام عنها

(١) الآية (١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٢١٢/١).

(٤) المبرد: هو محمد بن يزيد الثمالي الأزدي، أبو العباس، المعروف بالمبـرد، إمام العربية في زمانه (ت٢٨٦هـ)، وقيل (٢٨٥هـ)، ينظر: طبقات النحاة واللغويين، تقي الدين ابن قاضي شهبة (ص٢٨٠)؛ إنباه الرواة على أنباه النحاة، أبو الحسن علي القفطي (٢٤١/٣)؛ وفيات الأعيان (٣١٣/٤).

من غير سبقِ تعلمٍ واستفادة؛ كان ذلك إخبارا عن الغيب؛ فلهذا السبب قدم الله تعالى ذكرها ليكون أولُ ما يسمع من هذه السورة معجزةً دالةً على صدقه))(١).

- وقال أبو حيان: ((إن المشركين لما أعرضوا عن سماع القرآن بمكة؛ نزلت ليستغربوها فيفتحون لها أسماعهم، فيستمعون القرآن بعدها، فتجب عليهم الـحجة))(٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي حيث قال: ((إن الله تعالى إنما ذكرها احتجاجا على الكُفار، وذلك أن الرسول -عليه الصلاة والسلام- لما تحداهم أن يأتوا بِمثْلِ القرآن، أو بِعشرِ سورٍ، أو بسورة، فعجزوا عنه؛ أُنزلَت هذه الأحرف تنبيها على أن القرآن ليس إلاّ من هذه الأحرف، وأنتم قادرون عليها، وعارفون بقوانين الفَصاحة، فكان يجب أن تأتوا بِمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دلّ ذلك على أنه من عند الله لا من البشر)) (٣).

- وقال البقاعي: ((ولما كان معنى (الٓمٓ) هذا كتاب من جنس حروفكم التي قد فُقتم في التكلم بها سائر الخلق، فما عجزتم عن الإتيان بسورة من مثله إلا لأنه كلام الله؛ أنتج ذلك كماله))(٤).

- وقال الآلوسي: ((وأيضا افتتاح هذه السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح فيه أتم مناسبة لقصة البقرة التي سميت السورة بها))(٥).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في افتتاح السورة بهذه الحروف المقطعة هو تعجيز الكفار عن الإتيان بمثل هذا القرآن الكريم الذي هو من جِنس تلك الحروف.

وبهذا المعنى قال الرازي، وابن عادل الحنبلي، والبقاعي.

---

(١) مفاتيح الغيب (٦/٢).

(٢) البحر المحيط (٥٩/١).

(٣) اللباب (٢٥٨/١).

(٤) نظم الدرر (٣٣/١).

(٥) روح المعاني (١٤٠/١).

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي لفت انتباه المشركين وجعلهم في حالة من الذهول والاستغراب، ليلتفتوا إلى ما يتلى عليهم فتقوم عليهم الحجة.

وأما الآلوسي فيرى أن المناسبة في افتتاح السورة بالمبهم ثم تعقيبه بالواضح هي مناسبة لقصة البقرة التي وردت في السورة، حيث اكتنفها الإ ام والغموض في بدايتها، ثم أُعقبت بالإيضاح والبيان، ومستنده في ذلك أنه يرى أن الحروف المقطعة من المتشابه.

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة يظهر أن المناسبة في افتتاح هذه السورة الكريمة بالحروف المقطعة هو لفت انتباه المشركين، وشد أذها م إلى القرآن الكريم المؤلف من هذه الحروف التي يستعملو ا في كلامهم؛ لكي يثْبت عجزهم التام عن الإتيان بمثله. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المعنى المراد من هذه الأحرف المقطعة هو التحدي الذي واجه القرآنُ الكريم به المشركين وعجزوا عن الإتيان بمثله، وهناك إشارة إلى أن تحديهم جاء وما يتناسب مع ا ال الذي برعوا فيه، وهو البلاغة والفصاحة.

٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ لَا رَيۡبَۛ فِيهِۛ هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((فلا جرم أن كانت الإشارة في الآية باستعمال اسم الإشارة للبعيد لإظهار رفعة شأن هذا القرآن لجعله بعيد المنـزلة، وقد شاع في الكلام البليغ تمثيل الأمر الشريف بالشيء المرفوع في عزة المنال؛ لأن الشيء النفيس عزيز على أهله، فمن العادة أن يجعلوه في المرتفعات صونا له عن الدروس[٢]، وتناول كثرة الأيدي والابتذال، فالكتاب هنا لما ذُكر في مقام التحدي بمعارضته بما دلّت عليه حروف التهجي في (الٓمٓ)؛ كان كالشيء العزيز المنال بالنسبة إلى تناولهم إياه بالمعارضة، أو لأنه لصدق معانيه، ونفع إرشاده، بعيد عمن يتناوله بِهجرِ القول[٣]، كقولهم: (افتراه) وقولهم: (أساطير الأولين)))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((إن القرآن لما اشتمل على حكمٍ عظيمة، وعلومٍ كثيرة، يتعسر اطّلاع القُوة البشرية عليها بأسرها، والقرآن وإن كان حاضرا نظَرا إلى صورته، لكنه غائب نظرا إلى أسراره وحقائقه؛ فجاز أن يشار إليه كما يشار إلى البعيد الغائب))[٥].

الغائب))[٥].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((وإنما جيء هنا بإشارة البعيد تعظيما للمشار إليه، أو لأنه لما نزل من السماء إلى الأرض أشير بإشارة البعيد، أو لأنه كان موجودا بِنبيه عليه الصلاة والسلام، أو أنه أشير به إلى ما قضاه وقدره في اللوح المحفوظ))[٦].

---

(١) الآية (٢) من سورة البقرة.

(٢) الدروس: مصدر الفعل درس، أي: انطمس، وذهب أثره، وتقادم عهده. ينظر: القاموس المحيط، مادة (درس)، باب السين، فصل الدال (٣٣٩/٢)؛ المعجم الوسيط، باب الدال (٣٠٣/١).

(٣) الـهجر: الاستهزاء، والقبيح من القول. ينظر: القاموس المحيط، مادة (هجر)، باب الراء، فصل الهاء (٢٥٦/٢)؛ المعجم الوسيط، باب الهاء (١٠١٤/٢).

(٤) التحرير والتنوير (٢٢٠/١).

(٥) مفاتيح الغيب (١٣/٢).

(٦) اللباب (٢٦١/١).

- وقال البقاعي: ((فأشير إليه بأداة البعد، ولام الكمال في قوله: ﴿ذَٰلِكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾ لعلو مقداره بجلالة آثاره، وبعد رتبته عن نيل المطرودين))[1].

- وقال الآلوسي: ((الإشارة بذلك للتعظيم...، أو لأنه لما نزل عن حضرة الربوبية وصار بحضرتنا بعد، ومن أعطى غيره شيئًا، أو أوصله إليه، أو لاحظ وصوله؛ عبر عنه بذلك؛ لأنه بانفصاله عنه بعيد أو في حكمه، وقد قيل: كل ما ليس في يديك بعيد))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في استخدام اسم الإشارة الذي للبعيد في (ذلك) هي إظهار رفعة شأن القرآن الكريم؛ لجَـعله بعيد المنـزلة، وجعله كالشيء البعيد المنال في معارضة المشركين له.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي الإشارة إلى غياب أسراره وحقائقه، وحكَمه وعلومه.

وأما ابن عادل الحنبلي فيرى أنه يصلح أن تكون هناك أكثر من مناسبة في استخدام لام البعد.

فيرى أن المناسبة قد تكون التعظيم، وقد تكون الإشارة إلى نزول القرآن الكريم من السماء إلى الأرض، وقد تكون الإشارة إلى وجود القرآن بوجود الرسول ﷺ.

وهذا بعيد، فالقرآن موجود منذ الأزل، ومحفوظٌ بوجوده عليه الصلاة والسلام، وبعد وفاته، وقد تكون الإشارة إلى ما قضاه الله تعالى وقدره في اللوح المحفوظ.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي الإشارة إلى تعظيم القرآن الكريم.

وأما الآلوسي فيرى أنه يمكن أن تكون هناك مناسبتين، فالأولى التعظيم، والثانية الإشارة إلى انتقال الكتاب من حضرة الربوبية إلى حضرة البشرية.

---

(١) نظم الدرر (٣٣/١).

(٢) روح المعاني (١٤٣/١).

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة يتبين أن بعضها لم يخلُ من تكلّف بين وواضح في بيان هذه المناسبة، والذي يظهر أن ما ذكره الطاهر هو الأنسب والأوفق، كونه يرتبط ارتباطًا مباشرا بالمناسبة التي ذكرها في الآية الأولى، حيثُ اكتملت الصورة، وصارت أقرب إلى الأفهام، وأنسب في ربط مقصود الكلام، فإن الله تعالى بعد أن تحداهم بأن يأتوا بمثل القرآن وعجزوا، رفع من شأن القرآن وعظمه، وبين أنه بعيد عن محاولا م اليائسة، والرامية إلى الإساءة إليه، والإنقاص من قدره. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المعنى المراد من لام البعد في قوله: (ذلك) هو تعظيم شأن القرآن الكريم، والكناية عن بعده عن كيد الكائدين، وهناك إشارة إلى أن القرآن لن يستطيع أحد من المغرضين تحريفه، أو التشكيك فيه، والإشارة بذلك في أول القرآن يتمكن من النفس أي تمكن.

٩- المناسبات في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ وَبِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ يُوقِنُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- في هذه الآية الكريمة مناسبتين:

المناسبة الأولى: مناسبة عطف الاسم الموصول على الموصول قبله، حيث قال: ((ولما كان قصد تخصيصهم بالذكر يستلزم عطفهم، وكان العطف بدون تنبيه على أ م فريق آخر يوهم أن القرآن لا يهدي إلا الذين آمنوا بما أنزل من قبل، لأن هذه خاتمة الصفات فهي مرادة، فَيظَن أن الذين آمنوا عن شرك لا حظ لهم من هذا الثناء، وكيف وفيهم من خيرة المؤمنين من الصحابة؟ وهم أشد اتقاءً واهتداءً، إذ لم يكونوا أهلَ ترقبٍ لبعثة رسول من قبل، فاهتداؤهم نشأ عن توفيق رباني؛ دفع هذا الإيهام بإعادة الموصول ليؤذنَ بأن هؤلاء فريق آخر غير الفريق الذي أجريت عليهم الصفات الثلاث الأُول))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((فلما كانت هذه السورة مدنية، وقد شرف الله تعالى المسلمين بقوله: ﴿هُدٗى لِّلۡمُتَّقِينَ ٢ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾[3]، فذكر بعد ذلك أهلَ الكتاب الذين آمنوا بالرسول ﷺ...بقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبۡلِكَ﴾؛ لأن في هذا التخصيص بالذكر مزيد تشريف لهم، كما في قوله تعالى:﴿مَن

---

(١) الآية (٤) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٣٧/١).

(٣) الآيتان (٣،٢) من سورة البقرة.

كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾[١]...، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذلك العام))[٢].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((واعلم أن قوله: ﴿ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ ﴾[٣]عام يتناول كل من آمن بمحمد عليه الصلاة والسلام، سواء كان قبل ذلك مؤمنا بموسى وعيسى عليهما الصلاة والسلام، أو لم يكن مؤمنا بهما، ثم ذكر بعد ذلك هذه الآية وهي قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ ﴾[٤]يعني: التوراة والإنجيل؛ لأن في هذا التخصيص مزيد تشريف لهم كما في قوله: ﴿ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ ﴾...، فهذا هو السبب في ذكر هذا الخاص بعد ذكر العام))[٥].

- وقال البقاعي: ((ولما وصفهم بالإيمان جملةً أشار إلى تفصيله على وجه يدخل فيه أهل الكتاب دخولا أوليا فقال: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ﴾))[٦].

- وقال الآلوسي: ((عطف على الموصول الأول مفصولا[٧] وموصولا[٨]...وحيث وموصولا[٨]...وحيث إن المتبادر من العطف أن الإيمان بكل من المنزلَين على طريق الاستقلال؛ اختص ذلك بمؤمني أهل الكتاب؛ لأن إيمان غيرهم بما أنزل من قبل إنما هو على طريق الإجمال والتبع للإيمان بالقرآن، لا سيما في مقام المدح))[٩].

---

(١) من الآية (٩٨) من سورة البقرة.

(٢) مفاتيح الغيب (٣١/٢).

(٣) الآية (٣) من سورة البقرة.

(٤) الآية (٤) من سورة البقرة.

(٥) تفسير اللباب (٢٩٩/١).

(٦) نظم الدرر (٣٥/١).

(٧) أي مفصولٌ عن لفظ (للمتقين).

(٨) أي موصولٌ بلفظ (للمتقين) على أنه صفة للمتقين منصوب على المدح، أو خبر مبتدأ محذوف تقديره: (هم الذين).

(٩) روح المعاني (١٦٢/١).

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي تخصيص مؤمني أهل الكتاب بالذكر، تشريفًا وتكريما لهم، وسعيا إلى ترسيخ محبة الإسلام في نفوسهم، بعد أن شرف المسلمين بذكرهم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المراد بالذين وصفوا بالصفات الثلاث الأُول هم الذين آمنوا بعد أن كانوا مشركين، ويفهم ذلك من المقابلة، وعطف عليهم بمؤمني أهل الكتاب تخصيصا لهم من جانب، وتطمينا لمن آمن بعد شرك أن لهم حظا من الثناء من جانبٍ آخر.

المناسبة الثانية: مناسبة استخدام لفظ ﴿يوقنون﴾ عند ذكر الآخرة، حيث قال الطاهر: ((فالتعبير عن إيما م بالآخرة بمادة الإيقان؛ لأن هاته المادة تشعر بأنه علم حاصل عن تأملٍ، وغَوصِ الفكر في طريق الاستدلال، لأن الآخرة لما كانت حياةً غائبةً عن المشاهدة، غريبةً بحسب المتعارف، وقد كثرت الشبه التي جرت المشركين والدهريين على نفيها وإحالتها؛ كان الإيمان ا جديرا بمادة الإيقان، بناء على أنه أخص من الإيمان، فَلإيثارِ ﴿يوقنون﴾ هنا خصوصيةٌ مناسبةٌ لبلاغة القرآن، والذين جعلوا الإيقان والإيمان مترادفَين جعلوا ذكر الإيقان هنا رد التفننِ تجنبا لإعادة لفظ: ﴿يؤمنون﴾ بعد قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ﴾[(١)]))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((وغَاير بين الإيمان بالـمنـزل، والإيمان بالآخرة في اللفظ لزوال كلفة التكرار، وكان الإيقان هو الذي خص بالآخرة لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أُعد فيها من الثواب والعقاب السرمديين، وتفصيل أنواع التنعيم

(١) من الآية (٤) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٤٠/١).

والتعذيب، ونشأة أصحا ا، على خلاف النشأة الدنيوية، ورؤية الله تعالى، فالآخرة أغرب في الإيمان بالغيب من الكتاب الـمنـزل، فلذلك خص بلفظ الإيقان، ولأن الـمنـزلَ إلى الرسول ﷺ مشاهد أو كالمشاهد، والآخرة غَيب صرف، فَناسب تعليق اليقين بما كان غيبا صرفًا))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما كان الإيمان بالبعث من الدين بمكان عظيمٍ جِدا؛ بينه بالتقديم إظهارا لمزيد الاهتمام فقال: (وبالآخرة) أي التي هي دار الجزاء، ومحل التجلي، وكشف الغطاء، ونتيجة الأمر...ولـما تقَدم من الاهتمام عبر بالإيقان، وأتى بضمير الفصل فقال: ﴿ هُمۡ يُوقِنُونَ ﴾[٢]، لأن ذلك قائد إلى كل خير، وذائد عن كل ضير))[٣].

- وقال الآلوسي: ((وغاير سبحانه بين الإيمان بالـمنـزل، والإيمان بالآخرة، فلم يقل (وبالآخرة هم يؤمنون)، دفعا لكلفة التكرار، أو لكثرة غرائب متعلقات الآخرة، وما أُعد فيها من الثواب والعقاب، وتفصيل أنواع التنعيم والتعذيب، ونشأة أصحا ما، على خلاف النشأة الدنيوية، مع إثبات المعاد الجسماني كيفما كان، إلى غير ذلك مما هو أغرب من الإيمان بالكتاب الـمنـزل، حتى أنكره كثير من الناس، وخلا عن تفاصيله على ما عندنا التوراة والإنجيل...فناسب أن يقرن هذا الأمر المهم الغريب -الذي حارت عقول الكثيرين في إثباته، و افتوا على إنكاره افت الفراش على النار- بالإيقان، إظهارا لكمال المدح، وإبداءً لغاية الثناء))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي أنه لما كانت الآخرة عالَما غائبا عن تصور الذهن، وما فيها من غرائب الأحوال، ووقتها مما استأثر الله تعالى بعلمه؛ ناسب أن يعبر عنها بالإيقان.

(١) البحر المحيط (٧١/١).
(٢) الآية (٤) من سورة البقرة.
(٣) نظم الدرر (٣٦/١).
(٤) روح المعاني (١٦٦/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن التعبير بالإيقان عن الإيمان بالآخرة فيه دلالة على ضرورة تقوية الإيمان بذلك اليوم، كونه المآل الذي يؤول إليه الخلق، والزمان الذي يجازى فيه كل فرد بما عمل، كما أن لفظ (يوقنون) أعطى للآية نوعا بديعا من التجديد في استعمال الألفاظ، وإظهارا وإبرازا لسلاسة القرآن وبلاغته.

١٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((هذا انتقال من الثناء على الكتاب ومتقلديه، ووصف هديه، وأثر ذلك الهدى في الذين اهتدوا به، والثناء عليهم، الراجع إلى الثناء على الكتاب، لـمـا كان الثناء إنما يظهر إذا تحققت آثار الصفة التي استحق ا الثناء، ولـمـا كان الشيء قد يقَدر بضده؛ انتقل إلى الكلام على الذين لا يحصل لهم الاهتداء ذا الكتاب))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((مناسبة اتصال هذه الآية بما قبلها ظاهر، وهو أنه لما ذَكَر صفةَ من الكتاب له هدى، وهم المتقون الجامعون للأوصاف المؤدية إلى الفوز؛ ذكر صفةَ ضدهم، وهم الكفار المحتوم لهم بالوفاة على الكفر))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما أردف البيان لأوصاف المؤمنين التعريف بأحوال الكافرين، وكانوا قد انقسموا على مصارحين ومنافقين، وكان المنافقون قسمين -جهالا من مشركي العرب، وعلماء من كفار بني إسرائيل- ؛كان الأنسب -ليفْرغَ من قسمٍ برأسه على عجلٍ- البداءةَ أولا بالمصارحين، فذكر ما أراد من أمرهم في آيتين، لأن أمرهم أهون، وشأ م أيسر، لقَصدهم بما يوهنهم بالكلام أو بالسيف، على أن ذكرهم على وجه يعم جميع الأقسام، فقال مخاطبا لأعظم المنعم عليهم على وجه التسلية والإعجاز، في معرض الجواب لسؤالٍ من كأنه قال: هذا حال الكتاب للمؤمنين فما حاله للكافرين؟))[٤].

---

(١) الآية (٦) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٢٤٧/١).
(٣) البحر المحيط (٧٧/١).
(٤) نظم الدرر (٣٧/١).

ومن هذا النقل يتبين أن ما ذكره الطاهر في بيان هذه المناسبة لا يختلف كثيرا عن كلام أبي حيان، فهو يرى أن المناسبة هي التضاد الذي يبرز مقام المؤمنين، وثناء الله تعالى عليهم.

أما البقاعي فيرى أن هناك تسليةً، وتقدير سؤال.

ومع جلالة قدره، وطول باعه في علم المناسبات، إلا أنه لا يوجد في الآيات التي سبقتها ما يتطلّب التعقيب بالتسلية، وأما تقدير السؤال ففيه تكلّف من هذا الوجه. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه نجد أن مناسبة التضاد أبرزت لنا المعنى المراد، وجعلته أكثر وضوحا، فالآيات السابقة جاء فيها ذكر الهدى والمهتدين، وهذه الآية جاء فيها ذكر الضالين، وفيه إشارة إلى ارتباط الهدى بالكتاب المبين، وأن الكافرين ما ضلوا إلا لبعدهم عنه، وتكذيبهم به.

١١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية لما قبلها، حيث قال: ((هذه الجملة جارية مجرى التعليل للحكم السابق في قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾[٢]، وبيانٌ لسببه في الواقع، ليدفع بذلك تعجب المتعجبين من استواء الإنذار وعدمه عندهم، ومن عدم نفوذ الإيمان إلى نفوسهم مع وضوح دلائله، فإذا علم أن على قلو م ختما وعلى أسماعهم، وأن على أبصارهم غشاوة؛ علم سبب ذلك كله، وبطُل العجب، فالجملة استئناف بياني يفيد جواب سائل يسأل عن سبب كو م لا يؤمنون، وموقع هذه الجملة في نظم الكلام مقابل موقع جملة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدٗى مِّن رَّبِّهِمۡ﴾[٣]، فلهذه الجملة مكانةٌ بين ذَم أصحا ا، بمقدار ما لتلك من المكانة في الثناء على أربا ا))[٤].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أ م لا يؤمنون؛ أخبر في هذه الآية بالسبب الذي لأجله لم يؤمنوا، وهو الختم))[٥].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أنهم لا يؤمنون؛ أخبر في هذه الآية السبب الذي لأجله لم يؤمنوا، وهو الختم))[٦].

---

(١) الآية (٧) من سورة البقرة.
(٢) الآية (٦) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٥) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٢٥٤/١).
(٥) مفاتيح الغيب (٤٨/٢).
(٦) اللباب (٣٢٠/١).

- وقال البقاعي: ((ولما كان من أعجب العجب كون شيءٍ واحد يكون هدى لناسٍ دون ناسٍ؛ عللَ ذلك بقوله :﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ ﴾))[1].

ومن هذا النقل يتبين من كلام أهل التفسير أن هذه الآية جاءت لتزيل اللبس المتعلق بسبب عدم إيمان الكفار، والغرابة الحاصلة في عدم انتفاعهم بالإنذار، ولتبين السبب في ذلك، و ذا يظهر التئام الكلام وتمامه.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذه الآية جاءت معللةً للآية التي قبلها، ودلّت على أن العبد إذا ضل الصراط المستقيم، وحاد عن الحق المبين؛ استحق غضب الله تعالى، وحرمانه من الهداية، فلم يعد قلبه يحق حقا، ولا يبطل باطلا، ولم يعد سمعه يسمع الصواب، ولا بصره يبصر الآيات والمعجزات، وهناك إشارة إلى أن إزالةَ اللبس الذي قد يطرأ على الأذهان أمر مهم في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) نظم الدرر (٣٨/١).

١٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها، حيث قال: ((واعلم أن الآيات السابقة لما انتقلَ فيها من الثناء على القرآن بذكر المهتدين به بنوعيهم -الذين يؤمنون بالغيب، والذين يؤمنون بما أنزل إليك إلى آخر ما تقدم- وانتقلَ من الثناء عليهم إلى ذكر أضدادهم، وهم الكافرون الذين أريد م الكافرون صراحة وهم المشركون؛ كان السامع قد ظن أن الذين أظهروا الإيمان داخلون في قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾[(٢)]، فلم يكن السامع سائلا عن قسم آخر، وهم الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الشرك أو غيره، وهم المنافقون الذين هم المراد هنا، بدليل قوله: ﴿وَإِذَا لَقُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا﴾[(٣)]إلخ؛ لأنه لغرابته وندرة وصفه بحيث لا يخطر بالبال وجوده؛ ناسب أن يذكر أمره للسامعين))[(٤)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((لما ذَكَر أن الكتاب هدى لهم، وهم المتقون الذين جمعوا أوصاف الإيمان، من خلوص الاعتقاد، وأوصاف الإسلام من الأفعال البدنية والمالية، ولما ذَكَر ما آل أمرهم إليه في الدنيا من الهدى، وفي الآخرة من الفلاح، ثم أَعقب ذلك بمقابلهم من الكفار الذين ختم عليهم بعدم الإيمان، وختم لهم بما يؤولون إليه من

(١) الآية (٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٤) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٢٥٩/١).

العذاب في النيران، وبقي قسم ثالث أظهروا الإسلام مقَالا، وأبطنوا الكفر اعتقادا، وهم المنافقون، أخذ يذكر شيئًا من أحوالهم))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما افتتح سبحانه بالذين واطأت قلوبهم ألسنتهم في الإيمان، وثّنى با اهرين من الكافرين الذين طابق إعلانهم إسرارهم في الكفران؛ أتبعه ذكر المساترين الذين خالفت ألسنتهم قلوبهم في الإذعان، وهم المنافقون))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين حال المؤمنين، وحال الكافرين؛ خيف أن يغفَلَ المؤمنون عن حال فريق ثالث، جمع بين نقيضين، فأظهر الإسلام، وأبطن الكفر، فبين حالَ هذا الفريق، وفضح أقوالهم وأفعالهم، كو م أشد خطرا على المؤمنين من الكفار.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن بيان حال المنافقين، والتحذير منهم، بعد بيان حال المؤمنين، ثم الكافرين، فيه مزيد تحذير وتنبيه من شرهم، نظرا لخطور م على ا تمع، ولو سماهم الله تعالى بالمنافقين من أول وهلة لما كان في السياق ما يدعو إلى التنبه، لكن أشار إليهم بأ م يقولون آمنا بالله وباليوم الآخر، كما يقول المؤمنون، وبالتالي يصعب على المؤمن تمييزهم، فكان من الضروري أن يبين الله حقيقتهم في هذا الموضع.

(١) البحر المحيط (٨٧/١).
(٢) نظم الدرر (٣٩/١).

١٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها، حيث قال: ((استئناف ابتدائي ثُنِي به العنان إلى موعظة كل فريق من الفرق الأربع المتقدم ذكرها موعظة تليق بحاله، بعد أن قضى حق وصف كل فريق منهم بخلاله، ومثلت حالُ كل فريق، وضربت له أمثالُه، فإنه لما استوفى أحوالا للمؤمنين، وأضدادهم من المشركين والمنافقين؛ -لا جرم- تهيأ المقام لخطاب عمومهم بما ينفعهم إرشادا لهم، ورحمةً بهم، لأنه لا يرضى لهم الضلال، ولم يكن ما ذَكَر آنفًا من سوء صنعهم حائلا دون إعادة إرشادهم، والإقبال عليهم بالخطاب))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((لما قدم أحكام الفرق الثلاث -أعني المؤمنين والكفار والمنافقين-؛ أقبل عليهم بالخطاب، وهو من بـاب الالتفات المذكور في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾[(٣)]))[(٤)].

- وقال أبو حيان: ((ووجه مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه تعالى لما ذَكَر الـمكلفين من المؤمنين والكفار والمنافقين، وصفا بهم، وأحوالهم، وما يؤول إليه حال كل منهم؛ انتقل من الإخبار عنهم إلى خطاب النداء، وهو التفات شبيه بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ﴾، بعد قـوله: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[(٥)]، وهو من أنواع البلاغة

---

(١) الآية (٢١) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٣٢٣/١).
(٣) الآية (٥) من سورة الفاتحة.
(٤) مفاتيح الغيب (٨٢/٢).
(٥) الآية (٢) من سورة الفاتحة.

كما تقدم، إذ فيه هز للسامع، وتحريك له، إذ هو خروج من صنف إلى صنف، وليس هذا انتقَالا من الخطاب الخاص إلى الخطاب العام، كما زعم بعض المفسرين))(١).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما بين أحكام الفرقِ الثلاث -أعني المؤمنين والكفار والمنافقين-؛ أقبل عليهم بالخطاب وهو من باب الالتفات))(٢).

- وقال الآلوسي: ((لما بين سبحانه فرق المكلفين، وقسمهم إلى مؤمنين وكفار ومذبذبين...وشرح ما ترجع إليه أحوالهم دنيا وأخرى...؛ أقبل عز شأنه عليهم بالخطاب على ج الالتفات؛ هزا لهم إلى الإصغاء، وتوجيها لقلو م نحو التلقي، وجبرا لما في العبادة من الكلفة بلذيذ المخاطبة))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما استوفى ذكر أحوال المؤمنين، والمشركين، والمنافقين، استأنف الخطاب لهم جميعا؛ إرشادا لهم، ورحمةً م.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك إشارةً إلى رحمة الله ﷻ لعموم الناس، كما أن هناك تأنيسا لهم بعد أن هددهم، ولامهم، وذم صنيعهم، ليعلموا أن ديدهم، والقسوة عليهم، ما كانت إلا حرصا على صلاحهم.

---

(١) البحر المحيط (١٥٢/١).

(٢) اللباب (٤٠٥/١).

(٣) روح المعاني (٢٤٥/١).

١٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة، حيث قال: ((انتقال لإثبات الجُزء الثاني من جزئي الإيمان، بعد أن تم إثبات الجزء الأول من ذلك بما قدمه من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾(٢)إلخ، فتلك هي المناسبة التي اقتضت عطف هذه الجملة على جملة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾، ولأن النهي عن أن يجعلوا لله أندادا جاء من عند الله فهم بمظنة أن ينكروا أن الله ى عن عبادة شفعائه ومقربيه، لأ م من ضلالهم كانوا يدعون أن الله أمرهم بذلك...فقد اعتلوا لعبادة الأصنام بأن الله أقامها وسائط بينه وبينهم، فزادت ذا مناسبة عطف قوله: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ﴾ عقب قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣)))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام الدلائل القاهرة على إثبات الصانع، وأبطل القول بالشريك؛ عقبه بما يدل على النبوة))(٥).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما احتج تعالى عليهم بما يثبت الوحدانية ويبطل الإشراك، وعرّفهم أن من جعل لله شريكًا فهو بمعزل من العلم والتمييز؛ أخذ يحتج على من شك في النبوة بما يزيل شبهته، وهو كون القرآن معجزة،

---

(١) الآية (٢٣) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢١) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٢) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (٣٣٥/١).

(٥) مفاتيح الغيب (١١٥/٢).

وبين لهم كيف يعلمون أنه من عند الله أم من عنده، بأن يأتوا هم ومن يستعينون به بسورة من هذا))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه سبحانه لما أقام الدلائل القاطعة على إثبات الصانع، وأبطل القول بالشريك؛ عقبه بما يدلّ على النبوة))[٢].

- وقال البقاعي: ((ولما ثبتت هذه الأدلة، فوجب امتثال ما دعت إليه، ولم يبق لمتعنت شبهةٌ إلا أن يقول: لا أفعل حتى أعلم أن هذا الكتاب الذي تقَدم أنه الهدى كلام الله؛ قال مبينا إنه من عنده نظْما، كما كان من عنده معنى محققًا، ما ختم به التي قبلها من أن من توقف عما دعا إليه من التوحيد وغيره لا علم له بوجه))[٣].

- وقال الآلوسي: ((لما قرر سبحانه أمر توحيده بأحسن أسلوب؛ عقبه بما يدلّ على تصديق رسوله ﷺ))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أشار إلى ما يثبت ربوبيته في الآيتين السابقتين؛ عقّب بالإشارة إلى ما يثبت نبوة محمد ﷺ، و ذا يلتئم النظم، وتتجلى المناسبة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإقرار بوحدانية الله تعالى، والإيمان بما جاء به محمد ﷺ، أمران متلازمان لا ينفكان، وتلازمهما فيه مزيد تشريف لنبينا ﷺ، وأن إقرار اليهود والنصارى بربوبية الله تعالى دون الإقرار بنبوة محمد ﷺ لا ينفعهم شيئًا.

---

(١) البحر المحيط (١/١٦٦).

(٢) اللباب (١/٤٢٩).

(٣) نظم الدرر (١/٦١).

(٤) روح المعاني (١/٢٥٩).

١٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((وجعلُ جملة ﴿وَبَشِّرِ﴾ معطوفة على مجموع الجمل المسوقة؛ لبيان وصف عقاب الكافرين -يعني جميع الذي فُصلَ في قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمۡ فِي رَيۡبٖ﴾[(٢)]إلى قوله تعالى: ﴿أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٣)]- فَعطَف مجموع أخبارٍ عن ثواب المؤمنين، على مجموعِ أخبارٍ عن عقاب الكافرين، والمناسبة واضحة مسوغَةٌ لعطف المجموع على المجموع))[(٤)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة؛ تكلم بعدهما في المعاد، وبين عقاب الكافر، وثواب المطيع، ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذكر آيةً في الوعيد أن يعقبها بآية في الوعد))[(٥)].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ﴾ لما قبله ظاهرة، وذلك أنه لما ذَكَر ما تضمن ذكر الكفار، وما تؤول إليه حالهم في الآخرة، وكان ذلك من أبلغ التخويف والإنذار؛ أعقب ما تضمن ذكر مقابليهم، وأحوالهم، وما أعد الله لهم في الآخرة من النعيم السرمدي))[(٦)].

---

(١) الآية (٢٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٤) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (٣٥٠/١).

(٥) مفاتيح الغيب (١٢٢/٢).

(٦) البحر المحيط (١٧٨/١).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلَم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في التوحيد والنبوة؛ تكلم بعدهما في ذكر المَعاد، وبين عقاب الكافر، وثواب المُطيع، ومن عادة الله تعالى أنه إذا ذَكَر الوعيد، أَنْ يعقبه بذكر الوعد))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر ما لهم ترهيبا؛ أتبعه ما للمؤمنين ترغيبا))[٢].

- وقال الآلوسي: ((لما ذكر سبحانه وتعالى فيما تقدم الكفار، وما يؤول إليه حالهم في الآخرة، وكان في ذلك أبلغ التخويف والإنذار؛ عقب بالمؤمنين وما لهم، جريا على السنة الإلهية، من شفع الترغيب بالترهيب، والوعد بالوعيد، لأن من الناس من لا يجديه التخويف، ولا يجديه وينفعه اللطف، ومنهم عكس ذلك، فكأن هذا وما بعده معطوف على سابقه عطف القصة على القصة، والتناسب بينهما باعتبار أنه بيانٌ لحال الفريقين المتباينين، وكشف عن الوصفين المتقابلين))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي المقابلة بين حال الفريقين، فإن الله تعالى لما بين حال الكفار، وما توعدهم به من العقوبة، عقّب بذكر حال المؤمنين، وما وعدهم به من الثواب الجزيل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن وجود المقابلة بين جزاء الفريقين تجعل الموعظة جامعة بين الوعد والوعيد، فإذا لم تلن النفس بالترغيب جاء الترهيب ليوقظها، كما أن هناك إشارةً إلى أن بعض الأمور قد لا يدركها العقل إلا إذا جيء بما يقابلها ويضادها، ولما كان من أغراض القرآن هداية البشرية؛ جاء بمثل هذا الأسلوب ليوقظ به الأفهام.

---

(١) اللباب (٤٤٥/١).

(٢) نظم الدرر (٧١/١).

(٣) روح المعاني (٢٧٠/١).

١٦- المناسبات في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبتين في هذه الآية الكريمة.

المناسبة الأولى: مناسبتها لما قبلها، حيث قال: ((قد يبدو في بادئ النظر عدم التناسب بين مساق الآيات السالفة، ومساق هاته الآية، فبينما كانت الآية السابقة ثناء على هذا الكتاب المبين، ووصف حالَي المهتدين بهديه، والناكبين عن صراطه، وبيان إعجازه، والتحدي به، مع ما تخلل وأعقب ذلك من المواعظ والزواجر النافعة، والبيانات البالغة، والتمثيلات الرائعة؛ إذا بالكلام قد جاء بخبر بأن الله تعالى لا يعبأ أن يضرب مثلا بشيء حقير أو غير حقير.

فحقيق بالناظر عند التأمل أن تظهر له المناسبة لهذا الانتقال، ذلك أن الآيات السابقة اشتملت على تحدي البلغاء بأن يأتوا بسورة مثل القرآن، فلما عجزوا عن معارضة النظْم؛ سلكوا في المعارضة طريقة الطعن في المعاني، فلبسوا على الناس بأن في القرآن من سخيف المعنى ما ينـزه عنه كلام الله، ليصلُوا بذلك إلى إبطال أن يكون القرآن من عند الله بإلقاء الشك في نفوس المؤمنين، وبذر الخصيب في تنفير المشركين والمنافقين))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه بين بالدليل كون القرآن معجِزا، أورد هنا شبهة أوردها الكفار قدحا في ذلك، وأجاب عنها، وتقرير الشبهة أنه جاء في القرآن ذكْر النحل،

---

(١) الآية (٢٦) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٥٧/١).

والذباب، والعنكبوت، والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفصحاء، فاشتمال القرآن عليها يقدح في فصاحته فَضلا عن كونه معجِزا، فأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في الفصاحة إذا كان ذكرها مشتملا على حكمٍ بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها))(١).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية ظاهرة، إذ قد جرى قبل ذكر المثل بالمستوقد والصيب، ونزل التمثيل بالعنكبوت والذباب، فأنكر ذلك الجهلة وأهل العناد، واستغربوا ما ليس بِمستغربٍ ولا منكرٍ، إذ التمثيل يكشف المعنى ويوضح المطلوب...والعاقل إذا سمع التمثيل استبان له به الحق))(٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لَما بين كون القرآن معجِزا، أورد الكُفار هنا شبهةً قدحا في ذلك، وهي أنه جاء في القرآن ذكْر النحل، والعنكبوت، والنمل، وهذه الأشياء لا يليق ذكرها بكلام الفُصحاء، فاشتمالُ القرآن عليها يقدح في فصاحته، فَضلا عن كونه معجزا، وأجاب الله تعالى عنه بأن صغر هذه الأشياء لا يقدح في فصاحة، إذا كان ذكرها مشتملا على حكمٍ بالغة، فهذا هو الإشارة إلى كيفية تعلق هذه الآية بما قبلها))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما ثبت بعجزهم عن المعارضة أن هذا الكلام كلامه سبحانه؛ ثبت أن ما فيه من الأمثال أقواله، فهددهم في هذه السورة المدنية على العناد))(٤).

- وقال الآلوسي: ((ووجه ربطها بما تقدم على هذا، وكان المناسب عليه أن توضع في سورة العنكبوت مثَلا، أ ا جواب عن شبهة تورد على إقامة الحجة على حقية القرآن بأنه معجِز، فهي من الريب الذي هو في غاية الاضمحلال، فكان ذكرها هنا أنسب))(٥).

---

(١) مفاتيح الغيب (١٣١/٢).
(٢) البحر المحيط (١٩٤/١).
(٣) اللباب (٤٥٩/١).
(٤) نظم الدرر (٧٥/١).
(٥) روح المعاني (٢٧٨/١).

ومن هذا النقل يتبين أن مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها هو الرد القاطع على الكفار، وذلك بإثبات فصاحة القرآن وبلاغته في ضرب الأمثلة، فإن الله تعالى لما ضرب الأمثلة في القرآن الكريم بالعنكبوت وبالنحل؛ قَدح الكفار في فصاحته وبلاغته؛ فجاءت هذه الآية لترد هذه الفرية الباطلة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح المنهج الإلهي في الرد على المشككين في صدق القرآن وفصاحته وبلاغته، وأنه من عند الله، وذلك من خلال الرد عليهم بالقدرة على التمثيل بما هو أحقر وأضعف مما ذكروه في مطاعنهم، ليزهق الله تبارك وتعالى أدنى مطعن قد يطعنون القرآن الكريم من خلاله.

المناسبة الثانية: مناسبة تأخير نزول الآية عن الآيات التي وقع فيها التمثيل الذي أنكره الكفار، حيث قال الطاهر: ((فإن قيل: لم يكن الرد عقب نزول الآيات الواقع فيها التمثيل الذي أنكروه، فإن البدار بالرد على من في مقاله شبهة رائجة يكون أقطع لشبهته من تأخيره زمانا؛ قلنا: الوجه في تأخير نزولها أن يقع الرد بعد الإتيان بأمثال معجِبة اقتضاها مقام تشبيه الهيآت، فذلك كما يمنع الكريم عدوه من عطاءٍ فيلمزه الممنوع بلمزِ البخل، أو يتأخر الكَمي[1]عن ساحة القتال مكيدةً فَيظُنه ناس جبنا، فَيسِرها الأولُ في نفسه، حتى يأتيه القاصد فيعطيه عطاءً جزلا، والثاني حتى يكر كرةً تكون القاضية على قرنِه[2]، فكذلك لما أتى القرآنُ بأعظم الأمثال وأروعها، وهي قوله تعالى: ﴿مَثَلُهُمۡ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسۡتَوۡقَدَ﴾[3]، ﴿أَوۡ كَصَيِّبٍ﴾[4]الآيات، وقوله تعالى:

---

(١) الكَمي: الشجاع أو لابس السلاح. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (كمي)، باب: الياء، فصل الكاف (٤/٥٥٦)؛ مختار الصحاح، باب الكاف (٥٧٩)؛ المعجم الوسيط، باب الكاف (٢/٨٣٥).

(٢) القرن: بكسر الراء كفؤ الإنسان ومثيله في الشدة والشجاعة. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م مادة (قرن)، باب النون، فصل القاف (٤/٣٦٦)؛ مختار الصحاح، باب القاف (٥٧٩)؛ المعجم الوسيط، باب القاف (٢/٧٦٥).

(٣) من الآية (١٧) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (١٩) من سورة البقرة.

﴿ صُمٌّ بُكْمٌ عُمْىٌ ﴾[١]؛ أتى إثْر ذلك بالرد عليهم. فهذا يبين لك مناسبة نزول هذه الآية عقب التي قبلها، وقد غفل عن بيانه المفسرون))[٢].

وصدق الطاهر حين قال: ((وقد غفل عن بيانه المفسرون)) بعد أن بين مناسبة تأخير نزول هذه الآية إلى هذا الموضع، فلم يقل بهذه المناسبة أحد قبله -في حدود اطلاعي- وهذا مما تفرد به من المناسبات.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن في هذه المناسبة إشارة إلى عنصر المباغتة في الرد على المنكر، خصوصا بعد أن يتمكن الاعتقاد الباطل من نفسه أي تمكن، وإذ بالرد المباغت يأتيه فيترك في نفسه أثرا قويا يساوي قوة إنكاره، وقد يفوقها.

---

(١) من الآية (١٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٥٩/١).

١٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ثُنِي عنان الخطاب إلى الناس الذين خوطبوا بقوله آنفا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ﴾[2]بعد أن عقب بأفانين من الجمل المعترضة من قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي﴾[3]إلى قوله: ﴿ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾[4]، وليس في قوله: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾ تناسب مع قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا﴾[5]وما بعده، مما حكى عن الذين كفروا في قولهم: ﴿مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗا﴾[6]، حتى يكون الانتقـال إلى الخطاب في قوله: ﴿تَكۡفُرُونَ﴾ التفاتا، فالمناسبة بين موقع هاته الآية بعد ما قبلها هي مناسبة اتحاد الغرض بعد استيفاء ما تخلل واعترض.

ومن بديع المناسبة، وفائق التفنن في ضروب الانتقالات في المخاطبات أن كانت العلل التي قُرن ا الأمر بعبادة الله تعالى في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾ إلخ، هي العلل التي قُرن ا إنكار ضد العبادة، وهو الكفر به تعالى في قوله هنا: ﴿كَيۡفَ تَكۡفُرُونَ بِٱللَّهِ﴾، فقال فيما تقدم: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ﴾[7]الآية، وقال هنا: ﴿وَكُنتُمۡ أَمۡوَٰتٗا فَأَحۡيَٰكُمۡۖ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢٨ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَ

(١) الآية (٢٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢١) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٥) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٢٧) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٧) الآيتان (٢٢،٢١) من سورة البقرة.

لَكُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾[(١)]، وكان ذلك مبدأ التخلص إلى ما سيرد من بيان ابتداء إنشاء نوع الإنسان وتكوينه وأطواره))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما تكلم في دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد إلى هذا الموضع، فمن هذا الموضع إلى قوله: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ﴾[(٣)]في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين))[(٤)].

- وقال أبو حيان: ((وهذا الخطاب فيه التفات، لأن الكلام قبلُ كان بصورة الغيبة، ألا ترى إلى قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[(٥)]إلى آخره؟ وفائدة هذا الالتفات أن الإنكار إذا توجه إلى المخاطَب كان أبلغ من توجهه إلى الغائب، لجواز أن لا يصله الإنكار، بخلاف من كان مخاطَبا، فإن الإنكار عليه أردع له عن أن يقع فيما أُنكر عليه))[(٦)].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما تكلّم في دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد؛ شرع في شرح النعم التي عمت جميع المكلفين، فالمراد بهذا الاستخبار التبكيت والتعنيف))[(٧)].

- وقال البقاعي: ((ولما دعا سبحانه إلى التوحيد، ودل عليه، وأنذر من أعرض، وبشر من أقبل، وذَكَر حال الفريقين في قبول الأدلة التي زبدتها الأمثال؛ التفت إلى تبكيت الـمدبِر لعلّه يستبصر، واستمر سبحانه في دلائل التوحيد حتى قامت قيام

(١) الآيتان (٢٨،٢٩) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٣٧٣/١).
(٣) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٤) مفاتيح الغيب (١٤٩/٢).
(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.
(٦) البحر المحيط (٢٠٩/١).
(٧) اللباب (٤٨٠/١).

الأعلام، ونفَذَت نفوذَ السهام، حتى تخللَت صميم العظام، لقد ظهرت فلا تخفى على أحد، إلا على أكْمه لا يبصر القَمر، في أسلوبٍ مشيرا إلى البعث، منبها على التخلص من الخسارة، وما أبدع افتتاح ذلك عقب ﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾[1] بقوله -على طريق التفات المغضب المستعطف المعجب- : ﴿كَيْفَ﴾))[2].

- وقال الآلوسي: ((التفات إلى خطاب أولئك، بعد أن عدد قبائحهم المستدعيةَ لمزيد سخطه تعالى عليهم، والإنكار إذا وجه إلى المخاطَب؛ كان أبلغ من توجيهه إلى الغائب، وأردع له، لجواز أن لا يصله))[3].

ومن خلال هذا النقل يظهر تباين أقوال المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة.

فالطاهر لا يرى أن هناك تناسبا بين هذه الآية الكريمة وبين الآيتين اللتين سبقتها، ولذلك لا يرى أن فيها التفاتا.

والذي اختاره الطاهر هو أن التناسب حاصل بين هذه الآية وبين قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[4]، وهو ما سماه مناسبة اتحاد الغرض، بعد استيفاء ما تخلل واعترض.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فيريان أن المناسبة هي النتيجة للمقدمة والتوطئة التي وردت في الآيات التي قبلها، ودلّت على التوحيد والنبوة.

وأما أبو حيان والبقاعي والآلوسي فيرون أن المناسبة هي الالتفات من الغيبة في قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾[5]، إلى الحضور في قوله تعالى: ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ﴾[6].

---

(١) من الآية (٢٧) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٧٩/١).

(٣) روح المعاني (٢٨٧/١).

(٤) الآية (٢١) من سورة البقرة.

(٥) من الآية (٢٦) من سورة البقرة.

(٦) الآية (٢٨) من سورة البقرة.

ومن خلال استعراض الأقوال السابقة يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية الكريمة، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الجمل المعترضة بين أمرين متحدين في الغرض تعمد إلى تنشيط السامع، وتجدد نشاطه، ولذلك ينبغي أن تكون تلك الجمل مقتضبةً، حتى لا تخرج السامع عن الغرض الأساسي الذي خوطب من أجله، وبذلك يتحقق الغرض، وتتم الفائدة.

١٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطَفَت الواو قصةَ خلْقِ أول البشر على قصة خلق السموات والأرض، انتقَالا م في الاستدلال على أن الله واحد، وعلى بطلان شركهم، وتخلصا من ذكر خلق السموات والأرض إلى خلق النوع الذي هو سلطان الأرض، والمتصرف في أحوالها))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبتها لما قبلها أنه لما امتن عليهم بخلق ما في الأرض لهم، وكان قبله إخراجهم من العدم إلى الوجود؛ أتبع ذلك ببدء خلقهم، وامتن عليهم بتشريف أبيهم، وتكريمه، وجعله خليفةً، وإسكانِه دار كرامته، وإسجاد الملائكة تعظيما لشأنه، وتنبيها على مكانه، واختصاصه بالعلم الذي به كمالُ الذات، وتمام الصفَات))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر الحياة والموت المشاهدين تنبيها على القدرة على ما اتبعهما به من البعث، ثم دلّ على ذلك أيضا بخلق هذا الكون كله على هذا النظام البديع، وختم ذلك بصفة العلم؛ ذَكَر ابتداء خلق هذا النوع البشري))[(٤)].

- وقال الآلوسي: ((لما امتن سبحانه على من تقَدم بما تقَدم؛ أتبع ذلك بنعمة عامة، وكرامة تامة، والإحسانُ إلى الأصل إحسانٌ إلى الفرع))[(٥)].

---

(١) الآية (٣٠) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٣٩٥/١).

(٣) البحر المحيط (٢٢٤/١).

(٤) نظم الدرر (٨٣/١).

(٥) روح المعاني (٢٩٥/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين قصة خلق أعظم مخلوقاته، المتمثلة في خلق السموات والأرض، عقبها بذكر قصة أشرف مخلوقاته الذي هو الإنسان، تكريما وتشريفًا له.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الغرض من خلق ما في الأرض هو من أجل خدمة الإنسان، وقضاء حوائجه، وفي هذا مزيد تشريف وتكريم لأصل الإنسان، ولا شك أن الفرع يلحق به.

١٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُواْ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴾[(١)].

ذكر الطاهر المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((وغُير أسلوب إسناد القول إلى الله فَأُتيَ به مسندا إلى ضمير العظمة ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾، وأُتيَ به في الآية السابقة مسندا إلى رب النبيء ﷺ ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾[(٢)]للتفنن، ولأنّ القول هنا تضمن أمرا بفعلٍ فيه غَضاضةٌ على المأمورين، فناسبه إظهار عظمة الآمر، وأما القول السابق فَمجرد إعلامٍ من الله بمراده، ليظهر رأيهم، ولقصد اقتران الاستشارة بمبدأ تكوين الذات الأولى من نوع الإنسان، المحتاج إلى التشاور، فناسبه الإسناد إلى الموصوف بالربوبية المؤذنة بتدبير شأن المربوبين، وأُضيف إلى ضمير أشرف المربوبين -وهو النبيء ﷺ- كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾[(٣)].

وقد وافق الطاهر الآلوسي في بيان هذه المناسبة، حيث قال: ((وغَير سبحانه الأسلوب حيث قال أولا: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾، وهنا ﴿ وَإِذْ قُلْنَا ﴾ بضمير العظَمة لأنّ في الأول خلْق آدم واستخلافه، فناسب ذكر الربوبية مضافًا إلى أحب خلفائه إليه، وهنا المقام مقام إيراد أمر يناسب العظمة، وأيضا في السجود تعظيم، فلما أمر بفعله لغيره أشار إلى كبريائه الغنية عن التعظيم))[(٤)].

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق ذكره يتضح أن استخدام الضمائر في سياق الكلام له أثر في الدلالة على المعنى المراد، ويهيئُ النفس لتقَبل ما يوجه إليها.

---

(١) الآية (٣٤) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٣٠) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٤٢١/١).

(٤) روح المعاني (٣١٠/١).

٢٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((انتقال من موعظة المشركين إلى موعظة الكافرين من أهل الكتاب، وبذلك تتم موعظة الفرق المتقدم ذكرها، لأن فريق المنافقين لا يعدوا أن يكونوا من المشركين، أو من أهل الكتاب اليهود، ووجه الخطاب هنا إلى بني إسرائيل -وهم أشهر الأمم المتدينة، ذات الكتاب الشهير، والشريعة الواسعة- وذلك لأن هذا القرآن جاء يهدي للتي هي أقوم، فكانت هاته السورة -التي هي فسطاطه- مشتملة على الغرض الذي جاء لأجله، وقد جاء الوفاء بهذا الغرض على أبدع الأساليب، وأكمل وجوه البلاغة، فكانت فاتحتها في التنويه بشأن هذا الكتاب، وآثار هديه، وما يكتسب متبعوه من الفلاح، دنيا وأخرى، وبالتحذير من سوء مغبة من يعرض عن هديه، ويتنكب طريقه، ووصف في خلال ذلك أحوال الناس تجاه تلقي هذا الكتاب من مؤمن، وكافر، ومنافق، بعد ذلك أقبل على أصناف أولئك بالدعوة إلى المقصود، وقد انحصرت الأصناف الثلاثة من الناس الـمتلقين لهذا الكتاب -بالنسبة لحالهم تجاه الدعوة الإسلامية- في صنفين، لأنهم إما مشرك، أو متدين -أي كتابي- إذ قد اندرج صنف المنافقين في الصنف المتدين، لأنهم من اليهود كما قدمناه، فدعا المشركين إلى عبادته تعالى...ولما قضى ذلك كله حقه؛ أقبل بالخطاب هنا على الصنف الثاني، وهم أهل الشرائع والكتاب، وخص من بينهم بني إسرائيل، لأنهم أمثل أمة ذات كتاب مشهور في العالم كله، وهم الأوحداء بهذا الوصف من المتكلمين باللغة العربية، الساكنين المدينة وما حولها، وهم أيضا الذين ظهر منهم العناد والنواء لهذا الدين، ومن أجل ذلك لم يدع اليهود إلى توحيد، ولا اعتراف بالخالق، لأنهم موحدون، ولكنه دعاهم إلى تذكر نعم الله عليهم، وإلى ما كانت تلاقيه أنبياؤهم من مكذبيهم، ليذكروا أن تلك سنة الله، وليرجعوا على أنفسهم

(١) الآية (٤٠) من سورة البقرة.

بمثل ما كانوا يؤنبون به من كذب أنبياءهم، وذكرهم ببشارات رسلهم وأنبيائهم بنبيٍ يأتي بعدهم))(١).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما أقام دلائل التوحيد والنبوة والمعاد أولا، ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر؛ عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود، كسرا لعنادهم ولَجاجهم بتذكير النعم السالفة، واستمالةً لقلو م بسببها، وتنبيها على ما يدل على نبوة محمد ﷺ من حيث كو ا إخبارا عن الغيب))(٢).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة الكلام معهم هنا ظاهرة، وذلك أن هذه السورة افتتحت بذكر الكتاب، وأن فيه هدى للمؤمنين، ثم أعقَب ذلك بذكْرِ الكفار المختوم عليهم بالشقاوة، ثم بذكْرِ المنافقين، وذكْرِ جملٍ من أحوالهم، ثم أَمرِ الناس قاطبةً بعبادة الله تعالى، ثم ذكرِ إعجاز القرآن، إلى غير ذلك مما ذَكره ،ثم نبههم بذكر أصلهم آدم، وما جرى له من أكله من الشجرة بعد النهي عنه، وأن الحامل له على ذلك إبليس، وكانت هاتان الطائفتان -أعني اليهود والنصارى- أهل كتاب، مظهرين اتباع الرسل، والاقتداء بما جاء عن الله تعالى، وقد اندرج ذكْرهم عموما في قوله: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ﴾(٣)، فَجرد ذكرهم هنا خصوصا، إذ قد سبق الكلام مع المشركين والمنافقين، وبقي الكلام مع اليهود والنصارى، فتكلم معهم هنا، وذُكروا ما يقتضي لهم الإيمان ـذا الكتاب، كما آمنوا بكتبهم السابقة، إلى آخر الكلام معهم...وناسب الكلام معهم قصة آدم، على نبينا وعليه الصلاة والسلام، لأ ـم بعد ما أوتوا من البيان الواضح والدليل اللائح، المذكور ذلك في التوراة والإنجيل، من

(١) التحرير والتنوير (٤٤٧/١).

(٢) مفاتيح الغيب (٢٩/٣).

(٣) الآية (٢١) من سورة البقرة.

الإيفاء بالعهد والإيمان بالقرآن، ظهر منهم ضد ذلك بكفرهم بالقرآن ومن جاء به، وأقبل عليهم بالنداء ليحركهم لسماع ما يرِد عليهم من الأوامر والنواهي))[(١)].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه لما أقام دلائل التوحيد، والنبوة، والمعاد أولا، ثم عقبها بذكر الإنعامات العامة لكل البشر؛ عقبها بذكر الإنعامات الخاصة على أسلاف اليهود، استمالةً لقلو م، وتنبيها على ما يدلّ على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، من حيث كو ا إخبارا عن الغيب، موافقًا لما كان موجودا في التوراة والإنجيل من غير تعلّم، ولا تتلمذ))[(٢)].

ومن خلال هذا النقل يتبين أن المناسبة هي استمالة بني إسرائيل، وتذكيرهم بنعم الله عليهم، والتي عرفوها من خلال كتبهم، وما أخبر به نبيه ﷺ، ليكون رادعا لهم عن الاستمرار في طريق الكفر بنبوته ﷺ، وإشارة إلى صدق الرسول عليه الصلاة والسلام فيما جاء به من عند ربه، كونه أخبر عن مننِ الله على بني إسرائيل، وهذا لا يتأتى إلا لشخص درس التوراة والإنجيل، وعلم ما فيهما من تلك المنن، ومعلوم لديهم أن الرسول ﷺ لم يدرس شيئا منها، فدلّ ذلك وأكّد أنه صلوات الله وسلامه عليه تلَقّى ذلك عن ربه ﷻ.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العبد إذا ابتعد عن الحق، فإن من أفضل الوسائل لإعادته إلى رشده وصوابه تذكيره بنعم الله عليه، لما في ذلك من استمالة له، وتذكير بحاجته المستمرة لربه ﷻ.

---

(١) البحر المحيط (٢٨٠/١).

(٢) اللباب (٣/٢).

٢١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُواْ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة التعبير بـ (اتقون) في هذه الآية الكريمة حيث قال: ((القول فيه كالقول في ﴿ وَإِيَّٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾[٢]، إلا أن التعبير في الأول بـ (ارهبون)، وفي الثاني بـ (اتقون)؛ لأن الرهبة مقدمةُ التقوى، إذ التقوى رهبةٌ معتبر فيها العمل بالمأمورات، واجتناب المنهيات، بخلاف مطلَق الرهبة، فإ ا اعتقاد وانفعال دون عمل، ولأن الآية المتقدمة تأمرهم بالوفاء بالعهد، فناسبها أن يخوفُوا من نكْثه، وهذه الآية تأمرهم بالإيمان بالقرآن الذي منعهم منه بقية دهمائهم، فناسبها الأمر بأن لا يتقوا إلا الله))[٣].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال ابن عادل الحنبلي: ((وقال هنا: ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾، وهناك: ﴿ فَٱرْهَبُونِ ﴾ لأن ترك المأمور به هناك معصية، وهي ترك ذكر النعمة والإيفاء بالعهد، وهنا ترك الإيمان بالـمنـزل والاشتراء به ثمنا قَليلا كُفْر، فناسب ذكر الرهب هناك؛ لأنه أخف يجوز العفو عنه لكونه معصية، وذكر التقوى هنا؛ لأنه كفر لا يجوز العفو عنه؛ لأن التقوى اتخاذ الوقاية لما هو كائن لا بد منه))[٤].

- وقال الآلوسي ((وإنما ذكر في الآية الأولى ﴿ فَٱرْهَبُونِ ﴾ وهنا ﴿ فَٱتَّقُونِ ﴾، لأن الرهبة دون التقوى، فحيثما خاطب الكافة -عالـمهم ومقلدهم- وحثهم على ذكر النعمة التي يشتركون فيها؛ أمرهم بالرهبة التي تورث التقوى، ويقع فيها الاشتراك، ولذا قيل: الخشية ملاك الأمر كله، وحيثما أراد بالخطاب -فيما بعد-

(١) الآية (٤١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٤٦٩/١).

(٤) اللباب (١٨/٢).

العلماءَ منهم، وحثّهم على الإيمان، ومراعاة الآيات؛ أمرهم بالتقوى التي أولها ترك المحظورات، وآخرها التبري مما سوى غاية الغايات))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن التقوى نتيجة للرهبة، وأن الآية الأولى لما جاء الأمر فيها بالوفاء بالعهد؛ ناسبه التخويف من نكثه، وأن الآية الثانية لما جاء الأمر فيها بالإيمان بالقرآن، وكان أهل السوء يحذرون من الإيمان به؛ ناسبه الأمر بأن لا يتقوا غير الله سبحانه.

و ـذا المعنى قال ابن عادل الحنبلي.

أما الآلوسي فيرى أن المناسبة مرتبطة بِمن وجه له الخطاب، فإن كان الخطاب عاما ناسبه الأمر بالرهبة المُورثة للتقوى، وإن كان الخطاب خاصا ناسبه الأمر بالتقوى.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر في بيان هذه المناسبة أَولى، كونه أنسب للسياق في كلا الآيتين، فكل آية ذُيلت بأمر يناسب السياق فيها. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن التقوى لا تتطابق في معناها مع الرهبة، فالتقوى هي امتثال الأوامر، واجتناب النواهي من الكبائر، وعدم الاسترسال في الصغائر، ظاهرا وباطنا، وهي نتيجة حتمية للرهبة، أما الرهبة فهي الخوف، وهي مقدمة التقوى.

---

(١) روح المعاني (٣٣٢/١).

٢٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية فقال: ((ولأن الزكاة إنفاق المال، وهو عزيز على النفس، فلا يبذله المرء في غير ما ينفعه إلا عن اعتقاد نفعٍ أخروي، لا سيما إذا كان ذلك المال ينفَق على العدو في الدين؛ فلذلك عقب الأمر بالإيمان بالأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، لأ ما لا يتجشمهما إلا مؤمن صادق))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أن الله سبحانه وتعالى لما أمرهم بالإيمان أولا، ثم اهم عن لبس الحق بالباطل، وكتمان دلائل النبوة ثانيا؛ ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع، وذكر من جملة الشرائع ما كان كالمقدم والأصل فيها، وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية، والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية))(٣).

- وقال أبو حيان: ((أمرهم بعد تحصيل الإيمان، وإظهار الحق، بإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، إذ الصلاة آكد العبادات البدنية، والزكاة آكد العبادات المالية))(٤).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((أمرهم بالإيمان، ثم اهم عن لَبس الحق بالباطل، وكتمان دلائل النبوة، ثم ذكر بعد ذلك بيان ما لزمهم من الشرائع، وذكر من جملته ما هو كالأصل فيها، وهو الصلاة التي هي أعظم العبادات البدنية، والزكاة التي هي أعظم العبادات المالية))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما فرغ سبحانه من أمر أهل الكتاب بالإيمان بالله، والنبي، والكتاب الذي هو من الهدى الآتي إليهم، المشـار إلى ذلك كله بالإيفـاء بالعهـد؛

(١) الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٧٢/١).
(٣) مفاتيح الغيب (٤٣/٣).
(٤) البحر المحيط (٢٩٣/١).
(٥) اللباب (٢٤/٢).

عطف بقوله: ﴿ وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾ أي حافظوا على العبادة المعهود ا في كل يوم، بجميع شرائطها وأركا ا، ﴿ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾ أي المفروضة في كل حول، لتجمعوا أوصاف المتقين المهديين ذا الكتاب...وهاتان العبادتان، إما العبادات البدنية والمالية فخصا بالذكر، لأن من شأ ما استجرار سائر العبادات واستتباعها))[1].

- وقال الآلوسي: ((وقدم الأمر بالصلاة لشمول وجو ا، ولما فيها من الإخلاص والتضرع للحضرة، وهي أفضل العبادات البدنية، وقر ا بالزكاة لأ ا أفضل العبادات المالية))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي ارتباط إقام الصلاة، وإيتاء الزكاة بإيمان العبد واعتقاده بنفعهما الأخروي، ولذلك عقب الله تعالى الأمر بالإيمان بالأمر ما.

أما الرازي، وأبو حيان، وابن عادل الحنبلي، والآلوسي فيرون أن المناسبة هي تقديم أصل العبادات وأعظمها بعد الإيمان، فنظروا إلى رتبة الصلاة والزكاة في الإسلام.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي عطف الأمر بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، على الأمر بالوفاء بالعهد، واعتبارهما من العهد الذي يجب الوفاء به، ويرى تخصيص هاتين العبادتين بالذكر لأ ما سبب في استتباع العبادات الأخرى.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه جميع المفسرين يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أن ماذهب إليه الطاهر أنسب وألطف. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن التكاليف الشرعية جاءت بتقديم المهم فالأهم ، لما في ذلك من التدرج في الدعوة إلى الله تعالى، ولما في ذلك من الحكمة في التعامل مع النفس البشرية.

---

(١) نظم الدرر (١/١٢٣).

(٢) روح المعاني (١/٣٣٤).

والمتتبع لتاريخ التشريع الإلهي يجد أن الشريعة الإسلامية عالَجت كثيرا من القضايا بالتدريج، ولعلّ التدرج التشريعي في تحريم الخمر هو أقرب مثال على ذلك.

٢٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾[(١)].

ذكر الطاهر مناسبة هـذه الآية الكريمـة لما قبلهـا فقال: ((اعتراض بين قوله: ﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾[(٣)]، ووجه المناسبة في وقوعه هنا أنه لما أمرهم بفعل شعائر الإسلام من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وذيل ذلك بقوله: ﴿ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[(٤)]، ليشير إلى صلا م التي يفعلو ا، أصبحت لا تغني عنهم؛ ناسب أن يزاد لذلك أن ما يأمر به دينهم من البر ليسوا قائمين به على ما ينبغي فجيء ذا الاعتراض))[(٥)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((واعلم أنه سبحانه وتعالى لما أمر بالإيمان والشرائع، بناء على ما خصهم به من النعم، ورغبهم في ذلك بناء على مأخذ آخر، وهو أن التغافل عن أعمال البر مع حث الناس عليها مستقبح في العقول، إذ المقصود من أمر الناس بذلك إما النصيحة أو الشفقة، وليس من العقل أن يشفق الإنسان على غيره، أو أن ينصح غيره ويهملَ نفسه؛ فحذرهم الله تعالى من ذلك بأن قرعهم ذا الكلام))[(٦)].

- وقال البقاعي: ((ولما أمر علماءهم بما تركوا من معالي الأخلاق من الإيمان والشرائع بعد أمرهم بذكر ما خصهم به من النعم، و اهم عما ارتكبوا من سفسافها من كفر النعم، ونقض العهود، وما تبع ذلك، وكانوا يأمرون غيرهم بما يزعمون أنه

---

(١) الآية (٤٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٤٥) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٥) التحرير والتنوير (٤٧٤/١).
(٦) مفاتيح الغيب (٤٥/٣).

تزكية، وينهو م عما يدعون أنه تردية؛ أنكر عليهم، ترغيبا فيما ند م إليه، وحثهم عليه، وتوبيخا على تركه بقوله: ﴿ أَتَأْمُرُونَ ﴾))[1].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن هذه الآية جاءت معترضة بين الآية التي قبلها، والآية التي بعدها، ويرى أن مناسبة هذا الاعتراض هو الإشارة إلى عدم انتفاع بني إسرائيل بصلا م، وأ م ليسوا قائمين بالبر كما ينبغي.

أما الرازي والبقاعي فيريان أن المناسبة هي تقريع بني إسرائيل، وتوبيخهم، لتغافلهم عن أعمال البر مع حث الناس عليها.

والذي يظهر أن الله تعالى لما وجه النداء إلى بني إسرائيل في قوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴾[2]، أتبعه بعدد من الأوامر والنواهي، فكانت الأوامر ثمانيـة: ﴿ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ﴾[3]، ﴿وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ ﴾[4]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ﴾[5]، ﴿وَءَامِنُواْ بِمَآ أَنزَلۡتُ ﴾[6]، ﴿وَإِيَّٰيَ فَٱتَّقُونِ ﴾[7]، ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ ﴾[8]، ﴿وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[9]، ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾[9]، ﴿وَٱرۡكَعُواْ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾[10].

(١) نظم الدرر (١٢٤/١).
(٢) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (٤٠) من سورة البقرة.
(٦) من الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٧) من الآية (٤١) من سورة البقرة.
(٨) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(٩) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.
(١٠) من الآية (٤٣) من سورة البقرة.

وكانت النـواهي أربعة: ﴿وَلَا تَكُونُوٓاْ أَوَّلَ كَافِرِۭ بِهِۦ﴾[1]، ﴿وَلَا تَشۡتَرُواْ بِـَٔايَٰتِي ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾[2]، ﴿وَلَا تَلۡبِسُواْ ٱلۡحَقَّ بِٱلۡبَٰطِلِ﴾[3]، ﴿وَتَكۡتُمُواْ ٱلۡحَقَّ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾[4].

ثم إنهم بعد كل تلك الأوامر والنواهي لم يأتمروا ولم ينتهوا، بل جاؤوا بنقيضها، فكان من الضروري تقريعهم على فعلهم هذا، وبذلك يظهر أن الاعتراض في هذه الآية جاء للتقريع والإنكار. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من أعظم الأمور المستقبحة في الداعية هي عدم التزامه بما يدعو إليه، كون ذلك مدعاةً لعدم استجابة المجتمع له، مما يجعل جهده كشمعة تضيء لغيرها، وتحرق نفسها، ولذلك قرع الله بني إسرائيل على فعلهم هذا، واللبيب من اتعظ بغيره.

---

(١) من الآية (٤١) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٤١) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٤٢) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (٤٢) من سورة البقرة.

٢٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فإ م لما خوطبوا بالترغيب، والترهيب، والتنـزيه، والتشويه؛ ظُن م أ م لم يبق في نفوسهم مسلك للشيطان، ولا مجالٌ للخذلان، وأ م أنشأوا يتحفزون للامتثال، والائتساء، إلا أن ذلك الإلف القديم يثقلُ أرجلَهم في الخطو إلى هذا الطريق القويم، فوصف لهم الدواء الذي به الصلاح))[(٢)].

وقد وافق الطاهر الرازي، والبقاعي في هذه المناسبة.

- قال الرازي: ((إنه تعالى لما أمرهم بالإيمان، وبترك الإضلال، وبالتزام الشرائع، وهي الصلاة والزكاة، وكان ذلك شاقا عليهم، لما فيه من ترك الرياسات، والإعراض عن المال والجاه؛ لا جرم عالج الله تعالى هذا المرض فقال: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما أنكر عليهم اتباع الهوى؛ أرشدهم إلى دوائه بأعظم أخلاق النفس، وأجل أعمال البدن، فقال عاطفًا على ما مضى من الأوامر: ﴿وَٱسۡتَعِينُواْ بِٱلصَّبۡرِ وَٱلصَّلَوٰةِ﴾))[(٤)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما رأى المشقة التي أصابت بني إسرائيل بسبب ما كلفهم به من تكاليف في الآيات السابقة؛ وجههم إلى العلاج الذي يصلح حالهم، والمتمثل في الصبر والصلاة.

---

(١) الآية (٤٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٧٧/١).
(٣) مفاتيح الغيب (٤٨/٣).
(٤) نظم الدرر (١٢٥/١).

فتكون المناسبة بيانُ علاجِ الحال، بعد الشعور بالمشقة جراء ما كُلفوا به من تكاليف.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن إلف النفس على حال قديم، وضعفها عن تحمل مفارقة ذلك الإلف، لا علاج ناجع له إلا الصبر، الذي يعينها على مفارقة ذلك الإلف، واتباع الحق، وأما الإشارة إلى الصلاة ففيه ترغيب لبني إسرائيل في العمل الصالح.

٢٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطَف التحذير على التذكير، فإنه لما ذكرهم بالنعمة، وخاصة تفضيلهم على العالمين في زما م، وكان ذلك منشأ غرورهم بأنه تفضيل ذاتي، فتوهموا أن التقصير في العمل الصالح لا يضرهم؛ فعقب بالتحذير من ذلك))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((وكأ م لما أُمروا بذكر النعم وتفضيلهم؛ ناسب أن من أنعم عليه وفُضل يكون محصلا للتقوى، فأمروا بالإدامة على التقوى، أو بتحصيل التقوى، إن عرض لهم خلل))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكرهم بتخصيصهم بالكرامة، و اهم عن المخالفة، وكانت المخالفة مع عظيم النعمة أقبح، وأشد، وأفحش؛ حذّرهم يوما لا ينجي أحدا فيه إلا تقواه))[(٤)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها، فهو يرى أن المناسبة هي تحذير بني إسرائيل من الغرور الذي قد يصيبهم بسبب تفضيل الله تعالى لهم على أُمم زما م، وهذا القول أنسب وألطف.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي أن التقوى من الأمور التي يتحصل عليها من أنعم الله عليه وفضله، فهي نتيجة حتمية لذلك.

ولا يخفى ما في هذا القول من البعد عن الغرض الذي سيقت لأجله الآيات، وهو محاجة بني إسرائيل، بتذكيرهم بما أنعم الله عليهم، وتقريعهم لعدم إيما م بنبوة

---

(١) الآية (٤٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٤٨٤/١).

(٣) البحر المحيط (٣٠٦/١).

(٤) نظم الدرر (١٢٧/١).

محمد ﷺ، فكيف يمتدحهم الله تعالى باستحقاقهم هذه الصفة العظيمة، وهم قد بعدوا عن اتباع الحق؟

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي هو الأنسب والأوفق؛ لأن سياق الآيات يدل على أن بني إسرائيل سيغترونَ بأنفسهم -لا محالة- بعد ذكرِ نِعمِ الله تعالى عليهم، فلزم تحذيرهم من ذلك. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ركون الأمم إلى نعم الله تعالى عليها، لا يعني بالضرورة أ م غير محاسبين على تقصيرهم في طاعة ر م ﷻ، بل إن تقصيرهم وإعراضهم لا يمنع من تحذيرهم من عاقبة أمرهم، وتخويفهم من يوم المعاد، فالإعراض -لا شك- منشأُ غضب الله تعالى عليهم، وإهلاكهم.

٢٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((توسطت هاته الآية بين آيات ذكر بني إسرائيل بما أنعم الله عليهم، وبما قابلوا به تلك النعم من الكفران، وقلة الاكتراث، فجاءت معترضة بينها لمناسبة يدركها كل بليغ، وهي أن ما تقدم من حكاية سوء مقابلتهم لنعم الله تعالى قد جرت عليهم ضرب الذلة والمسكنة، ورجوعهم بغضب من الله تعالى عليهم، ولما كان الإنحاء عليهم بذلك من شأنه أن يفزعهم إلى طلب الخلاص من غضب الله تعالى، لم يترك الله تعالى عادته مع خلقه من الرحمة م، وإرادته صلاح حالهم، فبين لهم في هاته الآية أن باب الله مفتوح لهم، وأن اللجأ إليه أمر هين عليهم، وذلك بأن يؤمنوا، ويعملوا الصالحات))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((واعلم أن عادة الله إذا ذكر وعدا أو وعيدا؛ عقبه بما يضاده، ليكون الكلام تاما، فههنا لما ذكر حكم الكَفَرة من أهل الكتاب، وما حل م من العقوبة؛ أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم، والثواب الكريم، دالا على أنه سبحانه وتعالى يجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته))[3].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها: أنه لما ذكر الكفرة من أهل الكتاب، وما حل م من العقوبة؛ أخبر بما للمؤمنين من الأجر العظيم، دالا على أنه يجزي كُلا بِفعله))[4].

---

(١) الآية (٦٢) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٥٣١/١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٠٤/٣).

(٤) البحر المحيط (٣٨٩/١).

- وقال البقاعي: ((إنه لما أخبر تعالى بأ م ألزموا الخزي طوق الحمامة، وكان ذلك ربما أوهم أنه لا خلاص لهم منه وإن تابوا، وكانت عادته سبحانه جارية بأنه إذا ذكر وعدا أو وعيدا عقّبه حكم ضده، ليكون الكلام تاما، أُعلموا أن باب التوبة مفتوح، والرب كريم على وجه عام))[١].

- وقال الآلوسي: ((لما انجر الكلام إلى ذكر وعيد أهل الكتاب؛ قرن به ما يتضمن الوعد، جريا على عادته سبحانه من ذكر الترغيب والترهيب، و ذا يتضح وجه توسيط هذه الآية وما قبلها بين تعداد النعم))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة في هذه الآية هي اقتران الترغيب بالترهيب، وذكر الضد بعد الكلام على ضده، فإن الله تعالى لما ذكر الوعيد والترهيب؛ عقبه بذكر الوعد والترغيب.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى مع شديد عقابه، وعدم رد بأسه عن القوم ا رمين، إلا أنه رحيم بعباده المؤمنين، سواء آمنوا بعد شرك بالله تعالى، أو بعد يهودية أو نصرانية أو غيرها، وأن باب رحمته مفتوح، وهذا فيه ما فيه من التطمين والترغيب، بحيث تأنس النفس إلى الإيمان وتلتزم به.

---

(١) نظم الدرر (١٦٤/١).

(٢) روح المعاني (٣٧٧/١).

٢٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هاتين الآيتين الكريمتين فقال: ((إبطال لدعوى قارة في نفوسهم اقتضاها قولهم: نؤمن بما أنزل علينا، الذي أرادوا به الاعتذار عن إعراضهم عن دعوة محمد ﷺ بعذرٍ أ م متصلبون في التمسك بالتوراة لا يعدو ا، وأ م بذلك استحقوا محبة الله إياهم، وتكون الآخرة لهم، فلما أُبطلَت دعوى إيما م بما أُنزل عليهم بإلزامهم الكذب في دعواهم بسند ما أتاه سلفهم -وهم جدودهم- من الفظائع مع أنبيائهم، والخروج عن أوامر التوراة بالإشراك بالله تعالى بعبادة العجل؛ عقب ذلك بإبطال ما في عقائدهم من أ م أهل الانفراد برحمة الله ما داموا متمسكين بالتوراة، وأن من خالفها لا يكون له حظ في الآخرة))[2].

وقد بين البقاعي مناسبة الآيتين لما قبلهما فقال: ((ولما ضت الأدلة على أنه لا حظ لهم في الآخرة غير النار، وذلك نقيض دعواهم أ ا لهم فقط في قولهم: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً﴾[3]، تفسيرهم ذلك بأ ا سبعة أيام، وأنا نخلفهم فيها؛ ختم سبحانه ذلك بدليل قطعي بديهي فقال: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ﴾))[4].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر لم يخالف ما جاء به البقاعي، فهو يرى أن المناسبة هي إبطال دعوى التصلب بالإيمان بالتوراة كعذر لعدم الإيمان بالقرآن، وأ م بذلك استحقوا محبة الله لهم، ولما أبطل الله دعوى إيما م بالتوراة، عقب إبطال استحقاقهم الآخرة دون غيرهم.

---

(١) الآيتان (٩٤،٩٥) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٦١٣/١).

(٣) من الآية (٨٠) من سورة البقرة.

(٤) نظم الدرر (٢٠٠/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الأجر الأخروي هو أهم ما يتعلق به المؤمن الصادق، كون تلك الحياة هي الحياة السرمدية، كما أن هناك إشارة إلى أن الموت هو أول منازل الآخرة، وأن الإنسان يجازى على عمله بعد موته، إن خيرا فَخيرا، وإن شرا فَشرا.

٢٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((قوله: ﴿وَٱتَّبَعُواْ﴾ عطف على جملة الشرط وجوابه في قوله: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٢] الآية، بذكر خصلة لهم عجيبة، وهي أخذهم بالأباطيل، بعد ذكر خصلة أخرى، وهي نبذهم للكتاب الحق، فذلك هو مناسبة عطف هذا الخبر على الذي قبله))[٣].

وقد بين البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال: ((ولما كانت سنة الله جارية بأنه ما أمات أحد سنةً إلا زاد في خذلانه بأن أحيى على يده بدعة؛ أعقبهم نبذَهم لكلام الله أولى الأولياء إقبالَهم على كلام الشياطين الذين هم أعدى الأعداء، فقال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ﴾))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في عطف هذه الجملة على جملة الشرط وجوابه في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ هي لبيان خصلة عجيبة لبني إسرائيل، وهي اتباعهم للأباطيل بعد ذكر خصلة سيئة لهم وهي نبذ كلام الله تعالى.

---

(١) الآية (١٠٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٠١) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٦٢٦/١).
(٤) نظم الدرر (٢٠٥/١).

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي العقوبة بالمقابلة، فإن نبذ بني إسرائيل كلام الله جعلهم يقبلون على كلام الشياطين.

وكلا القولين يصلح أن يكون مناسبة للآية، كو ما يحتملان معنى الآية، ولا يخرجان عن مقصودها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإعراض عن الهدى له نتيجة حتمية، تتمثل في اتباع الأباطيل، فالبعد عن الهدى قرب من الضلال، والبعد عن الله ﷻ قرب من الشيطان.

٢٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا وَٱسۡمَعُواْۗ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ومناسبة نزول هاته الآية عقب الآيات المتقدمة في السحر، وما نشأ عن ذمه، أن السحر راجع إلى التمويه، وأن من ضروب السحر ما هو تمويه ألفاظ، وما مبناه على اعتقاد تأثير الألفاظ في المسحور بحسب نِية الساحر، وتوجيهه النفسي إلى المسحور، وقد تأصل هذا عند اليهود واقتنعوا به في مقاومة أعدائهم، ولما كان أذى الشخص بقول، أو فعل لا يعلم مغزاهما -كخطابه بلفظ يفيد معنى، ومقصود المتكلم منه أذى، أو كإهانة صورته، أو الوطء على ظله، كل ذلك- راجعا إلى الاكتفاء بالنية، والتوجه في حصول الأذى؛ كان هذا شبيها ببعض ضروب السحر، ولذلك كان من شعار من استهواهم السحر واشتروه؛ ناسب ذكر هاته الحالة من أحوالهم عقب الكلام على افتتا م بالسحر وحبه دون بقية ما تقدم من أحوالهم، وهاته المناسبة هي موجب التعقيب في الذكر))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى لما شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام؛ أراد من ههنا أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد ﷺ، وجِدهم واجتهادهم في القدح فيه، والطعن في دينه))[(٣)].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنص ما قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى لما شرح قبائح أفعالهم قبل مبعث محمد عليه الصلاة والسلام؛ أراد أن يشرح قبائح أفعالهم عند مبعث محمد ﷺ ، وجِدهم واجتهادهم في القَدحِ فيه، والطعن في دينه))[(٤)].

---

(١) الآية (١٠٤) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٦٥١/١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٢٣/٣).

(٤) اللباب (٣٥٨/٢).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي التمويه المشترك بين السحر الذي ذُكر في الآيات السابقة، وبين لفظ (راعنا) الذي يراد به الشتم للرسول ﷺ بأسلوب التمويه أيضا، وهو ما سماه الطاهر موجب التعقيب في الذكر.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فالمناسبة عندهما شرح قبائح اليهود، فالآيات السابقة شرحت قبائحهم قبل بعثة الرسول ﷺ، وهذه الآية شرحت قبائحهم بعد البعثة.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر أنسب، كونه يشير فيها إلى غرض مستقل عن الغرض الذي سيقت له الآيات التي قبلها، أما ما ذهب إليه الرازي وابن عادل الحنبلي فإن فيه إشارة إلى سرد وشرح قبائح اليهود، وهذا يستلزم عطف هذه الآية على ما قبلها، ولا عطف في الآية، بل إن الآية افتتحت بنداء، مما يدل على اختصاصها بغرض آخر، والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

مما سبق بيانه يتضح أن الآية جاءت لبيان أدب للمؤمنين، يصاحبه تعريض باليهود في أذيتهم للرسول ﷺ عن طريق التمويه، وأن هذا التمويه لا يخفى على الله تبارك وتعالى، فقد اطلع الله على نواياهم، وحذّر من فعلهم هذا.

٣٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فَصلُه عما قبله لاختلاف الغرضين، لأن الآية قبله في تأديب المؤمنين مع التعريض باليهود، وهذه الآية لبيان حسد اليهود وغيرهم للمسلمين، ووجه المناسبة بين الآيتين ظاهر لاتحاد المآل، ولأن الداعي للسب والأذى هو الحسد))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((واعلم أنه تعالى لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة؛ حذر المؤمنين منهم فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾))(٣).

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي: ((لما بين حال اليهود والكفار في العداوة والمعاندة؛ وصفهم بما يوجب الحذَر منهم فقال : ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما أرشد ختم الآية إلى العلة الحاملة على الامتثال؛ عللَ بعلة أخرى فقال: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾))(٥).

- وقال الآلوسي: ((وفصلت عما قبل، وإن اشتركا في بيان قبائح اليهود مع الرسول ﷺ والمؤمنين لاختلاف الغرضين، فإن الأول لتأديب المؤمنين، وهذا لتكذيب

---

(١) الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٦٥٢/١).

(٣) مفاتيح الغيب (٢٢٥/٣).

(٤) اللباب (٣٦٢/٢).

(٥) نظم الدرر (٢١١/١).

أولئك الكافرين، ولأجل هذا الاختلاف فُصل السابق عن سابقه، ومما ذَكَرنا يعلَم وجه تعلق الآية بما قبلها))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة في هذه الآية مع الآية التي قبلها هي اتحاد المآل، فالآية الثانية بينت السبب الذي جعل اليهود يسبون الرسول ﷺ، ويؤذونه، وتمثل ذلك السبب في الحسد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الدوافع النفسية السيئة لليهود جعلتهم لا يقرون بالحق، بل دفَعتهم إلى إيذاء المسلمين، ويظهر ذلك من أمرين:

الأول: عدم إيما م بنبوة محمد ﷺ، بحجة تمسكهم بالتوراة، وقد فضحهم الله بأ م فرطوا في التوراة وحرفوها.

الثاني: سبهم للرسول ﷺ، وشتمه.

وكلا الأمرين منشأهما الحسد الذي اتصفوا به.

(١) روح المعاني (٤٧٦/١).

٣١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ ۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((مناسبة هذه الآية للآيات قبلها أن اليهود اعتذروا عن إعراضهم عن الإيمان بالنبيء ﷺ بقولهم: ﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾(٢)، وأرادوا به أ م يكفرون بغيره، وهم في عذرهم ذلك يدعون أن شريعتهم لا تنسخ، ويقولون إن محمدا وصف التوراة بأ ا حق، وأنه جاء مصدقًا لها، فكيف يكون شرعه مبطلا للتوراة؟ ويموهون على الناس بما سموه البداء، وهو لزوم أن يكون الله تعالى غير عالم بما يحسن تشريعه، وأنه يبدو له الأمر ثم يعرض عنه، ويبدل شريعة بشريعة، وقد رد الله عليهم عذرهم وفضحهم بأ م ليسوا متمسكين بشرعهم حتى يتصلبوا فيه، وذلك من قوله:﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾(٣)، وقوله: ﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾(٤)إلخ، وبأ م لا داعي لهم غير الحسد بقوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾(٥)المنبئ أن العلة هي الحسد، فلما بين الرد عليهم في ذلك كله؛ أراد نقض تلك السفسطة(٦)أو الشبهة التي راموا ترويجها على الناس بمنع النسخ))(٧).

---

(١) الآية (١٠٦) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٩١) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٩١) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (٩٤) من سورة البقرة.

(٥) الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٦) السفسطة: المغالطة، والإتيان بحكمة مضللة. ينظر: المعجم الوسيط، مـادة (سفسـط)، بـاب السـين (٤٥٩/١)؛ تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، باب الطاء، فصل السـين (٢٨٣/١٠).

(٧) التحرير والتنوير (٦٥٤/١).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((ولما حرم سبحانه قوله: ﴿رَٰعِنَا﴾[(١)] بعد حله وكان ذلك من باب النسخ، وأ ى ما يتعلق به بالوصف بالفضل العظيم بعد التخصيص الذي من مقتضاه نقل ما يكون من المنافع من ملك، أو دين، أو قوة، أو علم، من ناس إلى ناس، وكان اليهود يرون أن دينهم لا ينسخ، فكان النسخ -لذلك- من مطاعنهم في هذا الدين، وفي كون هذا الكتاب هدى للمتقين، لأنه على زعمهم لا يجوز على الله، قالوا: لأنه يلزم منه البدا...، وهو أن يبدو الشيء، أي يظهر بعد أن لم يكن، وذلك لا يجوز على الله تعالى، هذا مع أن النسخ في كتا م الذي بين أظهرهم، فإن فيه أنه تعالى أمرهم بالدخول إلى بيت المقدس بعد مقاتلة الجبارين، فلما أبوا حرم عليهم دخولها، ومنعهم منه، ومن القتال بالقدرة والأمر،...وأعظم من ذلك تعاطيهم من النسخ ما لم يأذن به الله في تحريفهم الكلم عن مواضعه، وتحريم الأحبار والرهبان، وتحليلهم لهم ما شاؤوا من الأحكام...، وكما فعلوا في إبدال الرجم في الزنا بالتحميم والجلد؛ وفي اتباع ما تتلو الشياطين مع أن فيه إبطال كثير من شرعهم، إلى غير ذلك، لما كان ذلك؛ قال تعالى -جوابا عن طعنهم، سابقاً له في مظهر العظمة، معلما أنه قد ألبس العرب المحسودين ما كان قد زين به أهل الكتاب دهورا، فابتذلوه، ودنسوا محياه، ورذلوه، وغَيروه، وبدلوه، إشارة إلى أن الحسد لكونه اعتراضا على المنعم يكون سببا لإلباس المحسود ثوب الحاسد- : ﴿مَا نَنسَخْ﴾))[(٢)].

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة الآية لما قبلها أن فيه ما هو من قبيل النسخ، حيث أقر الصحابة ﷺ مدةً على قول (راعنا)، وإقراره ﷺ على الشيء منـزلٌ منـزلة الأمر به، والإذن فيه، ثم إ م وا عن ذلك.

---

(١) من الآية (١٠٤) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٢١٣/١).

أو لأنه تعالى لما ذكر أنه ذو الفضل العظيم كادت ترفع الطغام[١] رؤوسها وتقول: إن من الفضل عدم النسخ، لأن النفوس إذا داومت على شيء سهلَ عليها، فأتى سبحانه بما ينكس رءوسهم، ويكسر ناموسهم، ويشير إلى أن النسخ من جملة فضله العظيم، وجوده العميم.

أو لأنه تعالى لما أشار إلى حقية الوحي، ورد كلام الكارهين له رأسا؛ عقبه بما يبين سر النسخ الذي هو فرد من أفراد تنـزيل الوحي، وإبطال مقالة الطاعنين فيه، فليتدبر))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، فهو يرى أن المناسبة هي نقض شبهة منع النسخ التي روج لها اليهود.

أما الآلوسي فقد ذكر ثلاثة أوجه تحتمل جميعها مناسبة هذه الآية لما قبلها.

الوجه الأول: مناسبة الآية لسبب النـزول.

الوجه الثاني: تنكيس رؤوس اليهود الذين قد يدعون أنه من الفضل عدم النسـخ، كون الآية مرتبطة بقولـه تعـالى في الآيـة الـتي سـبقتها: ﴿وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[٣].

الوجه الثالث: بيان سر النسخ، وإبطال مقالة الطاعنين في حقية الوحي.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لربط هذه الآية بما قبلها، كون جميع الأقوال تدور حول شبهة إنكار النسخ، التي روج لها اليهود، وهذا يلتئم مع السابق واللاحق من الآيات، والله تعالى أعلم.

---

(١) الطغام: أوغاد الناس وأرذالهم. ينظر: القاموس المحـيط، دار إحيـاء التـراث العـربي، بـيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (طغم)، باب الميم، فصل الطاء (٢٠٤/٤)؛ مختار الصـحاح، بـاب الطـاء (ص٣٩٣)؛ المعجم الوسيط، باب الطاء (٥٨٥/٢).

(٢) روح المعاني (٤٧٩/١).

(٣) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى عندما أراد نقض شبهة اليهود المتمثلة في منع النسخ؛ بين الحكمة منه، ليستبين الأمر، وتنتفي الجهالة به، وليعلمهم أن النسخ من أجل مصلحة الأمة كافة، وأنه ليس عبثًا، ولا مانع من حدوثه، لأن الله تعالى يعلم أن إنكار اليهود للنسخ ما هو إلا قاعدة يريدون الانطلاق منها لإنكار نسخ ديانتهم بالإسلام، فَبكّتهم وألغى ادعاءهم.

٣٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((مناسبته لما قبله أن ما تقدم إخبار عن حسد أهل الكتاب، وخاصة اليهود منهم، وآخر ا شبهة النسخ، فجيء في هذه الآية بتصريح بمفهوم قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾[٢]الآية، لأ م إذا لم يودوا مجيء هذا الدين الذي اتبعه المسلمون، فهم يودون بقاء من أسلم على كفره، ويودون أن يرجع بعد إسلامه إلى الكفر))[٣].

وذكر البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال: ((ولما كان أكثر المثيرين لهذه الشكوك في صور أهل الإسلام؛ قال تعالى -مخاطبا للمؤمنين وهم في غمارهم، تنفيرا لهم عن الضلال الذي هو في نفسه أهلٌ لأن ينفر عنه، فكيف وهو شماتة العدو، وبتخييله ووداته، تحذيرا لهم من مخالطتهم-: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ﴾))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق ما ذكره البقاعي في المعنى، وإن لم يوافقه نصا.

فالمناسبة هي بيان لمنطوق ومفهوم الآية التي قبلها، وزيادة في إيضاح موقف اليهود المعادي للمؤمنين، والمتمثل في حسدهم على ما أنعم الله تعالى به عليهم من الإسلام، ورغبتهم أن يرتد المسلمون عن دينهم.

---

(١) الآية (١٠٩) من سورة البقرة.
(٢) الآية (١٠٥) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٦٦٩/١).
(٤) نظم الدرر (٢١٩/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الحاسد قد يتحول تمنيه زوال النعمة عن الغير إلى ود متمكنٍ في النفس لزوال تلك النعمة، فاليهود ودوا أن تزول نعمة الإيمان عن الذين آمنوا ليرتدوا إلى الشرك الذي لا يقره اليهود أنفسهم، وبذلك يظهر مدى حسدهم للمؤمنين.

٣٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذۡكَرَ فِيهَا ٱسۡمُهُۥ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمۡ أَن يَدۡخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فالمناسبة أنه بعد أن وفى أهل الكتاب حقهم من فضح نواياهم في دين الإسلام وأهله، وبيان أن تلك شنشنة(٢)متأصلة فيهم مع كل من جاءهم بما يخالف هواهم، وكان قد أشار إلى أن المشركين شا ,وهم في ذلك عند قوله: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ خَيۡرٖ مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾(٣)، عطف الكلام إلى بيان ما تفرع عن عدم ودادة المشركين نزول القرآن، فبين أن ظلمهم في ذلك لم يبلغه أحد ممن قبلهم، إذ منعوا مساجد الله، وسدوا طريق الهدى، وحالوا بين الناس وبين زيارة المسجد الحرام، الذي هو فخرهم، وسبب مكانتهم، وليس هذا شأن طالب صلاح الخلق بل هذا شأن الحاسد المغتاظ))(٤).

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآيــة لما قبلها: أنه جرى ذكر النصــارى في قوله: ﴿ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيۡسَتِ ٱلۡيَهُودُ عَلَىٰ شَيۡءٖ ﴾(٥)، وجــرى ذكر المشركين في قوله:﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾(٦)، وفي أي نزلت منهم كان ذلك مناسبا لذكرها تلي ما قبلها))(٧).

---

(١) الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٢) الشنشنة: العادة الغالبة، والــخلُق والطبيعة. ينظر: مختار الصحاح، (مادة شنن)، باب الشين (ص٣٤٩)؛ المعجم الوسيط، باب الشين (٥٢١/١).

(٣) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (٦٧٩/١).

(٥) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٦) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٧) البحر المحيط (٥٧١/١).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((في كيفية اتصال هذه الآية بما قبلها وجوه:

فأما من حملها على النصارى، وخراب بيت المقدس قال: تتصل بما قبلها من حيث النصارى، ادعوا أ م من أهل الجنة فقط، فقيل لهم: كيف تكونون كذلك مع أن معاملتكم في تخريب المساجد، والسعي في خرا ا هكذا؟

وأما من حمله على المسجد الحرام، وسائر المساجد، قال: جرى ذكر مشركي العرب في قوله تعالى: ﴿ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ مِثۡلَ قَوۡلِهِمۡ ﴾[1].

وقيل: ذَم جميع الكفار، فَمرةً وجه الذنب إلى اليهود والنصارى، ومرة إلى المشركين))[2].

- وقال البقاعي: ((ولما اشتركت جميـع هذه الفرق في الظلم، وزاد الجهلةُ منع حزب الله من عمارة المسجد الحرام بما يرضيه من القـول والفعل، فازدادوا بذلك ظُلما آخر، وكان من منع مسجـدا واحدا لكونه مسجدا مانعا لجميع المساجد؛ قال: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ ﴾))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي أن عدم ودادة المشركين نزول القرآن على محمد ﷺ تفرع عنه عتوهم في الظلم بمنع المسلمين من زيارة المسجد الحرام.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة الإشارة بالظلم يتساوى فيها النصارى والمشركون.

وأما ابن عادل الحنبلي فيرى أن في اتصال الآية بما قبلها ثلاثة وجوه:

الوجه الأول: الإشارة إلى النصارى، وهذا عند من فسر المساجد ببيت المقدس.

الوجه الثاني: الإشارة إلى المشركين، وهذا عند من فسر المساجد بالمسجد الحرام.

---

(١) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.

(٢) اللباب (٤٠٧/٢).

(٣) نظم الدرر (٢٢٤/١).

الوجه الثالث: الإشارة إلى جميع الكفار، سواء كانوا من أهل الكتاب أم من المشركين.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي زيادة ظلم جميع الفرق، وتماديهم في ذلك.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أ قول الطاهر أدق في التعبير، وأنسب، وهو أن الله تعالى لما فضح نوايا أهل الكتاب الشريرة، وكان قد أشار إلى مشا ة المشركين لهم، بحسد المسلمين على نعمة الإسلام؛ عطَف الكلام ليبين مدى ظلم المشركين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المشركين قد امتلأت صدورهم حقدا وحسدا على المؤمنين، ولم يعد بينهم وبين اليهود فرق في موقفهم من المؤمنين، ولكن المشركين أرادوا استعمال أعظم أنواع الظلم بمنعهم المسلمين من زيارة أعظم وأقدس مكان، وهو المسجد الحرام، الذي لهم حق فيه، وهنا إشارة إلى أن المؤمنين لا يواجهون عدوا واحدا، إنما يواجهون أكثر من عدو، من أكثر من جهة.

٣٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما جاء بوعيدهم ووعد المؤمنين؛ عطف على ذلك تسلية المؤمنين على خروجهم من مكة، ونكاية المشركين بفسخ ابتهاجهم بخروج المؤمنين منها، وانفرادهم هم بمزية جوار الكعبة))[٢].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((والذي يظهر أن انتظام هذه الآية بما قبلها هو: أنه لما ذكّر منع المساجد من ذكر الله والسعي في تخريبها، نبه على أن ذلك لا يمنع من أداء الصلوات، ولا من ذكر الله، إذ المشرق والمغرب لله تعالى، فأي جهة أديتم فيها العبادة، فهي لله يثيب على ذلك، ولا يختص مكان التأدية بالمسجد))[٣].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((قوله ﷻ: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ﴾ جملة مرتبطة بقوله: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ﴾[٤]، و﴿وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾[٥]، يعني: أنه إن سعى في المنع من ذكره تعالى وفي خراب بيوته، فليس في ذلك مانعا من أداء العبادة في غيرها؛ لأن المشرق والمغرب وما بينهما له تعالى))[٦].

- وقال البقاعي: ((ولما أفهمت الآية أنه حصل لأولياء الله منع من عمارة بيت الله بذكره، وكان الله تعالى قد من على هذه الأمة بأن جعل الأرض كلها لها مسجدا؛

---

(١) الآية (١١٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٦٨٢/١).
(٣) البحر المحيط (٥٧٦/١).
(٤) من الآية (١١٤) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (١١٤) من سورة البقرة.
(٦) اللباب (٤١٣/٢).

سلّى المؤمنين بأ م أينما صلوا بقصد عبادته لَقيهم ثوابه، لأنه لا يختص به جهة دون جهة، لأن ملكه للكل على حد سواء، فكان كأنه قيل: فأقيموا الصلاة التي هي أعظم ذكر الله حيثما كنتم فإنه لله، كما أن المسجد الذي منعتموه لله))[١].

- وقال الآلوسي: ((ووجه الارتباط حينئذ أنه لما جرى ذكر المساجد سابقًا؛ أورد بعدها تقريبا حكم القبلة على سبيل الاعتراض))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي تسلية المؤمنين لفراقهم مجاورة البيت الحرام، وإعلاما لهم أن الأرض كلها مكانٌ للعبادة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أن الأرض كلها لله تعالى، وأن الإنسان إذا كانت وجهته نحو مرضاة الله، فأينما تولى سيجد رضى ربه تبارك وتعالى، فمن كانت وجهته الكفر والغرور والظلم فما يغني عنه الالتجاء بالمواضع المقدسة، بل هو فيها دخيل لا يلبث أن يغادرها عاجِلا أم آجِلا دون أن يجني ثمرة طيبةً من ثمار جوارها.

(١) نظم الدرر (٢٢٦/١).
(٢) روح المعاني (٤٩٨/١).

٣٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡۗ قَدۡ بَيَّنَّا ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على قـوله: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ﴾(٢)، المعطوف على قوله: ﴿وَقَالَتِ ٱلۡيَهُودُ لَيۡسَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ﴾(٣)، لمناسبة اشتراك المشركين واليهود والنصارى في الأقوال والعقائد الضالة))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((لما حكى عن اليهود والنصارى والمشركين ما يقدح في التوحيد، وهو أنه تعالى اتخذ الولد؛ حكى الآن عنهم ما يقدح في النبوة))(٥).

- وقال أبو حيان: ((ولما حكى عنهم نسبة الولد إلى الله تعالى؛ أعقب ذلك بمقالة أخرى لهم تدل على تعنتهم وجهلهم بما يجب لله تعالى من التعظيم، وعدم الاقتراح على أنبيائه))(٦).

- وقال البقاعي: ((ولما تقرر بما أنبأ من بديع آياته في منبث مصنوعاته أن عظمته تقصر عنها الأوهام، وتنكص خاسئةً دو ا نوافذ الأفهام؛ عجب من الجرأة عليه بما استوى فيه حال الجهلة من العرب بالعلماء من أهل الكتاب، تبكيتا لهم، وتنفيرا منهم،

---

(١) الآية (١١٨) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١١٦) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١١٣) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٦٨٨/١).
(٥) مفاتيح الغيب (٢٨/٤).
(٦) البحر المحيط (٥٨٧/١).

بأنه لا حامل لهم على الرضى لأنفسهم بالنـزول من أوج العلم إلى حضيض أهل الجهل إلا اتباع الهوى فقال: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾))(١).

- وقال الآلوسي: ((ووجه الارتباط أن الأول كان قَدحا في التوحيد، وهذا قَدح في النبوة))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر من شأن اليهود والنصارى ما يقدح في عقائدهم؛ عطف عليه بما يقدح في عقيدة المشركين، لمناسبة اشتراكهم في الأقوال الباطلة، والعقائد الضالة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإسلام قد واجه حملة شرسة من قبل عدة أطراف اشتركت في تلك المواجهة، تمثّلت في اليهود والنصارى والمشركين، وفي ذلك إشارة إلى أن أهل الباطل -وإن اختلفوا مع بعضهم- يد واحدةٌ ضد أهل الحق.

---

(١) نظم الدرر (٢٣٢/١).
(٢) روح المعاني (٥٠٣/١).

٣٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا ۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِى ۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما كملت الحجج نهوضا على أهل الكتابين ومشركي العرب في عميق ضلالهم بإعراضهم عن الإسلام، وتبين سوء نواياهم التي حالت دون الاهتداء بهديه، والانتفاع بفضله، وسجل ذلك على زعماء المعاندين -أعني اليهود- ابتداء بقوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[٢] مرتين، وأُدمج معهم النصارى استطرادا مقصودا، ثم أُنصف المنصفون منهم الذين يتلون الكتاب حق تلاوته؛ أُنتقل إلى توجيه التوبيخ والتذكير إلى العرب، الذين يزعمون أنهم أفضل ذرية إبراهيم، وأنهم يتعلقون بملته، وأنهم زرع إسماعيل، وسدنة البيت[٣] الذي بناه))[٤].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما استقصى في شرح وجوه نعمه على بني إسرائيل، ثم في شرح قبائحهم في أديانهم، وأعمالهم، وختم هذا الفصل بما بدأ به وهو قوله: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾[٥] إلى قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[٦]؛ شرع سبحانه ههنا في نوع آخر من البيان، وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، وكيفية أحواله، والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام شخص يعترف بفضله جميع الطوائف والملل، فالمشركون كانوا معترفين بفضله، متشرفين بأنهم من أولاده، ومن ساكني حرمه،

(١) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٢) في الآيتين (٤٧، ١٢٢) من سورة البقرة.

(٣) سدنة: جمع سادن، والسادن خادم الكعبة. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (سدن)، باب النون، فصل السين (٣٣٣/٤)؛ مختار الصحاح، باب السين (ص٢٩٢)؛ المعجم الوسيط، باب السين (٤٤٩/١).

(٤) التحرير والتنوير (٦٩٩/١).

(٥) من الآية (١٢٢) من سورة البقرة.

(٦) من الآية (١٢٣) من سورة البقرة.

وخادمي بيته، وأهل الكتاب من اليهود والنصارى كانوا أيضا مقرين بفضله، متشرفين بأ م من أولاده، فحكى الله سبحانه وتعالى عن إبراهيم عليه السلام أمورا توجب على المشركين، وعلى اليهود والنصارى قبول قول محمد ﷺ، والاعتراف بدينه، والانقياد لشرعه))[١].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما جرى ذكر الكعبة والقبلة، وأن اليهود عيروا المؤمنين بتوجههم إلى الكعبة، وترك بيت المقدس...؛ ذكر حديث إبراهيم وما ابتلاه به الله))[٢].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما شرح و جوه نعمه على بني إسرائيل؛ وشرح قبائحهم في أديا م وأعمالهم، وختم هذا الفصل بشرح النعم بقوله: ﴿ يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ ﴾[٣]؛ بين نوعا آخر من البيان، وهو أن ذكر قصة إبراهيم عليه السلام، والحكمة فيه أن إبراهيم عليه السلام معترف بفضله جميع الطوائف، والمشركون أيضا معترفون بفضله، متشرفون بأ م من أولاده، ومن ساكني حرمه، وخادمي بيته، فذكر فضيلته لهم؛ لأ ا تدلّ على قبول محمد ﷺ))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما عاب سبحانه أهل الضلال، وكان جلهم من ذرية إبراهيم عليه السلام، وجميع طوائف الملل تعظمه، ومنهم العرب، وبيته الذي بناه أكبر مفاخرهم، وأعظم مآثرهم؛ ذَكر الجميع ما أنعم به عليه تذكيرا يؤدي إلى ثبوت هذا الدين، باطلاع هذا النبي الأمي، الذي لم يخالط عالـما قط على ما لا يعلمه إلا خواص العلماء))[٥].

- وقال الآلوسي: ((والمشهور: تعلقها بمضمر مقدم تقديره: (اذكر) أو: (اذكروا وقت كذا)، والجملة حينئذ معطوفة على ما قبلها عطف القصة على القصة، والجامع

---

(١) مفاتيح الغيب (٣٣/٤).
(٢) البحر المحيط (٥٩٩/١).
(٣) من الآية (١٢٢) من سورة البقرة.
(٤) اللباب (٤٤٦/٢).
(٥) نظم الدرر (٢٣٧/١).

الاتحاد في المقصد؛ فإن المقصد من تذكيرهم وتخويفهم تحريضهم على قبول دينه ﷺ، واتباع الحق، وترك التعصب، وحب الرياسة، كذلك المقصد من قصة إبراهيم عليه السلام، وشرح أحواله، الدعوة على ملة الإسلام، وترك التعصب في الدين، وذلك لأنه إذا علم أنه نال الإمامة بالانقياد لحكمه تعالى، وأنه لم يستجب دعاءه في الظالمين، وأن الكعبة كانت مطافًا ومعبدا في وقته مأمورا هو بتطهيره، وأنه كان يحج البيت داعيا مبتهلا كما هو في دين النبي ﷺ، وأن نبينا عليه الصلاة والسلام من دعوته، وأنه دعا في حق نفسه وذريته بملة الإسلام؛ كان الواجب على من يعترف بفضله وأنه من أولاده، ويزعم اتباع ملته، ويباهي بأنه من ساكني حرمه، وحامي بيته، أن يكون حاله مثل ذلك))[1].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر والآلوسي يريان أن المناسبة هنا هي الاتحاد في المقصد، مع اختلاف في تعبير كل منهما.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فإ ما يريان أن المناسبة هنا هي إيراد نوع آخر من البيان.

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هنا هي الاشتراك في الحال.

والبقاعي يرى أن المناسبة هنا هي تذكير جميع الطوائف والملل بما أنعم الله تعالى به على إبراهيم عليه السلام.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة هذه الآية لما قبلها، إلا أن ما ذكره الطاهر أولى من غيره، كونه متفق مع حال مشركي العرب، الذين هم أفضل ذرية إبراهيم عليه السلام، وزرع إسماعيل عليه السلام، كما أ م سدنة البيت الحرام، فهو يرى أنه لما كملت الحُجج نهوضا على اليهود والنصارى والمشركين، وتبين سوء نواياهم؛ انتقل الحديث إلى توجيه التوبيخ والتذكير إلى العرب.

---

(١) روح المعاني (٥٠٨/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن مشركي العرب لما عارضوا دعوة الرسول ﷺ، وحاربوها، بل وكادوا لها، وخططوا للنيل منها، والقضاء عليها؛ ذَكرهم الله بمن يعظمونه، ويعظمون البيت الذي بناه بالطواف حوله، وفي ذلك إشعار لهم بصدق القرآن، واستمالة لهم إلى دين الحق، كما أن فيه إشارة إلى أن الدعوة عن طريق تذكير المدعو بما يرغبه في قبول الدعوة من أهم وسائل نجاحها، وقبولها لدى الآخرين.

٣٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَاۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هاتين الآيتين الكريمتين لما قبلهما فقال: ((موقع هاته الآيات من سوابقها موقع النتيجة بعد الدليل، فإنه لما بين فضائل إبراهيم من قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ﴾(٢)إلى هنا؛ علم أن صاحب هاته الفضائل لا يعدلُ عن دينه والاقتداء به إلا سفيه العقل، أفن الرأي(٣)))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن الله تعالى بعد أن ذكر أمر إبراهيم عليه السلام، وما أجراه على يده من شرائف شرائعه التي ابتلاه ا، ومن بناء بيته، وأمره بحج عباد الله إليه، وما جبله الله تعالى عليه من الحرص على مصالح عباده، ودعائه بالخير لهم، وغير ذلك من الأمور التي سلف في هذه الآية السالفة؛ عجب الناس فقال: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾، والإيمان بما أتى من شرائعه، فكان في ذلك توبيخ اليهود والنصارى ومشركي العرب))(٥).

---

(١) الآيتان (١٣١،١٣٠) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٣) أفن: ناقص الرأي والعقل. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (أفن)، باب النون، فصل الهمزة (٤/ ٢٨٠)؛ مختار الصحاح، باب الهمزة (ص١٩).

(٤) التحرير والتنوير (٧٢٤/١).

(٥) مفاتيح الغيب (٦٨/٤).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما ذكر أمر إبراهيم عليه الصلاة والسلام، وشرائعه التي ابتلاه الله ا، وبناء بيته، والحرص على مصالح عباده، ودعائه بالخير لهم، وغير ذلك؛ عجب الناس فقال: ﴿ وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ ﴾))[1].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين فضائل إبراهيم عليه السلام، ومكانته الشريفة؛ ورأى الذين ينتسبون إليه، ويفخرون به معرضين عن الإيمان بمحمد ﷺ الذي هو على ملة إبراهيم عليه السلام؛ تعجب من إعراضهم، وحذر من مخالفة دينه، ووبخ كل من يحيد عن شريعته، ووصفه بالسفيه الذي يورد نفسه مواطن الهلكة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى قد أعطى ملة إبراهيم عليه السلام ميزةً عامةً، وشأنا عظيما، وفي ذلك إشارة إلى مكانة أبي الأنبياء عليه السلام.

ونبينا محمد ﷺ وهبه الله تعالى تلك الصفات الربانية، والمكانة الرفيعة، التي شهد له ا، فاستحق أن يكون رسولا نبيا متبعا كما أراده ربه عز وجل، وعندما يخالفه شخص، ويسلك غير منهجه، فإنه لا يمكن أن يكون راشدا، بل أقل ما يقال فيه: إنه سفيه خفيف العقل.

(١) اللباب (٢/٤٩٧).

٣٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عقبت الآيات المتقدمة من قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ﴾[٢] ـذه الآية لأن تلك الآيات تضمنت الثناء على إبراهيم وبنيه، والتنويه بشأ ـم، والتعريض بمن لم يقْتف آثارهم من ذريتهم، وكأن ذلك قد ينتحل منه المغرورون عذرا لأنفسهم فيقولون نحن وإن قصرنا فإن لنا من فضل آبائنا مسلكًا لنجاتنا، فَذُكرت هذه الآية لإفادة أن الجزاء بالأعمال، لا بالاتكال))[٣].

و ـذا المعنى ذكر البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها فقال: ((ولما كان في ذلك أعظم تسجيل عليهم، بأ ـم نابذوا وصية الأصفياء من أسلافهم، ومرقوا من دينهم، وتعبدوا بخلافهم، وكان من المعلوم قطعا أن الجواب أ ـم ما شهدوا ذلك، ولا هم مسلمون؛ عبر عنه بقوله: ﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ﴾))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي أن الله تعالى لما أثنى على إبراهيم عليه السلام وبنيه في الآيات السابقة، وعرض بمن لم يؤمن برسالته من ذريته، وخيف أن يتعذّر أولئك بآبائهم فينحرفون عن الحق، أو يقصرون في الأخذ به؛ عقّب بذكر هذه الآية ليبطل اعتقادهم ذلك.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن كل شخصٍ مختص ومحاسب بعمله، وثوابه لا ينصرف إلى غيره، وبالتالي فلا يمكن أن ينتفع الابن الضال بحسنات أبيه المهتدي،

---

(١) الآية (١٣٤) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٢٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٧٣٥/١).

(٤) نظم الدرر (٢٥٢/١).

والعكس كذلك، وهنا قَطَع الله أمانيّ المتواكلين، الذين علقوا آمالهم بصلاح أبيهم إبراهيم ﷺ وأبنائه، وظنوا أ م نافعوهم يوم القيامة.

والقرآن الكريم والسنة النبوية قد وردت فيهما قَصص من هذا القبيل عديدة، كقصة نوح ﷺ وابنه، وقصة إبراهيم ﷺ وأبيه، وقصة نبينا محمد ﷺ وعمه أبي طالب.

فكانت عظةً وعبرةً لأولي الألباب.

٣٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ كُونُواْ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُواْۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًاۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((الظاهر أنه عطف على قوله: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[2]، فإنه بعد أن ذَمهم بالعدول عن تلقي الإسلام الذي شمل خصال الحنيفية، بين كيفية إعراضهم، ومقدار غرورهم، بأ م حصروا الـ ـهدى في اليهودية والنصرانية، أي كل فريق منهم حصر الهدى في دينه))[3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين الدلائل التي تقدمت صحة دين الإسلام؛ حكى بعدها أنواعا من شبه المخالفين الطاعنين في الإسلام))[4].

- وقال البقاعي: ((ولما أخبر تعالى أ م تركوا السنةَ في ذيب أنفسهم، بالاقتداء في الاهتداء بالأصفياء من أسلافهم، وبين بطلان ما هم عليه الآن من كل وجه، وأوضح أنه محض الضلال؛ بين أنه عاقبهم على ذلك بأن صيرهم دعاةً إلى الكفر، لأن سنته الماضيةَ سبقت، ولن تجد لسنته تحويلا أن من أمات سنة أحيى على يديه بدعة عقوبة له))[5].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي توضيح وبيانٌ لكيفية إعراض اليهود والنصارى، ومقدار غرورهم.

أما ما أورده الرازي فلا يختلف كثيرا مع ما ذكره الطاهر.

---

(١) الآية (١٣٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٣٠) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٧٣٦/١).

(٤) مفاتيح الغيب (٨٠/٤).

(٥) نظم الدرر (٢٥٣/١).

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي بيانٌ للعقوبة التي عاقب الله تعالى ا اليهود والنصارى، فإ م لما تركوا السنة في ذيب أنفسهم وهدايتها إلى الإسلام؛ عاقبهم بأن صيرهم دعاة إلى الكفر.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، فالآيات السابقة تحدثت عن إعراض اليهود والنصارى عن الحق، ومعاند م، وتكبرهم، فكان الأنسب أن يوضح بعد ذلك كيفية ذلك الإعراض، وسببه، المتمثل في اعتقادهم الباطل، فاليهود يعتقدون بأن الحق في اليهودية، والنصارى يعتقدون أن الحق في النصرانية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن اليهود والنصارى قد بلغ م الغرور مبلغه، حين دعوا الناس إلى اعتناق اليهودية والنصرانية، معتقدين صحةَ ذلك، وفي ذلك إشارة مهمة إلى اعتقاد آخر موجود لديهم -يفهم من اعتقادهم الـمعلن- وهو نفي الهدى عن متبعي ملة إبراهيم عليه السلام، وهذا منتهى الغرور.

٤٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمۡ عَن قِبۡلَتِهِمُ ٱلَّتِي كَانُواْ عَلَيۡهَاۚ قُل لِّلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُۚ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها ولما بعدها فقال: ((قد خفي موقع هذه الآية من الآي التي بعدها، لأن الظاهر منها أنها إخبار عن أمرٍ يقع في المستقبل، وأن القبلة المذكورة فيها هي القبلة التي كانت في أول الهجرة بالمدينة، وهي استقبال بيت المقدس، وأن التولي عنها هو نسخها باستقبال الكعبة، فكان الشأن أن يترقب طعن الطاعنين في هذا التحويل بعد وقوع النسخ، أي بعد الآيات الناسخة لاستقبال بيت المقدس، لما هو معلوم من دأبهم من الترصد للطعن في تصرفات المسلمين، فإن السورة نزلت متتابعة، والأصل موافقة التلاوة للنــزول في السورة الواحدة، إلا ما ثبت أنه نزل متأخرا ويتلَى متقَدما.

والظاهر أن المراد بالقبلة المحولة القبلةُ المنسوخةُ، وهي استقبال بيت المقدس، أعني الشرق، وهي قبلة اليهود، ولم يشف أحد من المفسرين، وأصحاب أسباب النــزول الغليلَ في هذا على أن المناسبة بينها وبين الآي الذي قبلها غير واضحة، فاحتاج بعض المفسرين إلى تكلف إبدائها.

والذي استقر عليه فهمي أن مناسبة وقوع هذه الآية هنا مناسبة بديعة، وهي أن الآيات التي قبلها تكرر فيها التنويه بإبراهيم وملته، والكعبة، وأن من يرغب عنها قد سفه نفسه، فكانت مثارا لأن يقول المشركون ما ولى محمدا وأتباعه عن قبلتهم التي كانوا عليها بمكة، أي استقبال الكعبة، مع أنه يقول أنه على ملة إبراهيم، ويأبى عن اتباع اليهودية والنصرانية، فكيف ترك قبلة إبراهيم، واستقبل بيت المقدس؟ ولأنه قد تكررت الإشارة في الآيات السابقة إلى هذا الغرض بقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلۡمَشۡرِقُ وَٱلۡمَغۡرِبُ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَلَن تَرۡضَىٰ عَنكَ ٱلۡيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمۡ﴾[(٣)]...وقد علم الله ذلك

(١) الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١١٥) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٢٠) من سورة البقرة.

منهم فأنبأ رسوله بقولهم، وأتى فيه ذا الموقع العجيب، وهو أن جعله بعد الآيات المشيرة له، وقبل الآيات التي أنزلت إليه في نسخ استقبال بيت المقدس، والأمر بالتوجه في الصلاة إلى جهة الكعبة، لئلا يكون القرآن الذي فيه الأمر باستقبال الكعبة نازلا بعد مقالة المشركين، ويشمخ بأنوفهم، يقولون غَير محمد قبلته من أجل اعتراضنا عليه، فكان لموضع هذه الآية هنا أفضلُ تمكنٍ، وأوثَق ربط))[١].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أن اليهود والنصارى قالوا: إن إبراهيم، ومن ذكر معه، كانوا يهودا ونصارى. ذكروا ذلك طعنا في الإسلام، لأن النسخ عند اليهود باطل، فقالوا: الانتقال عن قبلتنا باطل وسفه، فرد الله تعالى ذلك عليهم بقوله: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾[٢]الآية، فبين ما كان هداية، وما كان سفها. و (سيقول) ظاهر في الاستقبال، وأنه إخبار من الله تعالى لنبيه ﷺ، أنه يصدر منهم هذا القول في المستقبل، وذلك قبل أن يؤمروا باستقبال الكعبة، وتكون هذه الآية متقدمةً في النـزول على الآية المتضمنة الأمر باستقبال الكعبة، فتكون من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه، ليكون ذلك معجِزا، إذ هو إخبار بالغيب، ولتتوطن النفس على ما يرِد من الأعداء، وتستعد له، فيكون أقل تأثيرا منه إذا فاجأ، ولم يتقدم به علم، وليكون الجواب مستعدا لمنكر ذلك))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما كان ادعاؤهم أن أسلافهم على دينهم، لئلا تنتقض دعواهم أن الجنة خاصةٌ م، مع كونه فضولا لا سند له يثْبت به شيءٌ محاولةً لعدم جواز النسخ، وكان إبطالُ الله تعالى لقولهم، وعيبهم بما أحدثوا في دينهم، وتقريعهم به، ملزوما لأن يكونوا أباحوا أنفسهم منه ما منعوا منه خالقهم، وهو لا يسألُ عما يفعل؛ كانوا أسفَه الناس، فَعقبه بالتصريح بعيبهم، والتعجيب منهم في إنكارهم لنسخ

---

(١) التحرير والتنوير (٥/٢).

(٢) الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

(٣) البحر المحيط (٩/٢).

القبلة، وخفْتهم بالاعتراض على ر م، فقال واصلا له بما قبله على وجه أعم: ﴿سَيَقُولُ﴾ إلى آخره))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن مناسبة هذه الآية لما قبلها هي أنه لما تكرر في الآيات السابقة ذكر إبراهيم ، وملته والكعبة، وتسفيه من رغب عنها؛ كان ذلك مثارا لأن يقول المشركون: ما ولى محمدا وأتباعه عن استقبال الكعبة، مع أنه يدعي أنه على ملة إبراهيم، ويأبى اتباع اليهودية والنصرانية، فكيف ترك قبلة إبراهيم، واستقبل بيت المقدس؟ فأخبر الله الرسول ﷺ بذلك؛ لكي لا يكون الأمر باستقبال الكعبة نازلا بعد مقالة المشركين فتزهو نفوسهم.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي من باب الإخبار بالشيء قبل وقوعه، ولتوطين النفس على ما سوف يرد من الأعداء فتستعد له، فيكون أقل تأثيرا عليها.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي التصريح بعيب أهل الكتاب، والتعجب منهم في إنكارهم نسخ القبلة.

ومن خلال ما سبق ذكره يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر هو أولى الأقوال، وأنسبها، كونه يستقيم مع مجمل الأحداث التي حدثت عند تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الآية قد تم التمهيد للمراد منها من الآيات التي سبقتها، وذلك من خلال الإشارة إلى إبراهيم ، ومناقبه، وملته، والكعبة، فدلّ ذلك على أن المراد بالسفهاء هم المشركون، وليس أهل الكتاب، وما يقوي هذا المعنى هو تبيين السفهاء بقوله تعالى: ﴿مِنَ ٱلنَّاسِ﴾[٢]، فقد عرف في اصطلاح القرآن النازل بمكة أن لفظ الناس يراد به المشركون.

---

(١) نظم الدرر (٢٥٩/١).

(٢) من الآية (١٤٢) من سورة البقرة.

وبذلك يظهر بوضوحٍ كيف ألقت هذه المناسبة بظلالها على معنى الآية، حيث بينت لنا أن المراد بالسفهاء المشركون، والمراد بالقبلة التي كانوا عليها الكعبة.

٤١ - المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فالآية السابقة لما أشارت إلى أن الذين هدوا إلى صراط مستقيمٍ هم المسلمون، وأن ذلك فضل لهم؛ ناسب أن يستطرد لذكر فضيلة أخرى لهم هي خير مما تقدم، وهي فضيلة كَون المسلمين عدولا خيارا، ليشهدوا على الأمم))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((ولما بين استقامة القبلة التي وجههم إليها، عرف أ ا وسطٌ لا جور فيها، فأتبع ذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾، أي ومثل ما جعلنا قبلتكم وسطًا لأ ا إلى البيت العتيق، الذي هو وسط الأرض، وهو بناء إبراهيم عليه السلام هو أوسط الأنبياء، وهو مع ذلك خيار البيوت، فهو وسط بكل معنى))(٣).

- وقال الآلوسي: ((اعتراض بين كلامين متصلين وقعا خطًابا له ﷺ استطرادا لمدح المؤمنين بوجه آخر، أو تأكيدا لرد الإنكار بأن هذه الأمة، وأهل هذه الملة شهداء عليكم يوم الجزاء، وشهادا م مقبولة عندكم، فأنتم إذًا أحق باتباعهم، والاقتداء م، فلا وجه لإنكاركم عليهم))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي ذكر فضيلة من فضائل هذه الأمة المباركة، ووافقه الآلوسي في ذلك.

---

(١) الآية (١٤٣) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (١٤/٢).

(٣) نظم الدرر (٢٦١/١).

(٤) روح المعاني (٥٥٠/٢).

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي ما سبق ذكره من الأمور الوسط كالقبلة، والكعبة التي هي وسط الأرض، وإبراهيم ﵇ الذي هو وسط الأنبياء.

وهو قولٌ لطيف جِدا.

والذي يظهر من خلال ما سبق أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى اختار هذا الوصف للأمة المحمدية تشريفًا وتكريما لها، وفي ذلك إشارة إلى عظَمة هذه الأمة المباركة، وعظَمة نبيها ﷺ، فكأنّ هذه الأمةَ تعدلُ جميع الأممِ السابقة، وكأن الرسول ﷺ يعدلُ أُمةً بمفرده، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَـٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾[1]. فيفهم أنّ كُل أُمةٌ تشهد على أُمة.

(١) الآية (١٤٣) من سورة البقرة.

٤٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ ۚ وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ ۚ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((عطْف على قوله ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾[2]، والمناسبة أ م يعلمون ولا يعلمون، فلما أُفيد أ م يعلمون أنه الحق على الوجه المتقدم في إفادته التعريض بأ م مكابرون؛ ناسبت أن يحقق نفْي الطمع في اتباعهم القبلة، لدفْع توهم أن يطمع السامع باتباعهم، لأ م يعلمون أحقيتها))[3].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين في الآية الأولى أن الذين أوتوا الكتاب يعلمون أن هذه القبلة حق؛ بين بعد ذلك أن صفتهم لا تتغير في الاستمرار على المعاندة))[4].

- وقال البقاعي: ((ولما أُطمع أولَ الآية في أهل الكتاب، وقَطَع عنهم آخرها، صرح بما لُوح إليه هذا الأخير، وأعلمه ﷺ بعاقبة أمرهم، وأنه لا اتفاق بينه وبينهم أصلا، ولا اتفاق بين فريقيهم، مع كون الكُل من بني إسرائيل، ليريحه ﷺ من التطلع إلى هدى بعضهم فقال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟﴾))[5].

(١) الآية (١٤٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٤٤) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٣٥/٢).
(٤) مفاتيح الغيب (١٢٤/٤).
(٥) نظم الدرر (٢٦٨/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين في الآية التي قبلها أن أهل الكتاب يعلمون الحق؛ خيف أن يتوهم السامع فيطمع باتباعهم القبلة؛ فعطف ـذه الآية لدفع ذلك التوهم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العناد والمكابرة قد تمكّنا من نفوس أهل الكتاب أي تمكن، ولم يعد هناك بصيص أمل في رضوخهم للحق، بدليل أنه لو جيء لهم بكل آية ما آمنوا، وما تبعوا القبلة التي ارتضاها الله لنبيه ﷺ، ولأمته.

وبذلك تنقطع الآمال والأطماع في إيمان أمثال هؤلاء.

٤٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((بعد أن لَقن الله تبارك وتعالى الرسولَ ﷺ ما يجيب به عن قولهم: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾، وبعد أن بين للمسلمين فضيلة قبلتهم، وأ م على الحق، وأيأسهم من ترقبِ اعتراف اليهود بِصحة استقبال الكعبة؛ ذَيلَ ذلك ذا التذييل الجامع لمعان سامية، طيًا لبساط ا ادلة مع اليهود في أمر القبلة))[٢].

وقد وافق الطاهر أبا حيان والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((لما ذَكَر القبلة التي أُمر المسلمون بالتوجه إليها، وهي الكعبة، وذَكَر من تصميم أهل الكتاب على عدم اتباعها، وأن كُلا من طائفتي اليهود والنصارى مصممةٌ على عدم اتباع صاحبها؛ أعلم أن ذلك هو بفعله، وأنه هو الـمقَدر ذلك، وأنه هو موجه كل منهم إلى قبلته))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما بين أن أحدا من هؤلاء الفرق لا يتبع قبلة الآخر، وتضمن ذلك أن لكل منهم قبلةً، وقَرر أن ذلك من أهل الكتاب على وجه العناد؛ أثبت ما تضمنه الكلام السابق على وجه أعم منه، وسبب عنه النتيجة فقال تعالى: ﴿ وَلِكُلٍّ ﴾))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذَكَر القبلة التي أَمر المسلمين باستقبالها، وبين لهم فضيلتها، وأيأسهم من الطمع في اعتراف اليهود ا؛ أثبت هنا أن ذلك بفعله تعالى، وذيل ذا التذييل لكي يطوي قضية ا ادلة مع اليهود في أمر القبلة.

---

(١) الآية (١٤٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٤١/٢).

(٣) البحر المحيط (٣٥/٢).

(٤) نظم الدرر (٢٧١/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى قطع هنا قول كل المعاندين، وفي ذلك إشارة بصرف المسلمين إلى الاهتمام بالمقاصد، والاعتناء بإصلاح مجتمعهم، كما لا تخفى الإشارة إلى شكر الله تعالى إذ وفق المسلمين إلى طاعته باستقبال الكعبة.

٤٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((والمناسبة بينها وبين ما قبلها هو أن العدول عن السعي بين الصفا و المروة يشبه فعل من عبر عنهم بالسفهاء من القبلة، وإنكار العدول عن استقبال بيت المقدس، فموقع هذه الآية بعد إلحاقها بهذا المكان موقع الاعتراض في أثناء الاعتراض))[٢].

- قال الرازي: ((اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجوه.

أحدها: أن الله تعالى بين أنه إنما حولَ القبلَةَ إلى الكعبة ليتم إنعامه على محمد ﷺ وأمته، بإحياء شرائع إبراهيم ودينه على ما قال: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي عَلَيْكُمْ﴾[٣]،وكان السعي بين الصفا والمروة من شعائر إبراهيم على ما ذُكر في قصة بناء الكعبة، وسعي هاجر بين الجبلين، فلما كان الأمر كذلك؛ ذَكَر الله تعالى هذا الحكم عقيب تلك الآية.

وثانيها: أنه تعالى لما قال: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّـٰبِرِينَ﴾[٤]؛ قال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، وإنما جعلهما كذلك لأنهما من آثار هاجر وإسماعيل مما جرى عليهما من البلوى، واستدلوا بذلك على أن من صبر على البلوى لا بد وأن يصل إلى أعظم الدرجات، وأعلى المقامات.

وثالثها: أن أقسام تكليف الله تعالى ثلاثة: أحدها: ما يحكم العقل بحسنه في أول الأمر، فذكر هذا القسم أولا وهو قوله: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا

(١) الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٥٨/٢).

(٣) من الآية (١٥٠) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (١٥٥) من سورة البقرة.

تَكۡفُرُونِ ﴾[١]، فإن كُل عاقلٍ يعلَم أن ذكر المنعم بالمدح، والثناء، والمواظبة على شكره، أمر مستحسن في العقول.

وثانيها: ما يحكم العقل بقبحه في أول الأمر، إلا أنه بسبب ورود الشرع به يسلم حسنه، وذلك مثل إنزال الآلام والفقر والمحن، فإن ذلك كالمستقبح في العقول، لأن الله تعالى لا ينتفع به، ويتألم العبد منه، فكان ذلك كالمستقبح، إلا أن الشرع لما ورد به، وبين الحكمة فيه، وهي الابتلاء والامتحان على ما قال: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ ﴾[٢]، فحينئذ يعتقد المسلم حسنه، وكونه حكمةً وصوابا.

وثالثها: الأمر الذي لا يهتدي لا إلى حسنه ولا إلى قبحه، بل يراه كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة، وهو مثل أفعال الحج من السعي بين الصفا والمروة، فذكر الله تعالى هذا القسم عقيب القسمين الأولين، ليكون قد نبه على جميع أقسام تكاليفه، وذاكرا لكلها على سبيل الاستيفاء والاستقصاء والله أعلم))[٣].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها: أن الله تعالى لما أثنى على الصابرين، وكان الحج من الأعمال الشاقة المفنية للمال والبدن، وكان أحد أركان الإسلام؛ ناسب ذكره بعد ذلك))[٤].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((في تعلق هذه الآية بما قبلها وجوه:

أحدها: أنه سبحانه وتعالى بين أنه إنما حول القبلة إلى الكعبة؛ ليتم إنعامه على محمد -صلوات البر الرحيم وسلامه عليه- وأمته بإحياء شريعة إبراهيم عليه السلام

---

(١) من الآية (١٥٢) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٥٥) من سورة البقرة.

(٣) مفاتيح الغيب (١٥٦/٤).

(٤) البحر المحيط (٦٥/٢).

لقوله تعالى: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِي﴾[1]، وكان السعي بين الصفا والمروة من شريعة إبراهيم عليه السلام، فذكر هذا الحُكم عقب تلك الآية.

وقيل: إنه تبارك وتعالى لما أمر بالذكر مطْلَقًا في قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي﴾[2]؛ بين الأحوال التي يذكر فيها، وإحداها الذكر مطْلقًا، والثانية: الذكر في حال النعمة، وهو المراد بقوله تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِي﴾[3]، الثالثة: الذكر في حال الضراء، فقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾[4]، ثم بين في هذه الآية المواضع التي يذكر فيها، ومن جملتها عند الصفا والمروة، وبقية المشاعر.

وثانيها: أنه لما قال سبحانه: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾ إلى قوله: ﴿وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾، ثم قال عز وجل: ﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ﴾[5]، وإنما جعلها كذلك، لأ ا من آثار هاجر، وإسماعيل، وما جرى عليهما من البلْوى، ويستدل بذلك على أن من صبر على البلوى، لا بد وأن يصل إلى أعظم الدرجات.

وثالثها: أن أقسام التكليف ثلاثة:

أحدها: ما يحكم العاقل بحسنه في أول الأمر، فَذَكَره أولا، وهو قوله تعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾، فإن كل عاقلٍ يعلم أن ذكر المنعم بالمدح، والشكر، أمر مستحسن في العقل.

وثانيها: ما يحكم العقل بقبحه في أول الأمر، إلا أنه لـما ورد الشرع به، وبين الحكمة فيه، وهي الابتلاء، والامتحان على ما قال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ

(١) من الآية (١٥٠) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٥٢) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٥٢) من سورة البقرة.
(٤) من الآية (١٥٥) من سورة البقرة.
(٥) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ﴾، فحينئذ يعتقد المسلم حسنه، وكونه حكمةً وصوابا.

وثالثها: ما لا يهتدي العقل إلى حسنه، ولا إلى قبحه، بل يراها كالعبث الخالي عن المنفعة والمضرة، وهو مثل أفعال الحج من السعي بين الصفا والمروة، فذكر الله تعالى هذا القسم عقيب القسمين الأولين؛ ليكون قد نبه على جميع أقسام التكاليف))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما فرغ مما أراد من أحوال الطاعنين في القبلة، التي هي قيام للناس، وما استتبع ذلك مما يضطره إليه في إقامة الدين من جدالهم وجلادهم، وختم ذلك بالهدى؛ شرع في ذكر ما كان البيت به قياما للناس من المشاعر القائدة إلى كل خير، الحامية عن كل ضير، التي جعلت مواقفها أعلاما على الساعة، لا سيما والحج أخو الجهاد في المشقة، والنـزوح عن الوطن، وقد سماه النبي ﷺ أحد الجهادين، مع أنه من أعظم مقاصد البيت المذكورة في هذه الآيات مناقبه، المتلُوة مآثره، المنصوبة شعائره، التي هي في الحقيقة دعائمه، من الاعتكاف، والصلاة، والطواف، المشار إلى حجه واعتماره...فأفصح به بعد تلك الإشارة بعض الإفصاح، إذ كان لم يبق من مفاخره العظمى غيره، وضم إليه العمرة الحج الأصغر لمشاركتها له في إظهار فخاره، وإعلاء مناره، فقال: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ ﴾(٢)، فهو كالتعليل لاستحقاق البيت لأن يكون قبلة))(٣).

- وقال الآلوسي: ((لما أشار سبحانه فيما تقدم إلى الجهاد؛ عقب ذلك ببيان معالم الحج، فكأنه جمع بين الحج والغزو، وفيهما شق الأنفس، وتلف الأموال، وقيل: لما ذكر الصبر؛ عقبه ببحث الحج، لما فيه من الأمور المحتاجة إليه))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي اتحاد المشهد في موقف الذين عدلوا عن السعي، والذين أنكروا العدول عن استقبال بيت المقدس.

---

(١) اللباب (٣/٩٠).
(٢) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.
(٣) نظم الدرر (١/٢٨٢).
(٤) روح المعاني (٢/٥٧٨).

وهذا القول لا يخفى ما فيه من تكلّف ظاهر، فإن المسلمين حين عدلوا عن السعي بين الصفا والمروة، لم يكن الدافع المكابرة والعناد، كما كان حال الذين عدلوا عن استقبال القبلة، بل كان الدافع التحرج، ويؤيد هذا ما ثبت عن عاصم بن سليمان(1) قال: سألت أنس بن مالك(2) رضي الله عنه عن الصفا والمروة، قال: كنا نرى أ ما من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾(3)))(4).

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فيريان أن هذه الآية قد تتعلق بما قبلها من ثلاثة أوجه:

الوجه الأول: الاشتراك في إحياء شرائع إبراهيم عليه السلام في كل من تحويل القبلة إلى الكعبة، والسعي بين الصفا والمروة.

الوجه الثاني: الاشتراك في الابتلاء في كل من الخوف والجوع...الخ، والابتلاء الذي حصل لهاجر وإسماعيل عليهما السلام في الصفا والمروة.

الوجه الثالث: إتمام أقسام التكاليف الإلهية الثلاثة بأمرٍ لا يهتدي العقل لا إلى حسنه، ولا إلى قبحه، والسعي بين الصفا والمروة من هذا القسم.

والذي يظهر أن الوجه الأول يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية، أما الوجه الثاني والثالث ففيهما بعض التكلف.

---

(١) هو أبو عبد الرحمن البصري الأحول، كان إماما حافظًا مكثرا، حدث بالبصرة، (ت١٤٢). ينظر: الطبقات الكبرى (٢٣١/٧)؛ تذكرة الحفاظ (١٤٩/١)؛ سير أعلام النبلاء (١٣/٦).

(٢) أنس بن مالك بن النضر الأنصاري الخزرجي، خادم رسول الله ﷺ، دعا له ﷺ بالمال والولد والبركة، من المكثرين في الرواية عن الرسول ﷺ، (ت٩٣هـ)، وهو آخر من مات من الصحابة في البصرة. ينظر: الاستيعاب (١٩٨/١)؛ أسد الغابة (١٥١/١)؛ الإصابة (٧١/١).

(٣) من الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾، (١٣٦٠/٣)، رقم [٤٤٩٦]؛ أسباب النـزول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري (ص٣١)؛ لباب النقول (ص٣٠).

أما أبو حيان فيرى أن ثناء الله تعالى على الصابرين ناسبه ذكر ما يحتاج إلى الصبر، وهو الحج، ومنه السعي بين الصفا والمروة.

وهذا القول فيه تكلّف أيضا.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي إظهار مفاخر البيت الحرام، والتعليل لاستحقاقه لأن يكون قبلة المسلمين. وهو قول مقبول.

وعليه فإن الوجه الأول من الأوجه التي ذكرها الرازي، وابن عادل الحنبلي، وما ذكره البقاعي، كلاهما يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية، إلا أن ماذكره الرازي وابن عادل الحنبلي أنسب وألطف، لكو ما ربطا بين السعي بين الصفا والمرة وتحويل القبلة إلى الكعبة، وكلاهما مرتبطان بشعائر إبراهيم عليه السلام. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى عندما أراد من المؤمنين رفع التحرج من السعي بين الصفا والمروة، بسبب اعتقادهم أنه من عادات الجاهلية، رغبهم في ذلك بتعظيمهما، وإخبارهم أ ما من شعائره سبحانه وتعالى، وفي ذلك إظهار واعتزاز بالبيت الحرام. حفظه الله من كل مكروه.

٤٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ مِنۢ بَعۡدِ مَا بَيَّنَّٰهُ لِلنَّاسِ فِي ٱلۡكِتَٰبِ أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ﴾(1).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فمناسبة وقع هاته الآية بعد التي قبلها، أن ما قبلها كان من الأفانين القرآنية المتفننة على ذكر ما قابل به اليهود دعوةَ النبيء ﷺ، وتشبيههم فيها بحال سلفهم في مقابلة دعوة أنبيائهم من قبل، إلى مبلغ قوله تعالى: ﴿أَفَتَطۡمَعُونَ أَن يُؤۡمِنُواْ لَكُمۡ وَقَدۡ كَانَ فَرِيقٞ مِّنۡهُمۡ يَسۡمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ﴾(2)إلى قوله: ﴿ وَلَمَّا جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ نَبَذَ فَرِيقٞ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾(3)الآية، وما قابل به اشتباههم من النصارى، ومن المشركين الدعوة الإسلامية، ثم أفضى ذلك إلى الإنحاء على المشركين قلة وفائهم بوصايا إبراهيم الذي يفتخرون بأ م من ذريته، وأ م سدنةُ بيته، فقال: ﴿ وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ ﴾(4)الآيات، فنوه بإبراهيم، وبالكعبة واستقبالها، وشعائرها، وتخللَ ذلك رد ما صدر عن اليهود من إنكار استقبال الكعبة إلى قوله: ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ ﴾(5)يريد علماءَهم، ثم عقب ذلك بتكملة فضائل الكعبة وشعائرها، فلما تم جميع ذلك عطف الكلام إلى تفصيل ما رماهم به إجمالا في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ ﴾ فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا ﴾ إلخ، وهذه طريقة في الخطابة، هي إيفاء الغرض المقصود حقه، وتقصير الاستطراد والاعتراض الواقعين في أثنائه، ثم الرجوع إلى ما يهم الرجوع إليه من تفصيل استطراد أو اعتراضٍ تخللَ الغرض المقصود))(6).

---

(١) الآية (١٥٩) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٧٥) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (١٠١) من سورة البقرة.

(٤) من الآية (١١٤) من سورة البقرة.

(٥) من الآية (١٤٦) من سورة البقرة.

(٦) التحرير والتنوير (٦٥/٢).

وقال البقاعي: ((ولما تقدم أن بعض أهل الكتاب يكتمون ما يعلمون من هذا الحق، وختم ما أتبعه له بصفتي الشكر والعلم، ترغيبا وترهيبا، بأنه يشكر من فعل ما شرعه له، ويعلم من أخفاه، وإن دق فعله، وبالغ في كتمانه، انعطف الكلام إلى تبكيت المنافقين منهم والمصارحين، في لعنهم على كتما م ما يعلمون من الحق، إذ كانت هذه كلها في الحقيقة قصصهم، والخروج إلى غيرها إنما هو استطراد على الأسلوب الحكيم المبين، لأن هذا الكتـاب هدى، وكان السياق مرشدا إلى أن التقدير بعـد ﴿شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾[1]، ومن أحدث شرا فإن الله عليم قدير، فَوصلَ به استئنافًا قوله على وجه يعمهم وغيرهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾[2]بيانا لجزائهم))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أشار إلى كتمان أهل الكتاب للحق، واستطرد في قضايا تهم المؤمنين؛ عاد هنا ليبين عقوبة أولئك الذين كتموا الحق.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تتضح لنا خطورة كتمان العلم، وأن هذا السلوك عقوبته الطرد والإبعاد من رحمة الله، لما في ذلك من ضررٍ با تمعات، وتجهيل لها، ولما فيه من إخفاء حقائق قد تكون سببا في إنقاذ الكثيرين من الوقوع فيما يغضب الجبار ﷻ.

---

(١) الآية (١٥٨) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٥٩) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٢٨٨/١).

٤٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف كلام لإفادة حال فريق آخر مشارك للذي قبله في استحقاق لعنة الله واللاعنين، وهي لعنة أخرى، وهذا الفريق هم المشركون، فإن الكفر يطلق كثيرا في القرآن مرادا به الشرك...وذلك أن المشركين قد قُرنوا سابقًا مع أهل الكتاب، قال تعالى: ﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَلَا ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾(٢)الآية، ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ لَوۡلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوۡ تَأۡتِينَآ ءَايَةٞۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِم مِّثۡلَ قَوۡلِهِمۡۘ تَشَٰبَهَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾(٣)، فلما استؤنف الكلام ببيان لعنة أهل الكتاب الذين يكتمون؛ عقب ذلك ببيان عقوبة المشركين أيضا))(٤).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((لما ذكر حال من كتم العلم وحال من تاب، ذكر حال من مات مصرا على الكفر، وبالغ في اللعنة، بأن جعلها مستعلية عليه، وقد تجللته وغشيته، فهو تحتها))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما لعن الكاتمين، واستثنى منهم التائبين؛ ذكر المـصرين، معبرا عن كتما م بالكفر، لتعم العبارة كل كفر))(٦).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي بيان عقوبة فريق آخر غير أهل الكتاب، وهم المشركون.

---

(١) الآية (١٦١) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٠٥) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١١٨) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٧٢/٢).
(٥) البحر المحيط (٧١/٢).
(٦) نظم الدرر (٢٩٠/١).

أما أبو حيان والبقاعي فيريان أن المناسبة ذكر حال من مات مصرا على الكفر على وجه العموم.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية، فإن الله تعالى لما ذكر حال الذين يكتمون الحق من أهل الكتاب، عقّب بذكر عقوبة الذين ماتوا مصرين على كتمان ذلك الحق.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن باب التوبة مفتوح، فإذا جاء الموت أُغلق هذا الباب، وعوقب المُجرم على إجرامه، واستحق عقاب الله تعالى، خصوصا من مات مصرا على كفره وعناده، فالعبرة بالخاتمة.

٤٧ - المناســبة في قولــه تعــالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَٰنُ الرَّحِيمُ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((معطوف على جملة: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ﴾[(٢)]، والمناسبة أنه لما ذكر ما ينالهم على الشرك من اللعنة والخلود في النار؛ بين أن الذي كفروا به وأشركوا هو إله واحد))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال البقاعي: ((ولما أفاض عليهم سبحانه وتعالى ما أفاض، من بحار الحجاج المفرقة بالأمواج، وقرر ما أراد من شرائع الإسلام، على وجه الإتقان والإحكام، وأرشد هذا السياق، المذكور فيه ثواب المطيع، وعقاب العاصي، إلى أن التقدير: فإلهكم إله واحد لا شريك له يدافع عما يريد، لا إله إلا هو المنتقم من أعدائه، العظيم في كبريائه؛ عطَف عليه مكررا الزجر لكل منافق وكافر، ومذكرا بالعاطف لكل موافق مؤالف قوله تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ﴾))[(٤)].

- وقال الآلوسي: ((والجملة معطوفة على: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ﴾[(٥)]، عطف القصة على القصة، والجامع أن الأولى مسوقة لإثبات نبوته ﷺ، وهذه لإثبات وحدانيته تعالى))[(٦)].

ومن هذا النقل يتبين أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة للآية الكريمة، إلا أن ما ذكره الطاهر أنسب؛ كون سياق الآيات يؤيده ويقَويه، فالآيتان اللتان سبقتا هذه الآية تحدثتا عن عقوبة من كفَر بالله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَٰئِكَ

---

(١) الآية (١٦٣) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٦١) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٧٤/٢).

(٤) نظم الدرر (٢٩١/١).

(٥) من الآية (١٥٩) من سورة البقرة.

(٦) روح المعاني (٥٨٤/٢).

عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴾[1]، وهذه الآية جاءت لإثبات التوحيد الذي كفروا به: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴾[2]. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ما ذكره الطاهر في مناسبة هذه الآية لما قبلها، يرجح أن المراد من الذين كفروا في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ هم المشركون، لأنّ أهل الكتاب يؤمنون بإله واحد، بخلاف المشركين.

---

(١) الآيتان (١٦٢،١٦١) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٦٣) من سورة البقرة.

٤٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱلْفُلْكِ ٱلَّتِي تَجْرِي فِي ٱلْبَحْرِ بِمَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((موقع هاته الآية عقب سابقتها موقع الحُجة من الدعوى، ذلك أن الله تعالى أعلن أن الإله إله واحد لا إله غيره، وهي قضية من شأ ا أن تتلقى بالإنكار من كثير من الناس، فناسب إقامة الحجة لمن لا يقتنع، فجاء ذه الدلائل الواضحة التي لا يسع الناظر إلا التسليم إليها))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما حكم بالفردانية والوحدانية؛ ذَكَر ثمانيةَ أنواع من الدلائل التي يمكن أن يستدل ا على وجوده سبحانه أولا، وعلى توحيده وبراءته على الأضداد والأنداد ثانيا))(٣).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، هو أنه لما ذكر تعالى أنه واحد، وأنه منفرد بالإلهية، لم يكتف بالإخبار حتى أورد دلائل الاعتبار))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما كان هذا المقام لا يصح إلا بتمام العلم، وكمال القدرة؛ نصب الأدلة على ذلك في هذه الآية الثالثة، بأبسط مما في الآية الثانية، كما كانت الثانية أبسط من الأولى وأجلى، تبصيرا للجهال، وتذكيرا للعلماء، فكانت هذه الآية تفْصيلا لتينك الآيتين السابقتين، ولم تدع حاجة إلى مثل هذه التفصيل في آية آل عمران، لأن معظم المراد ا الدلالة على شمول القدرة، وأما هذه فدليل على التفرد،

(١) الآية (١٦٤) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٧٦/٢).
(٣) مفاتيح الغيب (١٧٨/٤).
(٤) البحر المحيط (٨٣/٢).

فكان لا بد من ذكر ما ربما أضيف إلى أسبابه القريبة، تنبيها على أنه لا شريك له في شيء من ذلك، وأن الكل بخلقه وإن أقام لذلك أسبابا ظاهرية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[١]))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أعلن للناس جميعا أنه إلههم، لا شريك له، وكان هناك من ينكر وحدانيته؛ عقب بالحجج الدامغة، والدلائل الواضحة، على حقيقة وحدانيته تعالى.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن إثبات الحقيقة بالـحجج الدامغة، والبراهين القاطعة، هي أقصر الطرق إلى إقامة الحجة على المنكر، كما أن هناك إشارة إلى رحمة الله تعالى بعباده، حيث إنه لم يكتف -سبحانه- بدعو م إلى توحيده، بل بين لهم الـحجج الواضحات، الدالة على وحدانيته، ليكون بذلك قد استوفى كل ما يمكن أن يقنعهم بالإيمان به، ليفوزوا بجنته.

كما لا يخفى ما في تلك الدلائل من النعم، فكانت أوضح لمن يتأمل، إذ التنبيه على ما فيه نفع باعثٌ على التفَكر.

(١) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.
(٢) نظم الدرر (٢٩٤/١).

٤٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ إِذْ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعَذَابِ ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾[2]إلخ، لأن تلك الجملة تضمنت أن قوما يعقلون استدلوا بخلق السموات والأرض، وما عطف عليه على أن الله واحد فوحدوه، فناسب أن يعطف عليه شأن الذين لم يهتدوا لذلك فاتخذوا لأنفسهم شركاء مع قيام تلك الدلائل الواضحة))[3].

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل القاهرة القاطعة؛ أردف ذلك بتقبيح ما يضاد التوحيد، لأن تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء...فلهذا السبب أردف الله تعالى الآية الدالة على التوحيد ‌ ذه الآية))[4].

- وقال أبو حيان: ((لما قرر تعالى التوحيد بالدلائل الباهرة؛ أعقب ذلك بذكر من لم يوفق، واتخاذه الأنداد من دون الله، ليظهر تفاوت ما بين المنهجين، والضد يظهر حسنه الضد))[5].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما قرر التوحيد بالدلائل العقلية القاطعة؛ أردفه بتقبيح ما يضاده، لأن تقبيح ضد الشيء مما يؤكد حسن الشيء))[6].

---

(١) الآية (١٦٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٨٩/٢).
(٤) مفاتيح الغيب (٢٠٤/٤).
(٥) البحر المحيط (٨٤/٢).
(٦) اللباب (١٣٤/٣).

- وقال البقاعي: ((ولما ـضت الأدلة، وسطعت البراهين، وزاحت العلل والشكوك؛ عاب من عبد سواه، وفزع إلى غيره))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أقام الدلائل على وحدانيته؛ عقب بتقبيح ما يضاده، ليزيد من حسن التوحيد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المشركين قد تمكن العناد من أنفسهم، بدليل أن الله تعالى لفت أبصارهم وبصائرهم إلى عجائب قدرته، الدالة على وحدانيته، فأعرضوا عنها، وأصروا على الإشراك به سبحانه، فأراد الله تعالى أن يبرز روعة التوحيد وجماله فجاء بضده المتمثل في حال المشركين، وفي هذا دلالةٌ على أنّ المقابلة تزيد من وضوح الشيء وبيانه.

(١) نظم الدرر (٢٩٩/١).

٥٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُوا۟ مِمَّا فِى ٱلْأَرْضِ حَلَـٰلًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَـٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف ابتدائي هو كالخاتمة، لتشويه أحوال أهل الشرك، من أصول دينهم وفروعه...فوصف هنا بعض مساوئ دين أهل الشرك فيما حرموا على أنفسهم مما أخرج الله لهم من الأرض، وناسب ذكره هنا أنه وقع بعد ما تضمنه الاستدلال على وحدانية الله، والامتنان عليهم بنعمته بقوله: ﴿إِنَّ فِى خَلْقِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن مَّآءٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ﴾(٢)الآية، وهو تمهيد وتلخيص لما يعقبه من ذكر شرائع الإسلام في الأطعمة وغيرها))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين التوحيد ودلائله، وما للموحدين من الثواب، وأتبعه بذكر الشرك، ومن يتخذ من دون الله أندادا، ويتبع رؤساء الكفر؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه على الفريقين، وإحسانه إليهم، وأن معصية من عصاه، وكُفر من كفر به، لم تؤثر في قطع إحسانه ونعمه عنهم))(٤).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذا لما قبله، أنه لما بين التوحيد ودلائله، وما للتائبين والعاصين؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه على الكافر والمؤمن، ليدل أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام))(٥).

---

(١) الآية (١٦٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٦٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠١/٢).

(٤) مفاتيح الغيب (٢/٥).

(٥) البحر المحيط (٩٩/٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما بين التوحيد ودلائله، وما للموحدين من الثواب، وأتبعه بذكر الشرك؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه على الفريقين، وأن معصية من عصاه، وكُفر من كفر به، لم تؤثر في قطع نعمه وإحسانه إليهم))[١].

وقال البقاعي: ((لما أقام سبحانه وتعالى الدليل على الوحدانية بما خلق من المنافع، وصنف الناس صنفين، ضال معطوف دال بعطفه على غير مذكور، على مهتد معطوف عليه، وختم بتأبيد عذاب الضال؛ أقبل على الصنفَين إقبالَ متلَطف مترفقٍ مستعطف مناديا لهم إلى تأبيد نفعهم قائلا: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾))[٢].

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة الآية لما قبلها، أنه سبحانه لما بين التوحيد ودلائله، وما للتائبين والعاصين؛ أتبع ذلك بذكر إنعامه، وشمول رحمته، ليدل على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي تشويه أحوال أهل الشرك حينما حرموا على أنفسهم بعض ما أباحه الله، وتمهيد لما سيأتي من أحكام الطعام في وغيره في الإسلام.

أما بقية المفسرين فقد اتفقوا جميعا على أن المناسبة هي ذكْر إنعام الله تعالى على الكافر والمؤمن، للدلالة على أن الكفر لا يؤثر في قطع الإنعام والإحسان.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

إلا أن الطاهر أشار إلى أن الآية تعتبر تمهيدا لما سيأتي من أحكام الأطعمة وغيرها، وهذا مالم يشر إليه أحد من المفسرين الذين وردت أقوالهم.

---

(١) اللباب (١٥٠/٣).
(٢) نظم الدرر (٣٠٥/١).
(٣) روح المعاني (٥٩٦/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله رحيم بعباده، رؤوف م، لا يعاملهم بكفرهم وعصيا م، ولكنه من كمال رحمته أمرهم بأن يأكلوا مما أحله لهم في الأرض، بل وحذرهم من الوقوع في الضلال باتباع الشيطان، فأي رحمة أعظم من رحمته تعالى!

٥١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوۡ كَانَ ءَابَآؤُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَهۡتَدُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((الأحسن عندي أن يكون عطفًا على قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ﴾(٢)، فإن المقصود بالخطاب في ذلك هم المشركون...وفي هذه الآية المعطوفة زيادة تفظيع لحال أهل الشرك، فبعد أن أثبت لهم اتباعهم خطوات الشيطان فيما حرموا على أنفسهم من الطيبات؛ أعقب ذلك بذكر إعراضهم عمن يدعوهم إلى اتباع ما أنزل الله، وتشبثوا بعدم مخالفتهم ما أَلفُوا عليه آباءهم، وأعرضوا عن الدعوة، إلى غير ذلك دون تأمل ولا تدبر))(٣).

وقد وافق الطاهر كُلا من الرازي والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((إنما ذكر تعالى هذه الآية عقيب الزجر عن اتباع خطوات الشيطان، تنبيها على أنه لا فرق بين متابعة وساوس الشيطان، وبين متابعة التقليد))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما اهم سبحانه وتعالى عن متابعة العدو؛ ذمهم بمتابعته، مع أنه عدو من غير حجة، بل بمجرد التقليد للجهلة))(٥).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما حذّر من اتباع العدو الأول وهو الشيطان، وأن المشركين كانوا قد وقعوا في ذلك؛ عقّب بذكر إعراضهم عن اتباع ما أنزل الله تعالى، تقليدا لعدو آخر هو آباؤهم.

---

(١) الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٢) الآية (١٦٨) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٠٦/٢).

(٤) مفاتيح الغيب (٧/٥).

(٥) نظم الدرر (٣١٣/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح خطر التقليد الأعمى، وأنه لا يقل خطورة عن اتباع وسوسة الشيطان، فمن أراد الوصول إلى الحق؛ عليه أن يطلب الدليل والبرهان، ويترك التعصب والتقليد، فما أهلك تلك الأمم الضالة إلا تقليدهم لآبائهم وأجدادهم.

٥٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما ذَكَر تلَقيهم الدعوة إلى اتباع الدين بالإعراض إلى أن بلَغَ قَولَه: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾(٢)، وذَكَر فساد عقيد م إلى أن بلَغَ قَولَه: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾(٣)الآية...؛ عقب ذلك كله بتمثيل فظيع حالهم، إبلاغًا في البيان، واستحضارا لهم بالمثال))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما حكى عن الكفار أ م عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تركوا النظر والتدبر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالوا: ﴿ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ﴾؛ ضرب لهم هذا المثل تنبيها للسامعين لهم، إ م إنما وقعوا فيما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فصيرهم من هذا الوجه بمنـزلة الأنعام))(٥).

- وقال أبو حيان: ((لما ذَكَر تعالى أن هؤلاء الكفار، إذا أُمروا باتباع ما أنزل الله؛ أعرضوا عن ذلك، ورجعوا إلى ما أَلفُوه من اتباع الباطل الذي نشؤوا عليه، ووجدوا عليه آباءهم، ولم يتدبروا ما يقَال لهم، وصموا عن سماع الحق، وخرسوا عن النطق به، وعموا عن إبصار النور الساطع النبوي؛ ذَكَر هذا التشبيه العجيب في هذه الآية منبها

---

(١) الآية (١٧١) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٦٥) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (١١٠/٢).
(٥) مفاتيح الغيب (٧/٥).

على حالة الكافر في تقليده أباه، ومحقرا نفْسه، إذ صار هو في رتبة البهيمة، أو في رتبة داعيها))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((لما حكى عن الكُفار أنهم عند الدعاء إلى اتباع ما أنزل الله تعالى تركوا النظَر، وأخلدوا إلى التقليد، وقالـوا: ﴿بَلۡ نَتَّبِعُ مَآ أَلۡفَيۡنَا عَلَيۡهِ ءَابَآءَنَآ ﴾[٢]؛ ضرب لهم هذا المثل، تنبيها للسامعين لهم، أ م إنما وقعوا فيه بسبب ترك الإصغاء، وقلة الاهتمام بالدين، فَصيرهم من هذا الوجه بمنـزلة الأنعام))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما كان التقدير: فَمثَلُهم حينئذ كَمن تبِع أعمى في طريق وعرٍ خفي، في فلوات شاسعة كثيرة الخَطَر؛ عطَف عليه ما يرشد إلى تقديره، منبها على أ م صاروا ذا كالبهائم، بل أضل، لأ ا وإن كانت لا تعقل فهي تسمع وتبصر فتهتدي إلى منافعها))[٤].

- وقال الآلوسي: ((جملةٌ ابتدائيةٌ واردةٌ لتقريرِ ما قبلها، أو معطوفةٌ عليه، والجامع أن الأولى لبيان حال الكفار، وهذه تمثيل لها))[٥].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين حال الكفار، وعدم رؤيتهم الحق، وتقليد آبائهم؛ عقب ذا المثل الذي يشنع فيه حالهم، بتشبيههم بالأنعام، لَفْتا للأنظار والأذهان، وإيضاحا في البيان.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذا المثل يزيد السامع معرفةً بأحوال الكفار، ويحقر إلى الكافر نفسه إذا سمع ذلك، فيكون كسرا لقلبه، وتضييقًا لصدره، حيث

---

(١) البحر المحيط (١٠٤/٢).

(٢) من الآية (١٧٠) من سورة البقرة.

(٣) اللباب (١٦٢/٣).

(٤) نظم الدرر (٣١٣/١).

(٥) روح المعاني (٥٩٩/٢).

صيره هذا المثل كالبهيمة، فيكون في منتهى الزجر والردع عن سلوك طريق التقليد الأعمى، الذي لم يجنِ سالكوه إلا الويلات المتتابعات.

والـمتتبع لأحوال الأُمم السالفة يجد أنّ ضلالهم كانوا يتذرعون بأفعال آبائهم، ويعتقدون أ م أهدى سبيلا من الأنبياء والرسل، فكانت عاقبةُ أمرهم الهلاك والخسران المبين.

٥٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((اعتراض بخطاب المسلمين بالامتنان عليهم بإباحة ما في الأرض من الطيبات، جرت إليه مناسبةُ الانتقال، فقد انتقل من توبيخ أهل الشرك، على أن حرموا ما خلقه الله من الطيبات، إلى تحذير المسلمين من مثل ذلك، مع بيان ما حرم عليهم من المطعومات))[2].

وذكر البقاعي مناسبة هذه الآية لما قبلها، حيث قال: ((لما أخبر سبحانه وتعالى أن الدعاء لا يزيدهم إلا نفورا؛ رقى الخطاب من الناس إلى أعلى منهم رتبةً فقال آمرا لهم أمر إباحة أيضا، وهو إيجاب في تناول ما يقيم البنية ويحفظها: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ﴾))[3].

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي مناسبة الانتقال من توبيخ أهل الشرك على تحريم الطيبات، إلى تحذير المسلمين من الوقوع في مثل ذلك.

أما البقاعي فيرى أن المناسبة هي ترقية الخطاب من الناس إلى المؤمنين الذين هم أعلى رتبة.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى رحيم بعباده، وأنه سبحانه لا يرضى لعباده أن يسلكوا طريق أهل الشرك والضلال، بارتكاب جريمة كبرى، متمثلة في تحريم

---

(١) الآية (١٧٢) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (١١٤/٢).

(٣) نظم الدرر (٣١٤/١).

ما أحل الله، وتحليل ما حرم الله تعالى، ليكون ارتباطهم به ﷻ ارتباطًا قويا، خاليا من الخَلَلِ والتخبط، مبنِيا على شريعة ربانية سماوية، لا مجال للهوى فيها.

٥٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَشۡتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ مَا يَأۡكُلُونَ فِي بُطُونِهِمۡ إِلَّا ٱلنَّارَ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((عود إلى محاجة أهل الكتاب، لاحق بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ مَآ أَنزَلۡنَا مِنَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلۡهُدَىٰ﴾(٢)، بمناسبة قوله: ﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡمَيۡتَةَ وَٱلدَّمَ﴾(٣)تحذيرا للمسلمين مما أحدثه اليهود في دينهم من تحريم بعض ما أحل الله لهم، وتحليل بعض ما حرم الله عليهم، لأنهم كانوا إذا أرادوا التوسيع والتضييق؛ تركوا أن يقرؤوا من كتابهم ما غيروا العمل بأحكامه))(٤).

وقد وافق الطاهر كُلا من أبي حيان والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((وناسب ذكر هذه الآية ما قبلها، لأنه تعالى ذكر في الآية قبلها إباحة الطيبات، ثم فصل أشياء من المحرمات، فناسب أن يذكر جزاء من كتم شيئًا من دين الله، ومما أنزله على أنبيائه، فكان ذلك تحذيرا أن يقع المؤمنون فيما وقع فيه أهل الكتاب، من كتم ما أنزل الله عليهم، واشترائهم به ثمنا قليلا))(٥).

- وقال البقاعي: ((ولما كان في بيان هذه المحرمات الإشارة إلى عيبِ من استحلها من العرب، وترك ما أُمر به من الطيبات جهلا وتقليدا، تلاها بتكرير عيب الكاتمين لما عندهم من الحق مما أنزل في كتابهم))(٦).

---

(١) الآية (١٧٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٥٩) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (١٧٣) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (١٢٢/٢).
(٥) البحر المحيط (١٢٣/٢).
(٦) نظم الدرر (٣١٩/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى أراد هنا تحذير المسلمين من مشا ة اليهود في تجاوزهم، وتعديهم على حدود الله تعالى، فبين عقوبة ذلك الجرم، تحذيرا وتنبيها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هذا الكلام فيه يئة للتخلص إلى ابتداء شرائع الإسلام، وإبطال لما شرعه أهل الكتاب في دينهم، فيكون التخلص ملّونا بِلّوني الغرض السابق، والغرض اللاحق.

55- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيۡكُمۡ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ إِن تَرَكَ خَيۡرًا ٱلۡوَصِيَّةُ لِلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَ بِٱلۡمَعۡرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلۡمُتَّقِينَ ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة ذكر حكم المال في هذه الآية الكريمة بعد موت صاحبه، حيث قال: ((ومناسبة ذكره أنه تغيير لما كانوا عليه في أول الإسلام من بقايا عوائد الجاهلية في أموال الأموات، فإ م كانوا كثيرا ما يمنعون القريب من الإرث يتوهم أنه يتمنى موت قريبه ليرثه، وربما فضلوا بعض الأقارب على بعض، ولما كان هذا مما يفضي م إلى الإحن[(٢)]، و ا تختل الحالة الاجتماعية بإلقاء العداوة بين الأقارب...؛ كان تغييرها إلى حال العدل فيها من أهم مقاصد الإسلام))[(٣)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أنه لما ذكر تعالى القتل في القصاص والدية؛ أتبع ذلك بالتنبيه على الوصية، وبيان أنه مما كتبه الله على عباده حتى يتنبه كل أحد فيوصي مفاجأة الموت، فيموت على غير وصية))[(٤)].

- وقال البقاعي: ((ولما حث سبحانه وتعالى على بذل المال ندبا وإيجابا في حال الصحة والشح، وتأميل الغنى، وخشية الفقر، تصديقًا للإيمان، وأتبعه بذْلَ الروح التي هو عديلها، بالقتل الذي هو أحد أسباب الموت؛ أتبع ذلك بذْلَه في حال الإشراف على النقلة، والأمن من فقر الدنيا، والرجاء لغنى الآخرة، استدراكًا لما فات من بذله على حبه))[(٥)].

---

(١) الآية (١٨٠) من سورة البقرة.

(٢) الإحن: جمع إحنة، والإحنة الحقد والغضب. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (أحن)، باب النون، فصل الهمزة (٢٧٨/٤)؛ مختار الصحاح، باب الهمزة (ص٨)؛ المعجم الوسيط، باب الهمزة (٢٨/١).

(٣) التحرير والتنوير (١٤٦/٢).

(٤) البحر المحيط (١٥٦/٢).

(٥) نظم الدرر (٣٣٤/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا هي تغيير ما كان عليه الناس في أول الإسلام، من منع الأقارب من الإرث.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي تنبيه الناس على أهمية الوصية، بعد ذكر القتل.

وأما البقاعي فيرى أن المناسبة هي الترغيب في بذل المال عند الموت، استدراكًا لما فات من بذله على حبه له.

ومن خلال هذا العرض يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة لهذه الآية الكريمة، ورابطًا لها بما قبلها، إلا أن الطاهر قد ربط الآية بما كان عليه الناس في أول الإسلام، وجعل الآية علاجا لذلك الداءِ الذي يسلب الأقارب حقهم في تركَة مورثهم، ويورث الشحناء في نفوسهم.

والذي يظهر أن هذا القول أنسب من القولين الآخرين، كونه يتوافق مع غرض مهم من أغراض سورة البقرة، وهو تأسيس مجتمعٍ صافي السرائر، حسنِ السيرة، ذي سلوك سوي وقويم. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن تكوين مجتمعٍ مؤمنٍ متماسك قوي، لا يكون إلا بالقضاء على كل ما من شأنه أن يقود إلى الشحناء، والبغضاء، ولا يكون إلا بإرساء قواعد العدل بين أفراد ا تمع.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن هذا الحُكم كان في أول الإسلام، ثُم نسِخ بآية المواريث في سورة النساء[1]، وحدد نصيب كل وارث، ولم يعد للورثة حق في الوصية، وبذلك يكون هذا الحُكم قد تقرر في أول الأمر استئناسا لمشروعية فرائض الميراث.

---

(١) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: ((كان المال للولد، وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع)). أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوصايا، باب لا وصية لوارث (٨٤٤/٢)، رقم [٢٧٤٧].

٥٦- **المناسبة في قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ وَتُدْلُواْ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُواْ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على جملة، والمناسبة أن قوله: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾[2]، تحذير من الـجرأة على مخالفة الصيام بالإفطار غير المأذون فيه، وهو ضرب الأكل الحرام، فَعطف عليه أكلٌ آخر محرم، وهو أكل المال بالباطل، والمشاكلة زادت المناسبة قوة))[3].

وقد وافق الطاهر كُلا من أبي حيان والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ م متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وذلك أن من يعبد الله تعالى بالصيام فَحبس نفسه عما تعوده من الأكل والشرب، والمباشرة بالنهار، ثم حبس نفسه بالتقييد في مكان تعبد الله تعالى، صائما له ممنوعا من اللذة الكبرى بالليل والنهار، جدير أن لا يكون مطعمه ومشربه إلاّ من الحلال الخالص، الذي ينور القلب، ويزيده بصيرة، ويفضي به إلى الاجتهاد في العبادة، فلذلك ى عن أكل الحرام المفضي به إلى عدم قبول عبادته من صيامه واعتكافه، وتخللَ أيضا بين آيات الصيام آية إجابة سؤال الداعي وسؤال العباد اللهَ تعالى، وقد جاء في الحديث أن من كان مطعمه حراما، وملبسه حراما، ومشربه حراما، ثم سأل الله أنى يستجاب له[4]، فناسب أيضا النهي عن أكل المال الحرام.

---

(١) الآية (١٨٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (١٨٧) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (١٨٧/٢).

(٤) وتمام هذا الحديث: عن أَبِي هريرةَ ﷺ قَالَ: قَالَ رسولُ الله ﷺ: {أيها الناس إن الله طَيب لاَ يقْبلُ إلا طَيبا، وإن الله أَمر الْمؤمنِين بِما أَمر به الْمرسلين فَقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَٰلِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وقَالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُلُواْ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ [البقرة: ١٧٢]}. ثُم ذَكَر الرجلَ يطيلُ السفَر، أَشعثَ أَغْبر، يمد يديه إِلَى السماءِ يا رب يا رب، ومطْعمه حرام، ومشربه حرام، وملْبسه حرام، وغُذى بِالْحرامِ، فَأَنى يستجاب لذَلك}. أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الزكاة، باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها (٥٨٢/٢)، رقم [١٠١٥].

ويجوز أن تكون المناسبة أنه لما أوجب عليهم الصوم كما أوجبه على من كان من قبلهم، ثم خالف بين أهل الكتاب وبينهم، فَأَحل لهم الأكل والشرب، والجماع في ليالي الصوم؛ أمرهم أن لا يوافقوهم في أكل الرشاء من ملوكهم وسفلتهم، وما يتعاطونه من الربا، وما يستبيحونه من الأموال بالباطل...، وأن يكونوا مخالفيهم قَولا وفعلا، وصوما وفطرا، وكسبا واعتقادا))[1].

- وقال البقاعي: ((ولما أذن سبحانه وتعالى فيما كان قد منع منه من المطعم والمنكح للصائم، وقّدم المنكح لأنه أشهى، إذ الطبع إليه أدعى، ولأن المنع منه كان في جميع الشهر، فالضرر فيه أقوى، وأتبعه الإذنَ في الأكل لأنه قوام الجسم، وأولاه المنع من النكاح في بعض الأحوال، فعل كذلك في المال الذي منه الأكل، لأنه قد كان مما خان فيه أهلُ الكتاب عهد كتا م، واشتروا به ثمنا قليلا، كثيرا من أمره، لا سيما تحريم الرشوة، فإ م أخفوه واستباحوها، حتى صارت بينهم شرعا متعارفًا، وكان طيب المطعم محثوثًا عليه، لا سيما في الصوم، فنهى عن بعض أسباب تحصيل المال، أعم من أن تكون رشوة أو غيرها فقال: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ﴾[2]))[3].

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما حذر في الآية المتقدمة من الـ ـجرأة على الإفطار غير المأذون فيه، وهو ضرب من الأكل الحرام؛ عطَف عليه أكلا آخر محرم، وهو أكل المال بالباطل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح خطورة أكل الحرام، وهذا من جملة الأحكام المشروعة لإصلاح ما اختل من أحوال الناس في الجاهلية، وهو مع ذلك أصل تشريع عظيم للأموال في الإسلام، فقد كان أكل المال بالباطل عادةً معروفةً لأهل الجاهلية، وكل ذلك من الباطل الذي ليس عن طيب نفس.

---

(١) البحر المحيط (٢٢٣/٢).

(٢) من الآية (١٨٨) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٣٥٧/١).

٥٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّۗ وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰۗ وَأْتُوا۟ ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَٰبِهَاۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((فمناسبة وضعها في هذا الموضع هي توقيت الصيام بحلول شهر رمضان، فكان من المناسبة ذكر المواقيت لإقامة نظام الجامعة الإسلامية على أكمل وجه، ومن كمال النظام ضبط الأوقات))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ م متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، وهو أن ما قبلها من الآيات نزلت في الصيام، وأن صيام رمضان مقرون برؤية الهلال، وكذلك الإفطار في شهر شوال))[3].

- وقال البقاعي: ((ولما أتم سبحانه وتعالى البيان لما أراده مما شرعه في شهر الصوم ليلا و ارا، وبعض ما تبع ذلك، وكان كثير من الأحكام يدور على الهلال، لا سيما أحد قواعد الإسلام الحج، الذي هو أخو الصوم، وكانت الأهلة كالحُكامِ توجب أشياءً وتنفي غيرها، كالصيام، والديون، والزكوات، وتؤكل ا الأموال حقا أو باطلا، وكان ذكر الشهر، وإكمالُ العدة قد حرك العزم للسؤال عنه؛ بين ذلك بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ﴾))[4].

---

(١) الآية (١٨٩) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (١٩٣/٢).

(٣) البحر المحيط (٢٣٤/٢).

(٤) نظم الدرر (٣٥٩/١).

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة الآية لما قبلها ظاهرة، لأنه في بيان حكمِ الصيام، وذكرِ شهر رمضان، وبحث الأهلة، يلائم ذلك، لأن الصوم مقرون برؤية الهلال، وكذا الإفطار))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر الصوم في الآيات السابقة، والصوم متوقف على الهلال؛ عقب بذكره هنا، ضبطًا للأوقات، وتنظيما للعبادات.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العبادة لا يقبلها الله تعالى إلا إذا أداها العبد كما أراد، ووقت ما أراد سبحانه، كما أن هناك إشارة إلى أننا متعبدون بشرعٍ إلهي، لا يدرك كثيرا من حكمه العقلُ البشري القاصر، ولا تخفى رحمة الله تعالى بعباده في هذا الموضع، حيث جعل لهم نظاما زمنيا يسيرون به شؤو م.

(١) روح المعاني (٦٤٠/٢).

٥٨- المناسـبة في قولـه تعـالى: ﴿ وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلۡقُواْ بِأَيۡدِيكُمۡ إِلَى ٱلتَّهۡلُكَةِ وَأَحۡسِنُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((هذه الجملة معطوفة على جملة: ﴿ وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾[٢]إلخ، فإنهم لما أُمروا بقتال عدوهم، وكان العدو أوفر منهم عدة حرب؛ أيقظهم إلى الاستعداد بإنفاق الأموال في سبيل الله))[٣].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أنهم متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها...أنه تعالى لما أمر بالقتال، والاشتغال بالقتال لا يتيسر إلا بالآلات، وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزا عن القتال، وكان الشجاع القادر على القتال فقيرا عديم المال، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفقراء الذين يقدرون على القتال))[٤].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أن تعلق هذه الآية الكريمة بما قبلها...أنه تعالى لما أمر بالقتال، وهو لا يتيسر إلا بآلات، وأدوات يحتاج فيها إلى المال، وربما كان ذو المال عاجزا عن القتال، وكان الشجاع القادر على القتال عديم المال فقيرا، فلهذا أمر الله تعالى الأغنياء بأن ينفقوا على الفُقراء الذين يقدرون على القتال))[٥].

- وقال البقاعي: ((ولما كانت النفقة من أعظم دعائم الجهاد، وكان العيش في أول الإسلام ضيقًا، والمال قليلا، فكان ذلك موجبا لكل أحد أن يتمسك بما في يده، ظنا

(١) الآية (١٩٥) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (١٩٠) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٢١٢/٢).
(٤) مفاتيح الغيب (١٣٥/٥).
(٥) اللباب (٣٥١/٣).

أن في التمسك به النجاة، وفي إنفاقه الهلاك؛ أخبرهم أن الأمر على غير ما يسولُ به الشيطان من ذلك))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أمر بالقتال، وكان القتال يحتاج إلى العتاد؛ أتبعه بالأمر بإنفاق الأموال في سبيله تعالى لتوفير ذلك العتاد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن أبواب الخير كثيرةٌ ومتعددةٌ، ومن رحمة الله تعالى بعباده أن عدد مجالا ا، فكان من المسلمين من يملك المال ولكنه عاجز عن الجهاد، فلم يشأ الله تعالى أن يحرم ذلك الغني من الأجر والثواب، فَوجهه إلى بابٍ عظيم من أبواب الخير وهو الإنفاق في سبيله ﷻ، وفي هذا بيانٌ لأهمية المال في بناء قُوة المسلمين.

قال أبو العيناء[٢]: [من الكامل] [٣]

إن الدراهم في المواطن كُلهـا ... تكسو الرجالَ مهابةً وجلالا

فَهي اللسانُ لمن أراد فَصاحةً ... وهي السلاح لمن أراد قتالا[٤]

---

(١) نظم الدرر (٣٦٧/١).

(٢) محمد بن القاسم بن خلاد الهاشمي، أبو العيناء، ولد بالأهواز سنة إحدى وتسعين ومائة، كـان ذا مُلَـحٍ ونوادر، وقُوة ذكاء، (ت ٢٨٣هـ) ببغداد. ينظر: معجم الأدبـاء (٣٩٧/٥)؛ سـير أعـلام النـبلاء (٣٠٨/١٣)؛ الوافي بالوفيات (٣٤١/٤).

(٣) الكامل: بحر من بحور الشعر، وتفعيلته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن متفاعلن.

(٤) المستطرف في كل فن مستظرف، محمد بن أحمد الأبشيهي (٢٧١/٢)؛ مجمع الحكم والأمثال، أحمد قَبش (ص٤٩٦). وأنبه هنا أن المال ليس أساس المهابة والجلالة كما ورد في البيتين، فهذا -لا شك- غلـو في أمر المال، فالمال وسيلة يستعان به على قضاء حوائج الحياة، أما مصدر المهابة والجـلال فهـو الإيمـان والتقوى، وإنما الشاهد في هذين البيتين هو ما أشار إليه الشاعر في البيت الثاني من أن المال يعتبر سـلاحا لمن أراد القتال.

٥٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُواْ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْۚ فَإِذَآ أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَٱذْكُرُواْ ٱللَّهَ عِندَ ٱلْمَشْعَرِ ٱلْحَرَامِۖ وَٱذْكُرُوهُ كَمَا هَدَىٰكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((جملة معترضة بين المتعاطفين بمناسبة النهي عن أعمالٍ في الحج تنافي المقصد منه، فنقل الكلام إلى إباحة ما كانوا يتحرجون منه في الحج وهو التجارة، ببيان أ ا لا تنافي المقصد الشرعي))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ م متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ى عن الجدال، والتجارة قد تفضي إلى المنازعة؛ ناسب أن يتوقف فيها لأن ما أفضى إلى المنهي عنه منهي عنه، أو لأن التجارة كانت محرمة عند أهل الجاهلية وقت الحج، إذ من يشتغل بالعبادة يناسبه أن لا يشغل نفسه بالأكساب الدنيوية، أو لأن المسلمين لما صار كثير من المباحات محرما عليهم في الحج؛ كانوا بصدد أن تكون التجارة من هذا القبيل عندهم، فأباح الله ذلك، وأخبرهم أنه لا درك عليهم فيه في أيام الحج))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما فُهم من هذا الحث على الإكثار من الزاد؛ تحركت نفوس أولي الهممِ الزاكية القابلة للتجرد عن الأعراض الفانية إلى السؤال عن المتجر لإنفاقه في وجوه الخير، هل يكره في زمان أو مكان؟ لا سيما عند تذكرِ أن أُناسا كانوا في الجاهلية يكرهون التجارة للحاج، فأجيب بقوله -معلما أن قَطْع العلائق لمن صدق عزمه، وشرفت همته أولى-: ﴿ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ ﴾))(٤).

(١) الآية (١٩٨) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٢٣٧/٢).
(٣) البحر المحيط (٢٩٣/٢).
(٤) نظم الدرر (٣٧٦/١).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما حذر من الوقوع في بعض المخالفات التي تتنافى مع مقاصد الحج؛ انتقل إلى بيان حكم التجارة أثناء أداء مناسكه، كي لا يتبادر إلى الأذهان أ ا تدخل ضمن تلك المخالفات، خصوصا أن المشركين كانوا يحرمو ا في الحج.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن القرآن الكريم قد أبطل كل عادات الجاهلية، وأرسى المبادئ الإسلامية الحقة، التي تتناسب وحياة المسلمين، حتى أثناء ممارستهم لعبادا م، وفي ذلك إبطالٌ لما كان عليه المشركون، إذ كانوا يرون التجارة للمحرم بالحج حراما.

٦٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة التذييل في هذه الآية الكريمة فقال: ((ومناسبة هذا التذييل للجملة أن الـمخبر عنهم قد بذلوا أنفسهم لله، وجعلوا أنفسهم عبيده، فالله رؤوف م كرأفة الإنسان بعبده))[٢].

ولم أقف -في حدود اطلاعي- على كلام أحد من المفسرين عن مناسبة هذا التذييل للجملة.

فبيان هذه المناسبة مما تفرد به الطاهر.

والمناسبة هنا أن الموصوفين في الآية لما جعلوا أنفسهم عبيدا لله تعالى؛ بين سبحانه أنه رؤوف م كرأفة الإنسان بعبده.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أنه بِقَدرِ إخلاص العبد لله تعالى يكون ثوابه، ويترتب عليه قبول عمله، وكلما تقرب العبد إلى ربه؛ كلما كان ربه أقرب إليه، فالجزاء من جنس العمل.

كما أن هناك إشارة إلى رأفة الله تعالى بعباده، وحبه ﷻ لهم.

---

(١) الآية (٢٠٧) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٧٤/٢).

٦١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف على طريقة الاعتراض، انتهازا للفرصة بالدعوة إلى الدخول في السلم، ومناسبة ذكره عقب ما قبله أن الآيات السابقة اشتملت على تقسيم الناس تجاه الدين مراتب، أعلاها ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِ﴾[٢]، لأن النفس أغلى ما يبذل، وأقلها ﴿مَن يُعۡجِبُكَ قَوۡلُهُۥ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيُشۡهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلۡبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلۡخِصَامِ﴾[٣]، أي يضمر الكيد ويفسد على الناس ما فيه نفع الجميع وهو خيرات الأرض، وذلك يشتمل على أنه اعتدى على قوم مسالمين، فناسب بعد ذلك أن يدعى الناس إلى الدخول فيما يطلق عليه اسم السلم، وهذه المناسبة تقوى وتضعف بحسب تعدد الاحتمالات في معنى طلب الدخول في السلم))[٤].

ثم قال: ((فالذي يبدو لي أن تكون مناسبة ذكر هذه الآية عقب ما تقدم هي أن قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَكُمۡ﴾[٥]الآيات، يئة لقتال المشركين لصدهم المسلمين عن البيت، وإرجافهم بأ م أجمعوا أمرهم على قتالهم، والإرجاف بقتل عثمان بن عفان ﷺ بمكة حين أرسله رسول الله ﷺ إلى قريش فَذَكَر ذلك، واستطرد بعده ببيان أحكام الحج والعمرة، فلما قضى حق ذلك كله، وألحق به ما أمر الله بوضعه في موضعه بين تلك الآيات؛ استؤنف هنا أمرهم بالرضا بالسلم والصلح

(١) الآية (٢٠٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٠٧) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.

(٤) التحرير والتنوير (٢٧٥/٢).

(٥) من الآية (١٩٠) من سورة البقرة.

الذي عقده رسول الله ﷺ مع أهل مكة عام الحديبية، لأن كثيرا من المسلمين كانوا آسفين من وقوعه))[١].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما حكى عن المنافق أنه يسعى في الأرض ليفسد فيها، ويهلك الحرث والنسل؛ أمر المسلمين بما يضاد ذلك، وهو الموافقة في الإسلام وفي شرائعه))[٢].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما بين الله تعالى أقسام الناس، وأ م ينقَسِمون إلى مؤمنٍ، وكافرٍ، ومنافق؛ قال هاهنا: كُونوا على ملة واحدة، على الإسلام، واثْبتوا عليه))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي استئناف أُريد به أمر المسلمين بالرضا بالسلم، والصلح مع المشركين.

أما الرازي فيرى أن الله تعالى لما ذكر أفعال المنافقين أمر المؤمنين بما يضاد تلك الأفعال، وهو الموافقة في الإسلام.

وأما ابن عادل الحنبلي فيرى أنه بعد أن جيء بأقسام الناس في الآيات السابقة، جاء بعدها الأمر بأن يكونوا جميعا على ملة الإسلام.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر ليس موافقًا لمعنى الآية من جهة، وليس ملتئما مع سبب نزولها من جهة أخرى.

وعليه فإن ما ذهب إليه الرازي وابن عادل الحنبلي يصلح كلاهما أن يكون مناسبة للآية.

---

(١) التحرير والتنوير (٢٧٦/٢).
(٢) مفاتيح الغيب (٢٠٦/٥).
(٣) اللباب (٤٧٦/٣).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المناسبة التي ذكرها الطاهر جعلت السلم بمعنى الصلح، بينما ما ذكره الرازي وابن عادل الحنبلي يجعله بمعنى الإسلام، وهذا هو الأرجح، و بذا فسره ابن عباس رضي الله عنه[1].

وعليه فالخطاب لمؤمني أهل الكتاب، والسلم بمعنى الإسلام، وليس بمعنى الصلح.

(١) ينظر: جامع البيان (٢٥٧/٤).

٦٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ كَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُم مِّنۡ ءَايَةِۭ بَيِّنَةٖۗ وَمَن يُبَدِّلۡ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((تتنـزلُ هذه الآية من التي قبلها منـزلةَ البرهان على معنى الجملة السابقة، فإن قوله: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾[2]سواء كان خبرا، أو وعيدا، أو وعدا، أم حكما، وأيا ما كان معاد الضمير فيه على الأوجه السابقة، وقد دل بكل احتمالٍ على تعريضٍ بِفرقٍ ذوي غُرورٍ، وتماد في الكفر، وقلة انتفاعٍ بالآيات البينات، فناسب أن يعقب ذلك بإلفا م إلى ما بلَغهم من قلة انتفاع بني إسرائيل بما أُوتوه من آيات الاهتداء، مع قلة غَنَاءِ الآيات لديهم على كثر ا، فإ م عاندوا رسولهم، ثم آمنوا به إيمانا ضعيفًا، ثم بدلُوا الدين بعد ذلك تبديلا))[3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((لما تقدم: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ﴾، وكان المعنى في ذلك استبطاء حق لهم في الإسلام، وأ م لا ينتظرون إلا آية عظيمة تلجئهم إلى الدخول في الإسلام؛ جاء هذا الأمر بسؤالهم عما جاء م من الآيات العظيمة، ولم تنفعهم تلك الآيات، فَعدم إسلامهم مرتب على عنادهم، واستصحاب لُجاجِهم))[4].

- وقال البقاعي: ((ولما كان بنو إسرائيل أعلم الناس بظهور مجد الله في الغمام، لما رأى أسلافهم منه عند خروجهم من مصر، وفي جبل الطور[5]، و قُبة الزمان[6]، وما

(١) الآية (٢١١) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢١٠) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٢٨٨/٢).
(٤) البحر المحيط (٣٤٧/٢).
(٥) جبل الطور: هو الجبل الذي كلم الله تعالى عليه أو عنده موسى عليه السلام، وموقعه بسيناء. ينظر: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، أحمد المقريزي (٢٩٦/٣)؛ الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري (ص٣٩٧).
(٦) قبة الزمان: هي القبة التي أمر الله تعالى موسى عليه السلام ببنائها في بيت المقدس، وكانت قبلة بني إسرائيل وكعبتهم. ينظر: البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير (٣٥٢/١).

في ذلك على ما نقل إليهم من وفور الهيبة، وتعاظم الجلال؛ قال تعالى -جوابا لمن كأنه قال: كيف يكون هذا؟-: ﴿سَلۡ﴾))[١].

- وقال الآلوسي: ((وربط الآية بما قبلها على ما قيل: إن الضمير في ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ﴾[٢]، إن كان لأهل الكتاب؛ فهي كالدليل عليه، وإن كان لـ ﴿مَن يُعۡجِبُكَ﴾[٣]؛ فهي بيان لحال المعاندين من أهل الكتاب، بعد بيان حال المنافقين من أهل الشرك))[٤].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق أبا حيان والآلوسي في بيان مناسبة هذه الآية، فجميعهم يرون أن المناسبة هي إقامة الحُجة والدليل على بني إسرائيل.

وهذا القول أنسب من قول البقاعي، كون هذه الآية موضحة للآية التي سبقتها: ﴿هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٖ مِّنَ ٱلۡغَمَامِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ﴾.

أما ما يراه البقاعي من تقدير سؤال؛ فالذي يظهر -والله تعالى أعلم- أن سياق الآيات لا يحتاج إلى ذلك التقدير. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الأمر بسؤال بني إسرائيل في هذه الآية لم يأت على حقيقته، فالرسول ﷺ قد أطلعه الله تعالى على الآيات التي آتاها بني إسرائيل، وإنما جاء الأمر بالسؤال هنا تقريعا وتوبيخا لهم على طغيا م وجحودهم الحق بعد أن رأوا الآيات الواضحات.

---

(١) نظم الدرر (٣٨٩/١).

(٢) من الآية (٢١٠) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٠٤) من سورة البقرة.

(٤) روح المعاني (٦٧٤/٢).

٦٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَـٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لِمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((والظاهر عندي أن موقع هذه الآية هنا جامع لموقع تذييلٍ لما قبلها، ومقدمة لما بعدها.

فأما الأول فلأ ا أفادت بيان حالة الأمم الماضية كيف نشأ الخلاف بينهم في الحق، مما لأجله تداركهم الله ببعثات الرسل في العصور والأجيال التي اقتضتها حكمة الله ولطفه، مما يماثل الحالة التي نشأت فيها البعثة المحمدية، وما لقيه الرسول ﷺ والمسلمون من المشركين.

وأما الثاني فلأ ا مقدمةٌ لما يرد بعدها من ذكر اختصاص الإسلام بالهداية إلى الحق الذي اختلف فيه الأمم))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ م متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين في هذه الآية المتقدمة أن سبب إصرار هؤلاء الكفار على كفرهم هو حب الدنيا؛ بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص ذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المتقادمة، لأن الناس كانوا أمة واحدة قائمة على الحق، ثم اختلفوا، وما كان اختلافهم إلا بسبب البغي، والتحاسد، والتنازع في طلب الدنيا. فهذا هو الكلام في ترتيب النظم))[3].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أن إصرار هؤلاء على كفرهم هو حب الدنيا، وأن ذلك ليس مختصا ذا الزمان الذي بعثت فيه، بل هذا أمر كان في

---

(١) الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٩/٢).

(٣) مفاتيح الغيب (١١/٦).

الأزمنة المتقادمة، إذ كانوا على حق ثم اختلفوا بغيا وحسدا وتنازعا في طلب الدنيا))[١].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((وجه النظْمِ أنه لما بين أن سبب إصرار الكُفار على كُفرهم هو حب الدنيا؛ بين في هذه الآية أن هذا المعنى غير مختص بهذا الزمان، بل كان حاصلا في الأزمنة المُتقادمة، فَإنهم كانوا أُمةً واحدة على الحق، ثم اختلفُوا، وما كان اختلافُهم إلا بسبب البغي، والتحاسد، والتنازع في طلب الدنيا))[٢].

- وقال البقاعي: ((ولما كان كأنه قيل: هل كان هذا الكفر والتزيين من بدء الأمر، أم هو شيء حدث فيكون حدوثه أعجب؟ فقيل: لا فرق عند الحكيم بين هذا وذاك، فإن قدرته على الكبير والصغير، والجاهل والعليم، والطائش والحليم، على حد سواء، على أن الواقع أن ذلك شيء حدث بعد البيان والواضح))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر قد وافق المفسرين من جانبٍ، وتفرد عنهم من جانب آخر.

أما موافقته لهم، فقد وافقهم في أن هذه الآية تذييلٌ لما قبلها، حيث أفادت بيان حال الأمم الماضية مع رسلهم، مما يماثل حال أمة محمد ﷺ مع البعثة المحمدية.

وأما تفرده عنهم، فقد تفرد ببيان أن هذه الآية مقدمة لما يرد بعدها، من ذكر اختصاص الإسلام بالهداية إلى الحق الذي اختلف فيه الأمم، وهو مضمون قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٤].

---

(١) البحر المحيط (٣٦٢/٢).
(٢) اللباب (٥٠٠/٣).
(٣) نظم الدرر (٣٩٣/١).
(٤) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من خصائص الإسلام أنه مهيمن على ما سبقه من الشرائع الإلهية، ومفضلٌ على جميع الأديان، وأن هذه المزية العظمى يجب أن يعترف ا المشركون وأهل الكتاب، لا أن تكون مثار حسد للنبي ﷺ وأُمته.

كما أن هناك إشارة إلى خطورة الحسد والبغي، لأن من سبيل ذلك أن يؤدي إلى الاختلاف، وإذا حصل الاختلاف دب الضعف إلى الأُمة من حيث لا تشعر.

٦٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((إضراب انتقالي عن الكلام السابق، فاحتاج إلى وجه مناسبة به...وبيانه أن القصد من ذكر الأمم السالفة حيثما وقع في القرآن هو العبرة والموعظة، والتحذير من الوقوع فيما وقعوا فيه بسوء عملهم، والاقتداء في المحامد، فكان قوله تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾[(٢)]الآية، إجمالٌ لذلك، وقد ختم بقوله: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلۡحَقِّ بِإِذۡنِهِۦ﴾[(٣)]، ولما كان هذا الختام منقبة للمسلمين؛ أُوقظوا أن لا يزهوا ذا الثّناء، فيحسبوا أ م قَضوا حق شكرِ النعمة، فَعقب بأن عليهم أن يصبروا لما عسى أن يعترضهم في طريق إيما م من البأساء والضراء، اقتداءً بصالحي الأمم السالفة، فكما حذرهم الله من الوقوع فيما وقع فيه الضالون من أولئك الأمم، حرضهم هنا على الاقتداء بهدى المهتدين منهم، على عادة القرآن في تعقيب البشارة بالنذارة، وعكس ذلك))[(٤)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((في النظم وجهان:

الأول: أنه تعالى قال في الآية السالفة: ﴿وَٱللَّهُ يَهۡدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٍ﴾[(٥)]، والمراد أنه يهدي من يشاء إلى الحق وطلب الجنة، فَبين في هذه الآية أن

(١) الآية (٢١٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٣١٣/٢).
(٥) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

ذلك الطلب لا يتم ولا يكمل إلا باحتمال الشدائد في التكليف فقال: ﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ﴾[١]الآية.

الثاني: أنه في الآية السالفة لما بين أنه هداهم لما اختلفوا فيه من الحق بإذنه؛ بين في هذه الآية أ م بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق، وصبروا على البلوى، فكذا أنتم يا أصحاب محمد لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن))[٢].

- وقال أبو حيان بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه قال: ﴿يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾[٣]، والمراد إلى الحق الذي يفضي اتباعه إلى الجنة، فَبين أن ذلك لا يتم إلا باحتمال الشدائد والتكليف، أو لما بين أنه هداهم؛ بين أنه بعد تلك الهداية احتملوا الشدائد في إقامة الحق، فكذا أنتم، أصحاب محمد، لا تستحقون الفضيلة في الدين إلا بتحمل هذه المحن))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما أُفهم ما صرح به الكلام السابق من الاختلاف، ووقوع العداوات، وكان في العداوات خطر الأموال والأنفس، وكان ذلك أشق ما يكون، وكانت العادة قاضية بأن المدعوين إلى ذلك إن لم يصمموا على الآيات؛ كانوا بين مستثقلين لأمر الرسل، يرون أ م يفَرقون ما اتفق من الكلمة، ورضي به الناس لأنفسهم، ويشتتون أمرهم مستثقلين لطول انتظار الانتصار، كان حالهم حال من يطلب الراحات في ذُرى[٥]الجنات بلا مشقات، وذلك محالٌ ومحض ضلالٍ، فإن الثبات على الصراط المستقيم لا يكون إلا باحتمال شدائد التكاليف، فكان كأنه قيل

---

(١) من الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

(٢) مفاتيح الغيب (١٨/٦).

(٣) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٤) البحر المحيط (٣٧١/٢).

(٥) ذُرى: مفرده ذروة، بضم الذال وكسرها، وذروة الشيء أعلاه. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (ذري)، باب الياء، فصل الذال (٤٧٧/٤)؛ مختار الصحاح، باب الذال (ص٢٢٢)؛ المعجم الوسيط، باب الذال (٣٣٥/١).

في جواب ذلك عدولا عن خطاب النبي ﷺ المقول له: ﴿سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾[(١)]، إلى خطاب الأتباع تشريفًا له عن ذلك، ورفْعا لهممهم بالمواجهة بالخطاب، والتأسية بمن مضى من أولي الألباب، تنشيطًا لهم، وتقوية لعزائمهم))[(٢)].

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((لما قال: ﴿يَهْدِي مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[(٣)]، وكان المراد بالصراط الحق الذي يفضي اتباعه إلى دخول الجنة؛ بين أن ذلك لا يتم إلا باحتمال الشدائد والتكليف))[(٤)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ختم الآية التي سبقتها بمنقبة عظيمة للمؤمنين، تمثلت في هدايتهم إلى الحق؛ خيف أن يزهوا بتلك المنقبة، فنبههم أ م سيواجهون في طريق الإيمان أنواعا عديدةً من البأساء والضراء، وأن عليهم الصبر والتحمل، اقتداءً ىدى المهتدين من الأمم السالفة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك إشارة إلى أهمية استخدام أسلوب البشارة والنذارة في الدعوة إلى الله تعالى، وفي تربية النفوس و ذيبها، فالنفس إذا بشرت قد تغتر، وتركن ركونا قد يضعف من همتها، فلا عودة لها حينئذ إلا بالإنذار.

---

(١) من الآية (٢١١) من سورة البقرة.

(٢) نظم الدرر (٣٩٥/١).

(٣) من الآية (٢١٣) من سورة البقرة.

(٤) روح المعاني (٦٨٠/٢).

٦٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((المناسبة أن القتال من البأساء التي في قوله: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾[٢]، فقد كُلفَت به الأمم قبلنا))[٣].

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما ذُكر ما مس من تقدمنا من أتباع الرسل من البلايا، وأن دخول الجنة معروف بالصبر على ما يبتلى به المكلف، ثم ذُكر الإنفاق على من ذُكر، فهو جهاد النفس بالمال؛ انتقل إلى أعلى منه وهو الجهاد الذي يستقيم به الدين، وفيه الصبر على بذل المال والنفس))[٤].

- وقال البقاعي: ((فلما اتسع أمر الدين، ودخلت الأعراب والأتباع الذين لا يحملهم صدق المحبة للقاء الله على البدار للجهاد؛ نزلَ كَتبه كما نزلَ فرض الصلاة استدراكًا فقال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ﴾، أي أيتها الأمة، وكان في المعنى راجعا لهذا الصنف الذين يسألون عن النفقة، وبمعنى ذلك انتظمت الآية بما قبلها، فكأ م يتبلدون في الإنفاق تبلدا إسرائيليا، ويتقاعدون عن الجهاد تقاعد أهل التيه))[٥].

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله أبو حيان، حيث قال: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة لأن فيها الجهاد، وهو بذل النفس الذي هو فوق بذل المال))[٦].

---

(١) الآية (٢١٦) من سورة البقرة.
(٢) الآية (٢١٤) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٣١٩/٢).
(٤) البحر المحيط (٣٧٩/٢).
(٥) نظم الدرر (٤٠١/١).
(٦) روح المعاني (٦٨٤/٢).

ومن خلال هذا النقل يتبين أن الطاهر ربط الآية بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ﴾[1]، وبرر ورود ذكر القتال بأنه من البأساء المذكورة هنا، وبقوله هذا توصل إلى أن القتال كان مفروضا على الأمم السابقة.

أما أبو حيان والآلوسي فيريان أن المناسبة هي الانتقال إلى من رتبة عليا وهي الصبر على الأذى، وإنفاق المال، إلى رتبة أعلى وهي الجهاد في سبيل الله.

وأما البقاعي فقد ربط الآية بقوله تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[2]، فهو يرى أن المناسبة هي إيقاظ أولئك المتبلدين عن الإنفاق والجهاد.

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح مدى الشدة والصعوبة التي تواجه النفس حين تريد القتال، فقد شق ذلك على كثيرٍ من الصحابة ﭫ، ولم ينتصروا على أنفسهم إلا بقوة إيما م، ويقينهم بما أعده لهم ر م ﻷ، ولذلك جاء فرض القتال بعد يئة ومقدمة ابتدئت بِذكرِ أحوال الأمم السابقة، وما لاقوه من البأساء والضراء، ثم ذكرِ الإنفاق الذي قد يصعب على كثير من الناس، وعندما ذُكر القتال كانت النفوس قد يأت لتقبل الأمر، ومع ذلك أشارت الآية إلى أن الله تعالى يعلم كرههم للقتال، إلا أنه طمأ م بأنه خير لهم، وأنه تعالى يعلم ما لا يعلمونه.

---

(١) من الآية (٢١٤) من سورة البقرة.

(٢) الآية (٢١٥) من سورة البقرة.

٦٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ ٱلْمُفْسِدَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَأَعْنَتَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف تبيين معاملة اليتامى على تبيين الإنفاق، لتعلق الأمرين بحكم تحريم الميسر، أو التنويه عنه، فإن الميسر كان بابا واسعا للإنفاق على المحاويج، وعلى اليتامى...فكان تحريم الميسر مما يثير سؤالا عن سد هذا الباب على اليتامى، وفيه صلاح عظيم لهم، وكان ذلك السؤال مناسبةً حسنةً للتخلص إلى الوصاية باليتامى، وذكر مجمل أحوالهم في جملة إصلاح الأحوال التي كانوا عليها قبل الإسلام))(٢).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذُكر السؤال عن الخمر والميسر، وكان تركهما مدعاة إلى تنمية المال، وذُكر السؤال عن النفقة، وأجيبوا بأ م ينفقون ما سهلَ عليهم؛ ناسب ذلك النظر في حال اليتيم، وحفظ ماله، وتنميته، وإصلاح اليتيم بالنظر في تربيته، فالجامع بين الآيتين أن في ترك الخمر والميسر إصلاح أحوالهم أنفسهم، وفي النظر في حال اليتامى إصلاحا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه، فيكون قد جمعوا بين النفع لأنفسهم ولغيرهم))(٣).

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله أبو حيان، حيث قال: ((ووجه مناسبتها لما قبلها، أنه سبحانه لما ذكر السؤال عن الخمر والميسر، وكان في تركها مراعاة لتنمية المال؛ ناسب ذلك النظر في حال اليتيم، فالجامع بين الآيتين أن في ترك الخمر والميسر إصلاح

(١) من الآية (٢٢٠) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٣٥٤/٢).
(٣) البحر المحيط (٤١٠/٣).

أحوالهم أنفسهم، وفي النظر في أحوال اليتامى إصلاحا لغيرهم ممن هو عاجز أن يصلح نفسه، فمن ترك ذلك وفعل هذا فقد جمع بين النفع لنفسه ولغيره))[(١)].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي تبيين معاملة اليتامى بعد تبيين الإنفاق، وأن هذه الآية جاءت جوابا عن سؤالٍ أثاره تحريم الميسر، لأن الميسر كان مصدرا من مصادر الإنفاق على اليتامى، حيث كان المشركون يجمعون ما يحصلون عليه ممن الميسر لغرض الإنفاق على اليتامى. وهذا مما تفرد به الطاهر عن غيره.

أما أبو حيان والآلوسي فيريان أن المناسبة هي الاشتراك في الإصلاح، فمن ترك الخمر والميسر أصلح حال نفسه، ومن نظر إلى أحوال اليتامى أصلح حال غيره.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة للآية.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن حقوق اليتامى عظيمة، كو م فقدوا عنصرا مهما وأساسا في حيا م، فكانوا بحاجة إلى أحكام تحفظ أموالهم ومصالحهم، وفي ذلك إشارة إلى رحمة الله تعالى بعباده.

---

(١) روح المعاني (٦٩٨/٢).

٦٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ أُو۟لَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ وَيُبَيِّنُ ءَايَٰتِهِۦ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((كان المسلمون أيام نزول هذه السورة مازالوا مختلطين مع المشركين بالمدينة، وما هم ببعيد عن أقربائهم من أهل مكة، فربما رغب بعضهم في تزوج المشركات، أو رغب بعض المشركين في تزوج نساءٍ مسلمات، فبين الله الحُكْم في هذه الأحوال، وقد أُوقع هذا البيانُ بحكمته في أرشق موقعه وأسعده به، وهو موقع تعقيبِ حكمِ مخالطة اليتامى، فإن للمسلمين يومئذ أقارب ومواليَ لم يزالوا مشركين، ومنهم يتامى فقدوا آباءهم في يوم بدر[(٢)] وما بعده، فلما ذَكَر الله بيان مخالطة اليتامى، وكانت المصاهرة من أعظم أحوال المخالطة؛ تطلعت النفوس إلى حكم هاته المصاهرة بالنسبة للمشركات والمشركين، فعطَف حكم ذلك على حكم اليتامى، لهاته المناسبة))[(٣)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذَكَر تعالى حكم اليتامى في المخالطة، وكانت تقتضي المناكحة وغيرها مما يسمى مخالطة، حتى إن بعضهم فسرها

---

(١) الآية (٢٢١) من سورة البقرة.

(٢) يوم بدر: معركة شهيرة وقعت بين المسلمين والمشركين في شهر رمضان، من السنة الثانية للهجرة المباركة، انتصر فيها المسلمون انتصارا عظيما. وبدر ماء مشهور بين مكة والمدينة، أسفل وادي الصفراء، بينه وبين ساحل البحر ليلة. ينظر: سيرة ابن هشام (١٨٧/٢)؛ السيرة النبوية لابن كثير (٣٨٠/٢)؛ معجم البلدان (٣٥٧/١).

(٣) التحرير والتنوير (٣٥٩/٢).

بالمصاهرة فقط...وكان من اليتامى من يكون من أولاد الكفار؛ ى الله تعالى عن مناكحة المشركات والمشركين))[١].

- وقال البقاعي: ((ولما كان النكاح من معظم المخالطة في النفقة وغيرها، وكان الإنسان جهولا؛ تولى سبحانه وتعالى بحكمته تعريفه ما يصلح له، وما لا يصلح من ذلك))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين مخالطة اليتامى، وكانت المصاهرة من أعظم أحوال المخالطة؛ تطّلعت النفوس إلى حكم هاته المصاهرة بالنسبة للمشركات والمشركين، فعطّف حكم ذلك، على حكم اليتامى.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن العلة المسوغة للنكاح، هي الأخوة الدينية، فجاء النهي عن نكاح من لم تكن فيه هذه الأخوة، واندرج يتامى الكفار في عموم من أشرك.

---

(١) البحر المحيط (٤١٥/٢).

(٢) نظم الدرر (٤١٩/١).

٦٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُوا۟ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلْمُتَطَهِّرِينَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطْف على جملة ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكَٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ﴾(٢)بمناسبة أن تحريم نكاح المشركات يؤذن بالتنــزه عن أحوال المشركين، وكان المشركون لا يقربون نساءهم إذا كُن حيضا، وكانوا يفرطون في الابتعاد منهن مدة الحيض، فناسب تحديد ما يكثر وقوعه، وهو من الأحوال التي يخالف فيها المشركون غيرهم، ويتساءل المسلمون عن أحق المناهج في شأنها))(٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما نهى عن مناكحة الكفار، وتضمن مناكحة أهل الإيمان وإيثار ذلك؛ بين حكما عظيما من أحكام النكاح، وهو حكم النكاح في زمان الحيض))(٤).

- وقال الآلوسي بنحو ما قاله أبو حيان: ((والجملة معطوفة على ما تقدم من مثلها، ووجه مناسبتها له أنه لما نهى عن مناكحة الكفار، ورغب في مناكحة أهل الإيمان، بين حكما عظيما من أحكام النكاح، وهو حكم النكاح في الحيض))(٥).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين حكم نكاح المشركات؛ بين حكما عظيما من أحكام النكاح، وهو الجماع في وقت الحيض، وهو ما كان يبالغ فيه أهل الكتاب والمشركون بين إفراط وتفريط، فبينت الآية الحكم الشرعي فيه.

---

(١) الآية (٢٢٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٢١) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٣٦٤/٢).
(٤) البحر المحيط (٤٢٢/٢).
(٥) روح المعاني (٧٠٢/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإسلام كرم المرأة وشرفها، وحررها من الذل الذي عاشته فترةً من الزمن، فاليهود والمشركون كانوا يبالغون في عزلها عند حيضها، فجاء الإسلام وبين الصواب في هذه القضية.

٦٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ أَن تَبَرُّوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَتُصْلِحُوا۟ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((جملةٌ معطوفةٌ على جملة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾[(٢)]، عطف تشريعٍ على تشريع، فالمناسبة بين الجملتين تعلق مضمونيهما بأحكام معاشرة الأزواج، مع كون مضمون الجملة الأولى منعا من قربان الأزواج في حالة الحيض، وكون مضمون هذه الجملة تمهيدا لجملة ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[(٣)]، فوقع هذا التمهيد موقع الاعتراض بين جملة: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾، وجملة: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾، وسلك فيه طريق العطف لأنه نهي عطف على نهيٍ في قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوهُنَّ حَتَّىٰ يَطْهُرْنَ﴾))[(٤)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى لما أمر بتقوى الله تعالى، وحذرهم يوم الميعاد؛ نهاهم عن ابتذال اسمه، وجعله معرضا لما يحلفون عليه دائما، لأن من يتقَى ويحذَر تجب صيانة اسمه، وتنـزيهه عما لا يليق به، من كونه يذكَر في كل ما يحلف عليه، من قليلٍ أو كثيرٍ، عظيمٍ أو حقيرٍ، لأن كثرة ذلك توجب عدم الاكتراث بالمحلوف به))[(٥)].

- وقال البقاعي: ((ولما أذن في إتيان النساء في محل الحرث كيف ما اتفق، ومنع مما سوى ذلك، ومنع من محل الحرث في حال الحيض؛ بين حكم ما إذا منع الإنسان

(١) الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٢٣) من سورة البقرة.
(٣) من الآية (٢٢٦) من سورة البقرة.
(٤) التحرير والتنوير (٣٧٥/٢).
(٥) البحر المحيط (٤٣٨/٢).

نفسه من ذلك بالإيلاء[١]، أو بِمطلق اليمين، ولو على غير سبيل الإيلاء، لأنه نقلَ عن كثيرٍ منهم شدة الميل إلى النكاح، فكان يخشى المواقعة في حال المنع، فتحمله شدةُ الورع على أن يمنع نفسه بمانع مظاهرة، كما بين في سـورة ا ادلة أو غيرهـا من الأيمان، فمنعهم من ذلك بقوله تعالى -عادلا عن خطاب نبيه ﷺ، تعظيما لمقامه-: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا﴾[٢]))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في هذه الآية هي التمهيد لبيان حكم الإيلاء الذي ورد في الآية التالية لها، وبنحو هذا قال البقاعي.

أما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي النهي عن ابتذال اسم الله تعالى، وأن كثرة الحَلف تتعارض مع تعظيم الله وتقديسه.

والذي يظهر أن جميع ما ذُكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أن قول الطاهر هو الأنسب، كونه ربط الآية بالإيلاء المرتبط أصلا باليمين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الحَلف بالله تعالى أمر عظيم، ولا ينبغي للمؤمن الإكثار منه في كل حين، كما أن هناك إشارة إلى تحذير المؤمنين من كثرة الحَلف كي لا يقعون في مشقة الإيلاء، الذي سببه الحَلف.

---

(١) الإيلاء: هو الامتناع باليمين عن وطء الزوجة. ينظر: سبل السلام في شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، كتاب الرجعة، باب الإيلاء والظهار والكفارة (٢٣٩/٦)؛ المحلى، علي بن أحمد بن حزم، كتاب النكاح، باب أحكام الإيلاء (٤٢/١٠).

(٢) من الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (٤٢٤/١).

٧٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف بياني لأن الآية السابقة لما أفادت النهي عن التسرع بالحَلف إفادةً صريحةً أو التزاميةً؛ كانت نفوس السامعين بحيث يهجس ا التفكر والتطلع إلى حكم اليمين التي تجري على الألسن، ومناسبته لما قبله ظاهرة لا سيما إن جعلت قوله: ﴿وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾(٢) يا عن الحلف))(٣).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة، لأنه تعالى لما ى عن جعل الله معرضا للأيمان، كان ذلك حتما لترك الأيمان وهم يشق عليهم ذلك، لأن العادة جرت لهم بالأيمان، فذكر أن ما كان منها لغوا فهو لا يؤاخذ به، لأنه مما لا يقصد به حقيقة اليمين))(٤).

- وقال البقاعي: ((ولما تقدم إليهم سبحانه وتعالى في هذا، وكانت ألسنتهم قد مرنت على الأيمان من غير قصد، بحيث صاروا لا يقدرون على ترك ذلك إلا برياضة كبيرة، ومعالجة طويلة، وكان مما رحم الله به هذه الأمة العفو عما أخطأت به ولم تتعمده؛ قال في جواب من كأنه سأل عن ذلك: ﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ﴾))(٥).

---

(١) الآية (٢٢٥) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٢٤) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٣٨٠/٢).

(٤) البحر المحيط (٤٤٣/٢).

(٥) نظم الدرر (٤٢٥/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما نهى عن الإكثار من الحَلف به ﷻ؛ كان ذلك شاقا على الذين اعتادوا على الحَلف؛ فرخص لهم في هذه الآية ما لم يقصدوا به حقيقة اليمين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن لغو اليمين وإنما هو شيء يجري على اللسان عند المحاورة من غير قصد، وهذا أحسن ما يفسر به اللغو، وهناك إشارة إلى أن المراد من الآية السابقة النهي عن الحَلف.

٧١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِىٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِۚ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِى ذَٰلِكَ إِنْ أَرَادُوٓاْ إِصْلَٰحًاۚ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِۚ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطْف على الجملة قبلها لشدة المناسبة، وللاتحاد في الحكم، وهو التربص، إذ كلاهما انتظار لأجل المراجعة، ولذلك لم يقدم قوله: ﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ ﴾[٢]على قوله: ﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ ﴾، لأن هذه الآي جاءت متناسقةً منتظمةً على حسب مناسبات الانتقال، على عادة القرآن في إبداع الأحكام، وإلقائها بأسلوب سهل، لا تسأم له النفس، ولا يجيء على صورة التعليم والدرس))[٣].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة جِدا، لأنه حكم غالب من أحكام النساء، لأن الطلاق[٤]يحصل به المنع من الوطء والاستمتاع دائما، وبالإيلاء منع نفسه من الوطء مدة محصورة، فناسب ذكر غير المحصور بعد ذكر المحصور، ومشروع تربص المولي أربعة أشهر، ومشروع تربص هؤلاء ثلاثة قروء ، فناسب ذكرها بعقبها))[٥].

---

(١) الآية (٢٢٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٣٨٨/٢).

(٤) الطلاق في الشرع حل عقدة التزويج، وإ اء العلاقة الزوجية. ينظر: سبل السلام، كتاب الطلاق (١٩٩/٦)؛ فقه السنة، السيد سابق (١٦٢/٢).

(٥) البحر المحيط (٤٥٢/٢).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما ذكر ﷻ الإيلاء، وأن الطّلاق قد يقع؛ بين تعالى حكم المرأة بعد التطْليق))[(١)].

- وقال البقاعي: ((ولما ختم آيتي الإيلاء بالطلاق؛ بين عدته))[(٢)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين ما يترتب على الإيلاء؛ بين ما يترتب على الطلاق، كو ما مشتركان في التربص.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى قد نظم الحياة الزوجية تنظيما يحفظ لها التوازن، ويؤمن فيها حقوق الزوجين، ولم يدع قضية متعلقة ا إلا وبين حكمها، حفظًا للحقوق الأسرية حتى في حال الطلاق.

---

(١) اللباب (١٠٨/٤).

(٢) نظم الدرر (٤٢٧/١).

٧٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ولما كان أمر العرب في الجاهلية جاريا على عدم تحديد ـاية الطلاق...؛ ناسب أن يذكر عقب ذلك كله حكم تحديد الطلاق، إفادةً للتشريع في هذا الباب، ودفعا لما قد يعلَق أو علق بالأوهام في شأنه))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((ومناسبتها لما قبلها ظاهرة، وهو أنه لما تضمنت الآية قبلها الطلاق الرجعي، وكانوا يطلّقون ويراجعون من غير حد ولا عد؛ بين في هذه الآية أنه مرتان، فحصر الطلاق الرجعي في أنه مرتان))[(٣)].

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر الرجعة ولم يبين لها غاية تنتهي ـا، فكانت الآية كا ـمل؛ عرض سؤالٌ: هل هي ممتدة كما كانوا يفعلون في الجاهلية متى راجعها في العدة له أن يطلقها ما دام يفعل ذلك، ولو ألف مرة أو منقطعة؟ فقال: ﴿ٱلطَّلَٰقُ﴾، أي الـ ـمحدث عنه، وهو الذي تملك فيه الرجعة))[(٤)].

---

(١) الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٠٣/٢).
(٣) البحر المحيط (٤٦٣/٢).
(٤) نظم الدرر (٤٣٠/١).

ومن هذا النقل يتبين أنه لما ذُكر الطلاق الرجعي في الآية التي قبلها، وكان أهل الجاهلية لا يضعون حدا لعدد تلك الطلقات؛ جاء تحديدها في قوله تعالى: ﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾[١].

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإسلام حارب كل عادة جاهلية فيها إضرار بالمرأة، سواءٌ كانت زوجةً أم بنتا أم غير ذلك، وهنا دلالة على أن الرجعة يمكن أن تكون بعد تطليقتين، أما بعد الطلقة الثالثة فلا رجعة البتة، ولا عودة إلا أن تنكح المرأةُ زوجا آخر ثم تفارقه.

(١) من الآية (٢٢٩) من سورة البقرة.

٧٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ ۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ ۚ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ لَا تُكَلَّفُ نَفْسٌ إِلَّا وُسْعَهَا ۚ لَا تُضَآرَّ وَٰلِدَةٌۢ بِوَلَدِهَا وَلَا مَوْلُودٌ لَّهُۥ بِوَلَدِهِۦ ۚ وَعَلَى ٱلْوَارِثِ مِثْلُ ذَٰلِكَ ۗ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ۗ وَإِنْ أَرَدتُّمْ أَن تَسْتَرْضِعُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُم مَّآ ءَاتَيْتُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((انتقال من أحكام الطلاق والبينونة، فإنه لما نهي عن العضل، وكانت بعض المطلقات لهن أولاد في الرضاعة، ويتعذر عليهن التزوج وهن مرضعات، لأن ذلك قد يضر بالأولاد، ويقلل رغبة الأزواج فيهن؛ كانت تلك الحالة مثار خلاف بين الآباء والأمهات، فلذلك ناسب التعرض لوجه الفصل بينهم في ذلك))(٢).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما ذكر جملة في النكاح، والطلاق، والعدة، والرجعة، والعضل؛ أخذ يذكر حكم ما كان من نتيجة النكاح، وهو ما شرع من حكم الإرضاع ومدته، وحكم الكسوة، والنفقة))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما كان النكاح قد يكون عنه ولادة، فيكون عنها رضاع، وقد تكون المرضعة زوجة، وقد تكون أجنبية، والزوجة قد تكون متصلة، وقد تكون منفصلة، وكان الفراق بالطلاق أكثر منه بالموت؛ وسطه بين عدتي الطلاق والوفاة، لإدلائه إلى كل بسبب، واهتماما بشأنه، وحثا على الشفقة على الصغير، وشدة العناية

---

(١) الآية (٢٣٣) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٢/٤٢٩).
(٣) البحر المحيط (٢/٤٩٦).

بأمره، لأن الأم ربما كانت مطَلقَةً فاستهانت بالولد إيذاءً للزوج، إن كان الطلاق عن شقاق، أو رغبة في زوج آخر))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر أحكام الطلاق؛ عقب بأحكام الرضاع التي تحسم الخلاف بين الآباء والأمهات، رحمةً وشفقةً بالأطفال.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أن المقصود بالوالدات في الآية هن الوالدات المطلقات، كون هذا الحكم ذكر بعد ذكر أحكام الطلاق، فإن أمر الإرضاع مهم، لأن به حياة النسل، ولأن تنظيم أمره من أهم شؤون أحكام العائلة، وفيه حفظٌ لحقوق الطفل حتى إذا انفصلت أُمه عن أبيه.

(١) نظم الدرر (٤٣٨/١).

٧٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إِلَّآ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَا۟ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ عُقْدَةُ ٱلنِّكَاحِ ۚ وَأَن تَعْفُوٓا۟ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هاتين الآيتين الكريمتين لما قبلهما فقال: ((ومناسبة موقعها لا تخفى، فإنه لما جرى الكلام في الآيات السابقة على الطلاق الذي تجب فيه العدة، وهو طلاق المدخول ن؛ عرج هنا على الطلاق الواقع قبل الدخول))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما ذَكَر حكْم المطلقة غير الممسوسة إذا لم يفْرض لها مهر؛ تكلم في المطلقة غير الممسوسة إذا كان قد فُرِض لها مهر))[3].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبتها لما قبلها، أنه لما بين تعالى حكم المطلقات المدخول ن، والمتوفى عنهن أزواجهن؛ بين حكم المطلقة غير المدخول ا))[4].

- وقال البقاعي: ((ولما نفي الجناح بانتفاء المسيس و الفرض، فأفهم أ ما إذا وجِدا وجِد الجناح بوجوب المفروض كله؛ أتبعه ما إذا انتفى أحدهما فقط، فذكر الحكم عند انتفاء المسيس وحده صريحا في ضد المفوضة السابقة، وأفهم بذلك ما إذا انتفى الفرض وحده تلويحا فقال: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ﴾))[5].

(١) الآيتان (٢٣٦،٢٣٧) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٤٥٧/٢).
(٣) مفاتيح الغيب (١٤٠/٦).
(٤) البحر المحيط (٥٢٧/٢).
(٥) نظم الدرر (٤٤٧/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر حكم المطلقة المدخول ا؛ عقبه بذكر أحكام المطلقة غير المدخول ا، تتميما لأحكام الطلاق، وتناولا لبقية أحواله.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على تكريم المرأة وتشريفها، وحفظ حقوقها، حتى ولو طُلقت قبل الدخول ا، وفي هذا أكبر دليلٍ على عدالة الإسلام، وعدم هضمه حقوق المرأة.

٧٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فالظاهر أنه لما طال تبيان أحكامٍ كثيرة متوالية...جاءت هذه الآية مرتبطة بالتذييل الذي ذُيلَت به الآية السابقة، وهو قوله: ﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾[٢]، فإن الله دعانا إلى خلُقٍ حميد، وهو العفو عن الحقوق، ولما كان ذلك الخُلُق قد يعسر على النفس لما فيه من ترك ما تحبه من الـملائم من مال وغيره، كالانتقام من الظالم، وكان في طباع الأنفس الشح؛ علمنا الله تعالى دواء هذا الداء بدواءين، أحدهما دنيوي عقلي، وهو قوله: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، الـمذكر بأن العفو يقَرب إليك البعيد، ويصير العدو صديقًا، وإنك إن عفَوت فيوشك أن تقترف ذنبا فيعفَى عنك إذا تعارف الناس الفضلَ بينهم، بخلاف ما إذا أصبحوا لا يتنازعون عن الحق.

الدواء الثاني أخروي روحاني، وهو الصلاة التي وصفها الله تعالى في آية أخرى بأ ا تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما كانت معينةً على التقوى، ومكارمِ الأخلاق؛ حث الله على المحافظة عليها.

ولك أن تقول: لما طال تعاقب الآيات المبينة تشريعات تغلب فيها الحظوظُ الدنيويةُ للمكلفين؛ عقبت تلك التشريعات بتشريعٍ تغلب فيه الحظوظُ الأخرويةُ، لكي لا يشتغل الناس بدراسة أحد الصنفين من التشريع عن دراسة الصنف الآخر))[٣].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

---

(١) الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣٧) من سورة البقرة.

(٣) التحرير والتنوير (٢/٤٦٥).

- قال الرازي: ((اعلم أنه سبحانه وتعالى لما بين للمكلفين ما بين من معالم دينه، وأوضح لهم من شرائع شرعه؛ أمرهم بعد ذلك بالمحافظة على الصلوات، وذلك لوجوه:

أحدها: أن الصلاة لما فيها من القراءة والقيام والركوع والسجود والخضوع والخشوع تفيد انكسار القلب من هيبة الله تعالى، وزوال التمرد عن الطبع، وحصول الانقياد لأوامر الله تعالى، والانتهاء عن مناهيه...

والثاني: أن الصلاة تذَكر العبد جلالة الربوبية، وذلة العبودية، وأمر الثواب والعقاب، فعند ذلك يسهل عليه الانقياد للطاعة...

والثالث: أن كل ما تقدم من بيان النكاح والطلاق والعدة اشتغال بمصالح الدنيا، فأتبع ذلك بذكر الصلاة التي هي مصالح الآخرة))[1].

- وقال أبو حيان: ((والذي يظهر في المناسبة، أنه تعالى لما ذكر تعالى جملة كثيرة من أحوال الأزواج والزوجات، وأحكامهم في النكاح والوطء، والإيلاء والطلاق، والرجعة، والإرضاع والنفقة والكسوة، والعدد والخطبة، والمتعة والصداق والتشطر[2]، وغير ذلك، كانت تكاليف عظيمة تشغل من كلفها أعظم شغل، بحيث لا يكاد يسع معها شيء من الأعمال، وكان كل من الزوجين قد أوجب عليه للآخر ما يستفرغ فيه الوقت، ويبلغ منه الجهد، وأمر كلا منهما بالإحسان إلى الآخر حتى في حالة الفراق، وكانت مدعاة إلى التكاسل عن الاشتغال بالعبادة إلا لمن وفقه الله تعالى؛ أمر تعالى بالمحافظة على الصلوات التي هي الوسيلة بين الله وبين عبده، وإذا كان قد أمر بالمحافظة على أداء حقوق الآدميين، فلأن يؤمر بأداء حقوق الله أولى وأحق...فكأنه قيل: لا يشغلنكم التعلق بالنساء وأحوالهن عن أداء ما فرض الله عليكم.

---

(١) مفاتيح الغيب (١٤٥/٦).

(٢) التشطر: مأخوذ من الشطْر، وهو النصف، والمراد به هنا نصف المهر. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شطر)، باب الراء، فصل الشين (١٢٥/٢)؛ مختار الصحاح، باب الشين (ص٣٣٧)؛ المعجم الوسيط، باب الشين (٥٠٨/١).

وقيل: مناسبة الأمر بالمحافظة على الصلوات عقيب الأوامر السابقة أن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فيكون ذلك عونا لهم على امتثالها، وصونا لهم عن مخالفتها.

وقيل: وجه ارتباطها بما قبلها وبما بعدها، أنه لما أمر تعالى بالمحافظة على حقوق الحق، ثم لما كانت حقوق الآدميين منها ما يتعلق بالحيـاة، وقد ذكـره، ومنها ما يتعلق بالممـات؛ ذكره بعده في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾[1]الآية))[2].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لمّا ذكر الأحكام المتعلّقة بمصالح الدنيا من بيان النكاح، والطلاق، والعقُود؛ أتبعه بذكر الأحكامِ المتعلقة بمصالح الآخرة))[3].

- وقال البقاعي: ((ولما ذُكرت أحكام النساء، وشعبت حتى ضاق فسيح العقل بانتشارها، وكاد أن يضيع في متسع مضمارها، مع ما هناك من مظنّة الميل بالعشق، والنفرة بالبغض، الحامل على الإحن، والشغل بالأولاد، وغير ذلك من فتن وبلايا ومحن، يضيق عنها نطاق الحصر، ويكون بعضها مظنةً للتهاون بالصلاة، بل وبكل عبادة؛ اقتضى الحال أن يقال: يا رب، إن الإنسان ضعيف، وفي بعض ذلك له شاغل عن كل مهم، فهل بقي له سعة لعبادتك؟ فقيل: ﴿حَٰفِظُواْ﴾[4]))[5].

- وقال الآلوسي: ((ولعل الأمر ا عقيب الحض على العفو، والنهي عن ترك الفضل، لأ ا تهيئُ النفس لفواضل الـملَكات، لكو ا الناهية عن الفحشاء والمنكر، أو ليجمع بين التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة عل خلقه، وقيل: أمر ا في خلال بيان ما تعلق بالأزواج والأولاد من الأحكام الشرعية المتشابكة إيذانا بأ ا حقيقةٌ بكمال الاعتناء بشأ ا، والمثابرة عليها، من غير اشتغال عنها بشأن أولئك))[6].

---

(١) من الآية (٢٤٠) من سورة البقرة.

(٢) البحر المحيط (٤٥٦/٢).

(٣) اللباب (٢٢٦/٤).

(٤) من الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

(٥) نظم الدرر (٤٤٩/١).

(٦) روح المعاني (٧٤٧/٢).

ومن هذا النقل يتبين أن ارتباط الآية بما قبلها من وجهين:

الوجه الأول: ارتباطها بالتذييل في قوله تعالى: ﴿وَأَن تَعۡفُوٓاْ أَقۡرَبُ لِلتَّقۡوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾[1]، وهو تذييلٌ يرغب في العفو، ولما كان هذا الخلق قد يعسر على النفس؛ أرشدنا الله تعالى إلى معالجة ذلك بدواءين:

الدواء الأول: دنيوي عقلي، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُاْ ٱلۡفَضۡلَ بَيۡنَكُمۡ﴾.

الدواء الثاني: أخروي روحي، وذلك في قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ﴾[2]، كون الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، وتعين على مكارم الأخلاق.

الوجه الثاني: بعد أن تقدم بيان أحكام النكاح، والطلاق، والعدة...إلخ، وكلها اشتغال بمصالح دنيوية، أُتبع بذكر الصلاة التي هي من أعظم المصالح الأخروية.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أهمية الصلاة في إصلاح أحوال الناس، على مستوى الفرد، والأسرة، وا تمع.

كما أن هناك دلالة على ارتباط صلاح النفس بأداء هذه الفريضة العظيمة، كو ا تروضها على مكارم الأخلاق، وتشعرها بالتذلل والخضوع.

---

(١) من الآية (٢٣٧) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٣٨) من سورة البقرة.

٧٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((موقع هذه الآية موقع الفذلكة لما قبلها، والمقدمة لما بعدها.

فأما الأول فإنّ الله تعالى لما أنبأ باختبار الرسل إبراهيم وموسى وعيسى -عليهم السلام- وما عرض لهم مع أقوامهم، وختم ذلك بقوله: ﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ﴾[(٢)]؛ جمع ذلك كلّه في قوله: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ﴾ لَفْتا إلى العبر التي في خلال ذلك كلّه، ولما أ ى ذلك كلّه عقبه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[(٣)]تذكيرا بأنّ إعلامه بأخبار الأمم والرسل آية على صدق رسالته، إذ ما كان لمثله قبلٌ بعلم ذلك لولا وحي الله إليه.

وفي هذا كلّه حجة على المشركين، وعلى أهل الكتاب الذين جحدوا رسالة محمد ﷺ.

وأما الثاني فلأنه لما أُفيض القول في القتال، وفي الحث على الجهاد، والاعتبار بقتال الأمم الماضية؛ عقب ذلك بأنه لو شاء الله ما اختلف الناس في أمر الدين من بعد ما جاء م البينات، ولكنهم أساؤوا الفهم فجحدوا البينات، فأفضى م سوءُ فهمهم إلى اشتطاط[(٤)] الخلاف بينهم، حتى أفضى إلى الاقتتال))[(٥)].

---

(١) الآية (٢٥٣) من سورة البقرة.

(٢) من الآية (٢٥٢) من سورة البقرة.

(٣) من الآية (٢٥٢) من سورة البقرة.

(٤) اشتطاط: مصدر الفعل اشتط، أي بعد وجار، والشطَط مجاوزة القدر. ينظر: القاموس المحيط، مادة (شطط)، باب الطاء، فصل الشين (٥٦٠/٢)؛ مختار الصحاح، باب الشين (ص٣٣٧)؛ المعجم الوسيط، باب الشين (٥٠٨/١)

(٥) التحرير والتنوير (٥/٣).

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((وجه تعلق هذه الآية بما قبلها ما ذكره أبو مسلم[١]وهو أنه تعالى أنبأ محمدا ﷺ من أخبار المتقدمين مع قومهم، كسؤال قوم موسى ﴿ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ ﴾[٢]، وقولهم: ﴿ ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ ﴾[٣]، وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى، وإبراء الأكمه[٤]والأبرص[٥]بإذن الله فكذبوه، وراموا قتله، ثم ثم أقام فريق على الكفر به وهم اليهود، وفريق زعموا أ م أولياؤه، وادعت على اليهود قتله وصلبه، الذي كذ م الله تعالى فيه، وكالملأ من بني إسرائيل حسدوا طالوت، ودفعوا ملكه بعد المسألة، وكذلك ما جرى من أمر النهر، فعزى اللهُ رسولَه عما رأى من قومه من التكذيب والحسد))[٦].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه لما ذكر اصطفاء طالوت على بني اسرائيل، وتفضل داود عليهم بإيتائه الملك والحكمة وتعليمه، ثم خاطب نبيه محمدا ﷺ بأنه من المرسلين، وكان ظاهر اللفظ يقتضي التسوية بين المرسلين؛ بين بأن المرسلين متفاضلون أيضا، كما كان التفاضل بين غير المرسلين، كطالوت وبني اسرائيل))[٧].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((قال أبو مسلم: وجه تعلق هذه الآية بما قبلها، ما ذكر في الآية التي قبلها من تسلية الرسول ﷺ، وهو أنه أخبر

---

(١) محمد بن بحر الأصفهاني، أبو مسلم، والٍ من أهل أصفهان، معتزلي، ولد سنة (٢٥٤هـ)، كان عالماً بالتفسير وبغيره من صنوف العلم، من كتبه تفسير جامع التأويل، (ت٣٢٢هـ). ينظر: الوافي بالوفيات (٢٤٤/٢)؛ الأعلام (٥٠/٦).

(٢) من الآية (١٥٣) من سورة النساء.

(٣) من الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.

(٤) الأكمه: الذي يولد أعمى. ينظر: القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (كمه)، باب الهاء، فصل الكاف (٤١٨/٤)؛ مختار الصحاح، باب الكاف (٥٧٩)؛ المعجم الوسيط، باب الكاف (٨٣٥/٢).

(٥) الأبرص: المصاب بداء وهو بياض يظهر في البدن. ينظر: القاموس المحيط، مادة (برص)، باب الصاد، فصل الباء (٤٥٤/٢)؛ مختار الصحاح، باب الباء (ص٤٨).

(٦) مفاتيح الغيب (١٩٤/٦).

(٧) البحر المحيط (٥٩٩/٢).

النبي ﷺ بأخبار المتقدمين مع قومهم، كسؤال قوم موسى ﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهۡرَةً﴾(١)، وقولهم: ﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞۚ﴾(٢)، وكقوم عيسى بعد أن شاهدوا منه إحياء الموتى، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله فكذبوه، وراموا قتله، ثم أقام فريق على الكفر به، وهم اليهود، وزعم فريق منهم أ م أولياؤه، وكالملأ من بني إسرائيل، حسدوا طالوت، ودفعوا ملكه بعد المسألة، وكذلك ما جرى من أمر النهر، فذكر ذلك كله تسلية للرسول ﷺ عما رأى من قومه من التكذيب والحسد))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما تقدم في هذه السورة ذكر رسل كثيرة، وختم هذه الآيات بأنه ﷺ منهم؛ تشوفت النفس إلى معرفة أحوالهم في الفضل، هل هم فيه سواء أو هم متفاضلون؟ فأشار إلى علُو مقادير الكل))(٤).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن هذه الآية الكريمة فذلكةٌ لما قبلها، حيث لفتت الأذهان إلى العبر التي وردت في الآيات التي تقدمتها، وذكرت بنبوته ﷺ، وأ ا مقدمةٌ وتمهيد بين فيه سبب الاقتتال، وهو الاختلاف.

أما الرازي وابن عادل الحنبلي فيريان أن في الآية تسليةً للرسول ﷺ لما لاقاه من قومه.

وأما أبو حيان والبقاعي فيريان أن المناسبة إثبات التفاضل بين الرسل، دفعا لما قد يفهم أ م متساوون.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر هو الأنسب، كونه جعل الآية إجمالا لما فُصل في الآيات السابقة، ومقدمةً لما ورد من أسباب الاقتتال، و ذا يتحقق الربط بين السابق واللاحق، ويلتئم النظم على أكمل وجه.

---

(١) من الآية (١٥٣) من سورة النساء.
(٢) من الآية (١٣٨) من سورة الأعراف.
(٣) اللباب (٢٩٧/٤).
(٤) نظم الدرر (٤٨٥/١).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى مجد الرسل عليهم الصلاة والسلام جميعا، إلا أنه قد فضل بعضهم على بعض لأسبابٍ لا يعلمها إلا هو سبحانه وتعالى، غير أن تلك الأسباب ترجع إلى ما جرى على أيديهم من الآيات، ولما كان الرسول ﷺ قد هدى الله على يده خلائق لا تعد ولا تحصى؛ كان أفضل الرسل[1].

(١) ذكر القرطبي كلاما شافيا في مسألة تفاضل الأنبياء عند تفسيره لقول الله تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]. ينظر: تفسيره الجامع لأحكام القرآن (٢٥٣/٤)، وينظر أيضا ما ذكره عبد الله بن صديق الغماري في كتابه: "دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين" (ص١٨١).

٧٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما ذُكر هولُ يوم القيامة، وذُكر حالُ الكافرين؛ استؤنف بذكر تمجيد الله تعالى، وذكرِ صفاته، إبطالا لكفر الكافرين، وقطعا لرجائهم، لأنّ فيها ﴿ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ ﴾، وجعلت هذه الآية ابتداءً لآيات تقرير الوحدانية والبعث، وأودعت هذه الآية العظيمة هنا لأنها كالبرزخ بين الأغراض السابقة واللاّحقة))[(٢)].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((ولما ذَكَر فيما تقدم من علم الأحكام، ومن علم القَصص ما رآه مصلحة؛ ذَكَر الآن ما يتعلق بعلم التوحيد))[(٣)].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى لما ذَكَر أنه فَضلَ بعض الأنبياء على بعض، وأنّ منهم من كلّمه، وفُسر بموسى عليه السلام، وأنه رفَع بعضهم درجات، وفُسر بمحمد ﷺ، ونص على عيسى عليه السلام، وتفضيل المتبوع يفهم منه تفضيل التابع، وكانت اليهود والنصارى قد أحدثوا بعد نبيهم بِدعا في أديا م وعقائدهم، ونسبوا الله تعالى إلى ما لا يجوز عليه، وكان رسول الله ﷺ بعثَ إلى الناس كافة، فكان منهم العرب، وكانوا قد اتخذوا من دون الله آلهة وأشركوا، فصار جميع الناس المبعوث إليهم ﷺ على غير استقامة في شرائعهم وعقائدهم، وذكر تعالى أن

---

(١) الآية (٢٥٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (١٧/٣).
(٣) مفاتيح الغيب (٢/٧).

الكافرين هم الظالمون، وهم الواضعون الشيء غير مواضعه؛ أتى ذه الآية العظيمة الدالة على إفراد الله بالوحدانية، والمتضمنة صفاته العلا))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما ابتدأ سبحانه وتعالى الفاتحة كما مضى بذكر الذات، ثم تعرف بالأفعال لأ ا مشاهدات، ثم رقي الخطاب إلى التعريف بالصفات، ثم أعلاه رجوعا إلى الذات للتأهل للمعرفة؛ ابتدأ هذه السورة بصفة الكلام، لأ ا أعظم المعجزات، وأبينها وأدلها على غيب الذات، وأوقعها في النفوس، لا سيما عند العرب، ثم تعرف بالأفعال فأكثر منها، فلما لم يبق لَبس أثبت الوحدانية بآيتها السابقة، مخللا ذلك بأفانين الحكم، ومحاسن الأحكام، وأنواع الترغيب والترهيب، في محكم الوصف والترتيب، فلما تمت الأوامر، وهالت تلك الزواجر، وتشوقت الأنفس، وتشوفت الخواطر إلى معرفة سبب انقطاع الوصل بانبتار الأسباب، وانتفاء الشفاعة في ذلك اليوم، إذ كان المألوف من ملوك الدنيا أ م لا يكادون يتمكنون من أمر من الأمور حق التمكن من كثرة الشفعاء والراغبين من الأصدقاء، إذ كان الملك منهم لا يخلو مجلسه قط عن جمع كل منهم صالح للقيام مقامه، ولو خذله أو وجه إليه مكره ضعضع أمره، وفت في عضده، فهو محتاج إلى مراعا م واسترضائهم ومدارا م؛ بين سبحانه وتعالى صفة الآمر بما هو عليه من الجلال والعظمة، ونفوذ الأمر، والعلو عن الصد، والتنـزه عن الكفر والند، والتفرد بجميع الكمالات، والهيبة المانعة بعد انكشافها هناك أتم انكشاف، لأن تتوجه الهمم لغيره، وأن تنطق بغير إذنه، وأن يكون غير ما يريد، ليكون ذلك أدعى إلى قبول أمره، والوقوف عند يه وزجره، ولأجل هذه الأغراض ساق الكلام مساق جواب السؤال فكأنه قيل: هذا ما لا يعرف من أحوال الملوك، فمن الملك في ذلك اليوم؟ فذكر آية الكرسي سيدة آي القرآن التي ما اشتمل كتاب على مثلها))(٢).

- وقال الآلوسي: ((ومناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها أنه سبحانه لما ذكر أن الكافرين هم الظالمون؛ ناسب أن ينبههم جل شأنه على العقيدة الصحيحة، التي هي

---

(١) البحر المحيط (٦٠٧/٢).

(٢) نظم الدرر (٤٩٤/١).

محض التوحيد الذي درج عليه المرسلون على اختلاف درجا م، وتفاوت مراتبهم، بما أينعت من ذلك رياضه، وتدفقت حياضه، وصدح عندليبه، وصدع على منابر البيان خطيبه، فلله الحمد على ما أوضح الحجة، وأزال الغبار عن وجه المحجة))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هنا استئناف لغرض إبطال كفر الكافرين، وقطع رجائهم، وتقرير وحدانية الله تعالى، وهو لا يختلف عما ذكره الآلوسي.

أما الرازي فيرى أ ا تتمة لبيان أنواع العلوم، فبعد أن ذُكر علم الأحكام، وعلم القصص، ذُكر هنا علم التوحيد.

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي الدلالة على إفراد الله بالوحدانية، وهو قريب من قول الطاهر.

وأما البقاعي فقد تكلف كثيرا في إبداء هذه المناسبة، حيث ربط الآية بسورة الفاتحة وأغراضها، ثم ما سبق من أغراض سورة البقرة، واستطرد استطرادا طويلا، لينتهي بأن الآية جواب عن سؤال مقدر يسأل عن المَلك يوم القيامة.

والذي يظهر أن ما ذهب إليه الطاهر والرازي والآلوسي هو أنسب ما قيل، كونه بعيد عن التكلف، ويتوافق مع غرض مهم من أغراض سورة البقرة، وهو تمجيد الله تعالى وصفاته، ولأنه جعل الآية رابطةً الأغراض السابقة بالأغراض اللاحقة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه تتجلى عظمة المولى ﷻ، وعظيم صفاته، وإثبات وحدانيته، وإبطال كفر الكافرين، وقطع رجائهم بما سواه سبحانه.

---

(١) روح المعاني (١٧/٣).

٧٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((وتعقيب آية الكرسي اته الآية بمناسبة أنّ ما اشتملت عليه الآية السابقة من دلائل الوحدانية، وعظمة الخالق، وتنـزيهه عن شوائب ما كَفَرت به الأمم، من شأنه أن يسوق ذوي العقول إلى قبول هذا الدين، الواضح العقيدة، المستقيم الشريعة، باختيارهم دون جبرٍ ولا إكراه، ومن شأنه أن يجعل دوامهم على الشرك بمحل السؤال: أيتركون عليه أم يكْرهون على الإسلام؟ فكانت الجملة استئنافًا بيانيا))(٢).

وقد وافق الطاهر البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ ما متفقان في المعنى، حيث قال: ((ولما اتضحت الدلائل لكل عالم وجاهل؛ صار الدين إلى حد لا يحتاج فيه منصف لنفسه إلى إكراه فيه فقال: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِ﴾))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما دللَ على وحدانيته بما يثبتها بلا منازع؛ صار التوحيد أمرا مسلما به، لا يحتاج إلى إجبارٍ ولا إكراه.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على رحمة المولى ﷻ بالبشرية، يتجلى ذلك في إقناع العقل البشري بوحدانية الله تعالى، من خلال عرض آياته تعالى، وعظيم قدرته، ثم تركه يختار الطريق الذي يرى فيه الحق، دون إكراه ولا إجبارٍ.

---

(١) الآية (٢٥٦) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٢٥/٣).

(٣) نظم الدرر (٥٠٠/١).

٧٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((جرى هذا الكلام مجرى الحجة على مضمون الجملة الماضية، أو المثال لها، فإنه لما ذكّر أنّ الله يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأنّ الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات؛ ساق ثلاثة شواهد على ذلك، هذا أولُها وأجمعها، لأنه اشتمل على ضلال الكافر، وهدى المؤمن، فكان هذا في قوة المثال))(٢).

وقد وافق الطاهر أبا حيان في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ ما متفقان في المعنى.

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه تعالى لما أخبر أنه ولي الذين آمنوا، وأخبر أن الكفار أولياؤهم الطاغوت؛ ذكر هذه القصة التي جرت بين إبراهيم والذي حاجه، وأنه ناظر ذلك الكافر فغلبه وقطعه، إذ كان الله وليه، وانقطع ذلك الكافر و ت، إذ كان وليه هو الطاغوت...فصارت هذه القصة مثَلا للمؤمن والكافر اللذين تقدم ذكرهما))(٣).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر أنه يخرج الذين آمنوا من الظلمات إلى النور، وأن الطاغوت يخرجون الذين كفروا من النور إلى الظلمات؛ مثل ذه القصة لاشتمالها على ولي من أولياء الله، ووولي من أولياء الطاغوت.

---

(١) الآية (٢٥٨) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٣١/٣).
(٣) البحر المحيط (٦٢٤/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أهمية التمثيل بالقَصص، لما فيها من تقريب المعنى، وتوضيح الصورة، وهذا منهج قرآني تكرر في مواضع متعددة من القرآن الكريم.

٨٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبۡطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلۡمَنِّ وَٱلۡأَذَىٰ كَٱلَّذِي يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤۡمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۖ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ لَّا يَقۡدِرُونَ عَلَىٰ شَيۡءٖ مِّمَّا كَسَبُواْۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((فلما وصف الإنفاق في سبيل الله بصفة الإخلاص لله فيه بقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتۡبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ﴾[٢]الآية؛ انتقل بمناسبة ذلك إلى طرد ذلك الوصف في الإنفاق على المحتاجين، فإنّ المن والأذى في الصدقة أكثر حصولا، لكون الصدقة متعلّقة بأشخاص معينين، بخلاف الإنفاق في سبيل الله، فإن أكثر من تنالهم النفقة لا يعلمهم المنفق))[٣].

وقد وافق الطاهر أبا حيان، والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ ما متفقان في المعنى.

- قال أبو حيان: ((لما شرط في الإنفاق أن لا يتبع منا ولا أذًى؛ لم يكتف بذلك حتى جعل المن والأذى مبطلا للصدقة، و ى عن الإبطال ما ليقوي اجتناب المؤمن لهما))[٤].

- وقال البقاعي: ((ولما شرط لقبولها شرطًا، ووهى ما عري منها عنه؛ أتبعه التصريح بالنهي عن إهماله، والنص على محقه لها وإبطاله، وضرب لذلك مثَلا، وضرب للمثل مثَلا، مبالغة في الزجر عن ذلك))[٥].

(١) الآية (٢٦٤) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٦٢) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٤٣/٣).
(٤) البحر المحيط (٦٦٢/٢).
(٥) نظم الدرر (٥١٧/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما شرط عدم المن والأذى في الإنفاق في سبيل الله تعالى؛ أتبعه بالتحذير منه في الصدقات.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المن والأذى في الصدقات سبب في إبطال ثوا ا، وأن الإخلاص في العمل الصالح شرطٌ أساس في قبول العمل عند الله تبارك وتعالى.

٨١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَأَصَابَهُ ٱلْكِبَرُ وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف بياني أثاره ضرب المثل العجيب للمنفق في سبيل الله، بمثَل حبة أنبتت سبع سنابل، ومثَل جنة بربوة إلى آخر ما وصف من المثَلين، ولـما أتبع بما يفيد أنّ ذلك إنما هو للمنفقين في سبيل الله، الذين لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذًى، ثم أتبع بالنهي عن أن يتبعوا صدقا م بالمن والأذى؛ استشرفت نفس السامع لتلقي مثَلٍ لهم يوضح حالهم الذميمة، كما ضرب المثل لمن كانوا بضد حالهم في حالة محمودة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر أبا حيان، والبقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ ما متفقان في المعنى.

- قال أبو حيان: ((لما تقدم النهي عن إبطال الصدقة بالمن والأذى، وشبه فاعل ذلك بالمنفق رئاءً، ومثل حاله بالصفوان المذكور[(٣)]، ثم مثل حال من أنفق ابتغاء وجه الله[(٤)]، أعقب ذلك كله ذه الآية))[(٥)].

- وقال البقاعي: ((ولما قدم سبحانه وتعالى أن المن مبطل للصدقة، ومثلَه بالرياء، وضرب لهما مثَلا، ورغب في الخالص، وختم ذلك بما يصلح للترهيب من المن والرياء؛

---

(١) الآية (٢٦٦) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٥٣/٣).

(٣) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُبْطِلُوا۟ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا لَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا۟ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

(٤) إشارة إلى قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍۭ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَـَٔاتَتْ أُكُلَهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

(٥) البحر المحيط (٦٧١/٢).

رجع إليهما، دلالةً على الاهتمام بهما، فضرب لهما مثَلا أوضح من السالف، وأشد في التنفير عنهما، والبعد منهما))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ضرب المثل للمنفقين أموالهم في سبيل الله، وبين حالهم المحمود في مثال رائع، ثم أتبع ذلك بذكر من أبطل صدقته بالمن والأذى؛ استشرفت النفس لمثل يوضح الحال الذميمة للفريق الأخير، فجيء بهذا المثل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ضرب الأمثلة أسلوب رائع من أساليب الترغيب والترهيب، فقد لا يدرك السامع نفع الأمر أو ضرره إلا بعد أن تقَرب له الصورة بِمثَلٍ بديعٍ ينساب إلى قلبه قبل عقله، فيتمكن منه أي تمكن.

ولذلك نهج القرآن الكريم هذا الأسلوب الدعوي، سعيا في تقريب المقصود، وتوضيحه للأذهان.

(١) نظم الدرر (٥١٩/١).

٨٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف معترض به بين قوله: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾(٢)، وبين قوله : ﴿وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ﴾، ومناسبته هنا أنّ الآيات المتقدمة يلُوح من خلالها أصناف من الناس، منهم الذين ينفقون أموالهم رئاء الناس، ولا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر، ومنهم الذين يبطلون صدقا م بالمن والأذى، ومنهم الذين يتيممون الخبيث منه ينفقون، ومنهم من يعدهم الشيطان الفقر، ويأمرهم بالفحشاء، وكان وجود هذه الفرق مما يثقُل على النبيء ﷺ، فعقّب الله ذلك بتسكين نفس رسوله، والتهوين عليه، بأن ليس عليه هداهم، ولكن عليه البلاغ))(٣).

وقد وافق الطاهر البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ ما متفقان في المعنى.

- قال البقاعي: ((ولما حث سبحانه وتعالى على وجوه الخير، ورغب في لزوم الهدى، وكان أكثرهم معرضين، لأن ما دعا إليه هادم لما جبِلُوا عليه من الحب لتوفير المال، والحفيظة على النفس، وكان ﷺ شديد الأسف عليهم، دائم القلق من أجلهم، لعظيم رحمته لهم، وشفقته عليهم، فكان يجد من تقاعدهم عما يدعوهم إليه من هذه الحالة العلية، التي هي حكمة الله التي رأسها الإيمان بالله، واشتراء الآخرة بكلية الدنيا وجدا شديدا؛ خفض سبحانه وتعالى عليه الأمر، وخفف عليه الحال فقال: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ﴾))(٤).

---

(١) الآية (٢٧٢) من سورة البقرة.
(٢) من الآية (٢٧١) من سورة البقرة.
(٣) التحرير والتنوير (٦٩/٣).
(٤) نظم الدرر (٥٢٦/١).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين إعراض المعرضين، ورأى أنه قد يجلب الهم لنبيه ﷺ؛ سكن نفسه، وخفف عنه بنفي المسؤولية عنه تجاههم بعد أن دعاهم إلى الحق.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أن الدعوة إلى الله تعالى لا تستلزم هداية الناس، ومن ألزم نفسه بذلك فقد حمل نفسه ما لا يطيق، فالهداية أمرها عائد إلى الله سبحانه وتعالى.

٨٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأۡكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِي يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ مِنَ ٱلۡمَسِّۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ قَالُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡبَيۡعُ مِثۡلُ ٱلرِّبَوٰاْۗ وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْۚ فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ مِّن رَّبِّهِۦ فَٱنتَهَىٰ فَلَهُۥ مَا سَلَفَ وَأَمۡرُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِۖ وَمَنۡ عَادَ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((نظَم القرآنُ أهم أصول حفظ مال الأمة في سلك هاته الآيات، فبعد أن ابتدأ بأعظم تلك الأصول وهو تأسيس مالٍ للأمة به قوام أمرها، يؤخذ من أهل الأموال أخذًا عدلا مما كان فَضلا عن الغنى فَفَرضه على الناس، يؤخذ من أغنيائهم فيرد على فقرائهم، سواء في ذلك ما كان مفروضا وهو الزكاة، أو تطوعا وهو الصدقة، فأطنب في الحثّ عليه، والترغيب في ثوابه، والتحذير من إمساكه، ما كان فيه موعظة لمن اتعظ، عطف الكلام إلى إبطال وسيلة كانت من أسباب ابتزاز الأغنياء أموال المحتاجين إليهم، وهي المعاملة بالربا))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ ما متفقان في المعنى.

- قال الرازي: ((اعلم أن بين الربا وبين الصدقة مناسبة من جهة التضاد، وذلك لأن الصدقة عبارة عن تنقيص المال بسبب أمر الله بذلك، والربا عبارة عن طلب الزيادة على المال مع ي الله عنه، فكانا متضادين...فلما حصل بين هذين الحكمين هذا النوع من المناسبة، لا جرم ذكر عقيب حكم الصدقات حكم الربا))[(٣)].

- قال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها أن ما قبلها وارد في تفضيل الإنفاق والصدقة في سبيل الله، وأنه يكون ذلك من طيب ما كسب، ولا يكون من الخبيث، فذُكر نوع غالب عليهم في الجاهلية، وهو خبيث، وهو الربا، حتى يمتنع من الصدقة بما

(١) الآية (٢٧٥) من سورة البقرة.
(٢) التحرير والتنوير (٧٨/٣).
(٣) مفاتيح الغيب (٨٥/٧).

كان من ربا، وأيضا فتظهر مناسبة أخرى، وذلك أن الصدقات فيها نقصان مال، والربا فيه زيادة مال، فاستطرد من المأمور به إلى ذكر المنهي عنه، لما بينهما من مناسبة ذكر التضاد))[1].

- وقال ابن عادل الحنبلي بما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أن بين الصدقة والربا مناسبةٌ من جهة التضاد؛ لأن الصدقة عبارةٌ عن تنقيص المال بسبب أمر الله تبارك وتعالى بذلك؛ والربا عبارةٌ عن طلب الزيادة على المال مع ي الله سبحانه وتعالى عنه، فكانا كالمتضادين...فلما حصلت المناسبة بينهما من هذا النوع، ذكر حكم الربا عقيب حكم الصدقات))[2].

- وقال البقاعي: ((ولما كان سبحانه وتعالى قد ذكر النفقة مما أفاض عليهم من الرزق من أول السورة إلى هنا في غير آية، ورغب فيها بأنواع من الترغيب في فنون من الأساليب، وكان الرزق يشمل الحلال والحرام، وكان مما يسترزقون به قبل الإسلام الربا، وهو أخذٌ مجانا، وهو في الصورة زيادة، وفي الحقيقة نقص وعيب، ضد ما تقدم الحث عليه من الإعطاء مجانا، وهو في الظاهر نقص، وفي الباطن زيادة وخير؛ اهم عن تعاطيه، ونفرهم منه، وبين لهم حكْمه، وأنه خبيثٌ لا يصلح لأكلٍ ولا صدقة))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر أحكام الإنفاق بجميع أنواعه، وأنه يكون من المال الطيب؛ استأنف هنا بذكر الضد والنقيض، وهو المال الحرام، متمثلا في الربا الذي كان يأخذه أصحابه بلا وجه حق، فتكون مناسبة التضاد هنا واضحة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على خطورة الربا، وأضراره الدنيوية والأخروية، وشناعته ظاهرةٌ بضرب المثل، وفي هذا عود إلى استخدام الأمثلة في القرآن الكريم لبيان ضرر من الأضرار التي قد تصيب ا تمعات.

---

(١) البحر المحيط (٧٠٣/٢).

(٢) اللباب (٤٤٧/٤).

(٣) نظم الدرر (٥٣٠/١).

٨٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيۡنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى فَٱكۡتُبُوهُۚ وَلۡيَكۡتُب بَّيۡنَكُمۡ كَاتِبُۢ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَلَا يَأۡبَ كَاتِبٌ أَن يَكۡتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ ٱللَّهُۚ فَلۡيَكۡتُبۡ وَلۡيُمۡلِلِ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ وَلۡيَتَّقِ ٱللَّهَ رَبَّهُۥ وَلَا يَبۡخَسۡ مِنۡهُ شَيۡـٔٗاۚ فَإِن كَانَ ٱلَّذِي عَلَيۡهِ ٱلۡحَقُّ سَفِيهًا أَوۡ ضَعِيفًا أَوۡ لَا يَسۡتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلۡيُمۡلِلۡ وَلِيُّهُۥ بِٱلۡعَدۡلِۚ وَٱسۡتَشۡهِدُواْ شَهِيدَيۡنِ مِن رِّجَالِكُمۡۖ فَإِن لَّمۡ يَكُونَا رَجُلَيۡنِ فَرَجُلٞ وَٱمۡرَأَتَانِ مِمَّن تَرۡضَوۡنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحۡدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحۡدَىٰهُمَا ٱلۡأُخۡرَىٰۚ وَلَا يَأۡبَ ٱلشُّهَدَآءُ إِذَا مَا دُعُواْۚ وَلَا تَسۡـَٔمُوٓاْ أَن تَكۡتُبُوهُ صَغِيرًا أَوۡ كَبِيرًا إِلَىٰٓ أَجَلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ وَأَقۡوَمُ لِلشَّهَٰدَةِ وَأَدۡنَىٰٓ أَلَّا تَرۡتَابُوٓاْ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً حَاضِرَةٗ تُدِيرُونَهَا بَيۡنَكُمۡ فَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَلَّا تَكۡتُبُوهَاۗ وَأَشۡهِدُوٓاْ إِذَا تَبَايَعۡتُمۡۚ وَلَا يُضَآرَّ كَاتِبٞ وَلَا شَهِيدٞۚ وَإِن تَفۡعَلُواْ فَإِنَّهُۥ فُسُوقُۢ بِكُمۡۗ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱللَّهُۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((لما اهتم القرآن بنظام أحوال المسلمين في أموالهم، فابتدأ بما به قوام عامتهم من مواساة الفقير وإغاثة الملهوف، ووضح ذلك بما فيه عبرة للمعتبر، ثم عطف عليه التحذير من مضايقة المحتاجين إلى المواساة مضايقة الربا مع ما في تلك المعاملات من المفاسد، ثلّث ببيان التوثّقات المالية من الإشهاد، وما يقوم مقامه وهو الرهن والائتمان))[2].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أ م متفقون في المعنى.

- قال الرازي: ((اعلم أن في الآية مسائل: المسألة الأولى: أن في كيفية النظم وجهين.

---

(١) الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٢) التحرير والتنوير (٩٧/٣).

الأول: أن الله سبحانه لما ذكر قبل هذا الحكم نوعين من الحكم أحدهما: الإنفاق في سبيل الله وهو يوجب تنقيص المال، والثاني: ترك الربا، وهو أيضا سبب لتنقيص المال، ثم إنه تعالى ختم ذينك الحكمين بالتهديد العظيم فقال: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمًا تُرۡجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾[1]، والتقوى تسد على الإنسان أكثر أبواب المكاسب والمنافع؛ أتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال، وصونه عن الفساد والبوار...

والوجه الثاني: أن قوما من المفسرين قالوا: المراد بالمداينة السلَم[2]، فالله سبحانه وتعالى لما منع الربا في الآية المتقدمة؛ أذنَ في السلَم في جميع هذه الآية، مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلَم، ولهذا قال بعض العلماء: لا لذة ولا منفعة يوصل إليها بالطريق الحرام إلا وضعه الله سبحانه وتعالى لتحصيل مثل ذلك اللذة طريقًا حلالا، وسبيلا مشروعا، فهذا ما يتعلق بوجه النظم))[3].

- قال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما أمر بالنفقة في سبيل الله، وبترك الربا، وكلاهما يحصل به تنقيص المال؛ نبه على طريق حلال في تنمية المال وزيادته، وأكد في كيفية حفظه))[4].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((في كيفية النظم وجهان:

الأول: أنه تعالى لما ذكر الإنفاق في سبيل الله، وهو يوجب تنقيص المال، وذكر الربا، وهو أيضا سبب تنقيص المال، وختم هذين الحكمين بالتهديد بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ

---

(١) من الآية (٢٨١) من سورة البقرة.

(٢) السلَم بفتحتين على وزن السلَف: وهو أن يسلم عوضا حاضرا في عضو موصوف في الذمة إلى أجل. ينظر: المغني، عبد الله بن أحمد بن قدامة (٣٣٨/٤). وقال جمع من المفسرين بأن المداينة هنا يراد ا السلَم، منهم: ابن جرير الطبري في جامع البيان (٤٣/٦)؛ والقرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٤٢٣/٤)؛ وابن كثير في تفسير القرآن العظيم (٧٢٢/١)؛ والشوكاني في فتح القدير (٥١٢/١).

(٣) مفاتيح الغيب (١٠٧/٧).

(٤) البحر المحيط (٧٢٢/٢).

يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ ﴾، والتقوى تسد على الإنسان أكثر أبواب المكاسب والمنافع؛ أتبع ذلك بأن ندبه إلى كيفية حفظ المال الحلال، وصونه عن الفساد)).

الوجه الثاني: قال بعض المفسرين: إن المراد ـذه المداينة: السلَم، فإن الله تبارك وتعالى لما منع من الربا في الآية المتقدمة؛ أذن في السلم في هذه الآية، مع أن جميع المنافع المطلوبة من الربا حاصلة في السلَم))[1].

- وقال البقاعي: ((ولما ـى سبحانه وتعالى عن الربا، وكان أحد مداينا ـم، وكان غيره من الدين مأذونا، فيه وهو من أنواع الإنفاق، مع دخوله في المطالبة برؤوس الأموال؛ عقب ذلك بآية الدين.

وأيضا فإنه سبحانه وتعالى لما ذكر في المال أمرين ينقصانه ظاهرا، ويزكيانه باطنا، الصدقة وترك الربا، وأذن في رؤوس الأموال، وأمر بالإنظار في الإعسار، وختم بالتهديد، فكان ذلك ربما أطمع المدين في شيء من الدين ولو بدعوى الإعسار؛ اقتضى حال الإنسان لما له من النقصان الإرشاد إلى حفظ المال الحلال، وصونه عن الفساد، والتنبيه على كيفية التوثق فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾[2]))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي الانتقال من أحوال المعاملات الربوية التي ظاهرها زيادة المال إلى بيان كيفية حفظ المال الحلال من خلال التوثقات المالية المتمثلة في الإشهاد، وما يقوم مقامه من الرهن والائتمان.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على مشروعية الدين لقضاء حوائج المسلمين، وكذلك مشروعية توثيق ذلك بالكتابة والإشهاد، أو بالرهن والائتمان، حفاظًا على الحقوق لدى الغير.

---

(١) اللباب (٤/٤٧٥).

(٢) من الآية (٢٨٢) من سورة البقرة.

(٣) نظم الدرر (١/٥٤٥).

الفصل الثالث

سورة آل عمران

وفيه ثلاثة مباحث:

- المبحث الأول: وجه تسميتها.
- المبحث الثاني: أغراضها.
- المبحث الثالث: تناسب آيا ا، وأثره.

المبحث الأول: وجه تسميتها

ذكر الطاهر -رحمه الله- وجه تسمية سورة آل عمران ذا الاسم، حيث قال: ((ووجه تسميتها بسورة آل عمران أ ا ذُكرت فيها فضائل آل عمران، وهو عمران بن ماتان أبو مريم، وآله هم زوجه حنة، وأختها زوجة زكرياء النبيء، وزكرياء كافل مريم، إذ كان أبوها عمران، توفي وتركها حملا، فكفلها زوج خالتها))[١].

ويؤيد هذا القول أن أغلب السور قد سميت بأهم وأغرب ما ورد فيها، وأغرب ما ورد في سورة آل عمران، وما عنت بتفصيله هو قصة عيسى عليه السلام وأمه، وهما من آل عمران.

---

(١) التحرير والتنوير (١٤٣/٤).

المبحث الثاني: أغراضها

اشتملت هذه السورة الكريمة على أغراض متعددة ومتنوعة، انطوت عليها آيا ا من مبتداها إلى منتهاها، وكل غرض منها يعالج قضية مهمة من قضايا الأمة، وتمثلت تلك الأغراض في الآتي:

- التنويه بالقرآن ومحمد ﷺ، وتقسيم آيات القرآن، ومراتب الأفهام في تلقيها.
- التنويه بفضيلة الإسلام، وأنه لا يعدله دين، وأنه لا يقبلُ دين عند الله بعد ظهور الإسلام غير الإسلام.
- التنويه بالتوراة والإنجيل، والإيماء إلى أ ما أُنزلا قبل القرآن تمهيدا لهذا الدين، فلا يحق للناس أن يكفروا به.
- التعريف بدلائل إلهية الله تعالى وانفراده، وإبطال ضلالة الذين اتخذوا آلهة من دون الله، و ديد المشركين بأن أمرهم إلى زوال، وألا يغرهم ما هم فيه من البذخ، وأن ما أُعد للمؤمنين خير من ذلك، و ديدهم بزوال سلطا م.
- الثناء على عيسى عليه السلام، وآل بيته، وذكْر معجزة ظهوره، وأنه مخلوق لله، وذكْر الذين آمنوا به حقا، وإبطال إلهيته عليه السلام.
- الإفضاء إلى قضية وفد نجران ولَجاجتهم.
- محاجة أهل الكتابين في حقيقة الحَنفية، وأ م بعداء عنها.
- أخذ الله تعالى العهد على الرسل عليهم الصلاة والسلام كلهم أن يؤمنوا بالرسول الخاتم ﷺ.
- جعل الكعبة أولَ بيت وضع للناس، وقد أعاد إليه الدين الحنيف كما ابتدأه فيه، وأوجب حجه على المؤمنين.
- إظهار ضلالات اليهود، وسوء مقالتهم، وافترائهم في دينهم، وكتما م ما أُنزل إليهم.

▪ تذكير المسلمين بنعمة الله تعالى عليهم بدين الإسلام، وأمرهم بالاتحاد والوفاق، وتذكيرهم بسابق سوء حالهم في الجاهلية.

▪ وين تظاهر معانديهم من أهل الكتاب والمشركين، وتذكيرهم بالحذر من كيدهم، وكيد الذين أظهروا الإسلام ثم عادوا إلى الكفر.

▪ أمرهم بالاعتزاز بأنفسهم، والصبر على تلَقي الشدائد والبلاء وأذى العدو، ووعدهم على ذلك بالنصر والتأييد، وإلقاء الرعبِ منهم في نفوسِ عدوهم.

▪ تذكيرهم بيوم أُحد(١)، ويومِ بدرٍ، وضربِ الأمثال لهم بما حصل فيهما، والتنويه بشأن الشهداء من المسلمين.

▪ أمر المسلمين بفضائل الأعمال، من بذل المال في مواساة الأمة، والإحسان، وفضائل الأعمال، وترك البخل، ومذَمة الربا.

▪ وأخيرا ختمت السورة بآيات التفكير في ملكوت الله(٢).

---

(١) يوم أُحد: معركة شهيرة، وقعت في شوال من السنة الثالثة للهجرة بين المسلمين والمشركين، ابتلي فيها المسلمون بلاءً شديدا. وأُحد هو الجبل الذي وقعت عنده غزوة أُحد، يقع شمال المدينة النبوية، ويبعد عنها نحو ميل. ينظر: عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، محمد بن سيد الناس (٥/٢)؛ السيرة النبوية لابن كثير (١٨/٣)؛ معجم البلدان (١١٠/١).

(٢) ينظر: التحرير والتنوير (١٤٤/٣).

المبحث الثالث: المناسبات في آيا ا، وأثرها.

٨٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿الٓمٓ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((لما كان أول أغراض هذه السورة، الذي نزلت فيه هو قضية مجادلة نصارى نجران حين وفدوا إلى المدينة، وبيان فضل الإسلام على النصرانية؛ لا جرم افتتحت بحروف التهجي، المرموز ا إلى تحدي المكذّبين ذا الكتاب))[(٢)].

وهذا ربطٌ لافتتاحية السورة بغرضٍ من أغراضها، وهذا ما فات على كثير من المفسرين بيانه -في حدود اطلاعي- وهو ربطٌ مهم تظهر به السورة متماسكة ومترابطة من أولها إلى آخرها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن افتتاح السور بالحروف المقطعة لا يخرج عن غرض التحدي للمكذبين بالقرآن الكريم، ولكنه يختلف في مناسبة التحدي لموقف ما.

فافتتاح سورة البقرة بالحروف المقطعة كان تحديا عاما لكل مكذبٍ للقرآن، بينما هنا جاء التحدي موجها بالدرجة الأولى إلى وفد نجران الذين نزلت الآيات في شأ م، ثم إلى بقية المكذبين من مشركي العرب، ثم اليهود.

---

(١) الآية (١) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٤٦/٣).

٨٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((تفصيل لإجمال اقتضاه الكلام السابق؛ لأنه لما قسم الكتاب إلى محكم ومتشابه، وكان ذلك التقسيم باعتبار دلالة الألفاظ على المعاني؛ تشوفت النفس إلى معرفة تلقّي الناس للمتشابه، أما المحكم فتلقّي الناس له على طريقة واحدة، فلا حاجة إلى تفصيل فيه))[٢].

وقد وافق الطاهر الرازي في بيان مناسبة هذه الآية لما قبلها، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن الكتاب ينقسم إلى قسمين، منه محكم، ومنه متشابه؛ بين أن أهل الزيغ لا يتمسكون إلا بالمتشابه))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما أجمل أقسام الكتاب في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞ﴾[٤]، بين بعده موقف الناس من المتشابه، فهو تفصيلٌ لما أُجمل.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح موقف أهل الزيغ والضلال من الآيات المتشا ات، وغرضهم المتمثل في إرادة الفتنة بتأويل تلك الآيات بغير ما أراده الله تعالى.

(١) من الآية (٧) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٦١/٣).

(٣) مفاتيح الغيب (١٧٣/٧).

(٤) من الآية (٧) من سورة آل عمران.

٨٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف وتمهيد لقوله: ﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾(٢)، ذلك أنّ أساس الإسلام هو توحيد الله، وإعلان هذا التوحيد، وتخليصه من شوائب الإشراك، وفيه تعريض بالمشركين وبالنصارى واليهود، وإن تفاوتوا في مراتب الإشراك، وفيه ضرب من رد العجز على الصدر، لأنه يؤكد ما افتتحت به السورة من قوله: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ۝٢ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾(٣)))(٤).

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما مدح المؤمنين وأثنى عليهم بقوله ﴿ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا ﴾(٥)؛ أردفه بأن بين أن دلائل الإيمان ظاهرة جلية، فقال: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ ﴾))(٦).

- وقال البقاعي: ((ولما أخبر سبحانه وتعالى بوحدانيته في أول السورة واستدل عليها، وأخبر عما أُعد للكافرين، واستدل عليه بما دل على الوحدانية، وختم بالإخبار بما أعد للمتقين، مما جر إلى ذكره تعالى، بما يقتضي الوحدانية أيضا من الأوصاف المبنية على الإيمان؛ أنتج ذلك ثبو ا ثبوتا لا ِمرية فيه، فكرر تعالى هذه النتيجة على وجه أضخم من الماضي كما اقتضته الأدلة))(٧).

---

(١) الآية (١٨) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١٩) من سورة آل عمران.
(٣) الآيتان (٣،٢) من سورة آل عمران.
(٤) التحرير والتنوير (١٨٦/٣).
(٥) من الآية (١٦) من سورة آل عمران.
(٦) مفاتيح الغيب (٢٠٣/٧).
(٧) نظم الدرر (٤١/٢).

ومن هذا النقل يتبين أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية، إلا أن ما ذكره الطاهر ووافقه فيه البقاعي هو الأنسب، وذلك لربط الآية بما قبلها، وبما بعدها، فربطها بما قبلها تمثل في الرجوع إلى ما افتتحت به السورة من إثبات وحدانية الله تعالى، وربطها بما بعدها تمثل في كو ا تمهيدا لإعلان تمثل في أن الإسلام هو الدين المعتبر عند الله تعالى. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على أهمية التوحيد، ولأهميته جاءت الإشارة إليه، والتنويه به في مواضع مختلفة من هذه السورة الكريمة، سواء من خلال الدعوة إليه، أو بيان ما يدل عليه، ذلك أنه أساس قبول الأعمال، وبدونه تصبح الأعمال هباءً منثورا.

٨٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((استئناف ابتدائي لبيان فضيلة هذا الدين بأجمع عبارة وأوجزها، وهذا شروع في أول غرض أنزلت فيه هذه السورة، غرض محاجة نصارى نجران، فهذا الاستئناف من مناسبات افتتاح السورة بذكر تنـزيل القرآن والتوراة والإنجيل، ثم بتخصيص القرآن بالذكر، وتفضيله بأنّ هديه يفوق هدي ما قبله من الكتب، إذ هو الفرقان، فإنّ ذلك أُس الدين القويم، ولما كان الكلام المتقدم مشتملا على تعريض باليهود والنصارى الذين كذبوا بالقرآن، وإبطالٍ لقول وفد نجران لما طلب منهم الرسول ﷺ الإسلام: ((أسلَمنا قبلَك))، فقال لهم: {كَذَبتم}[٢]...؛ ناسب أن ينوه بعد ذلك بالإسلام الذي جاء به القرآن، ولذلك عطف على هذه الجملة قوله: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾[٣]))[٤].

وقال أبو حيان: ((ولما شهد تعالى لنفسه بالوحدانية، وشهد له بذلك الملائكة وأولو العلم؛ حكم أن الدين المقبول عند الله هو الإسلام، فلا ينبغي لأحد أن يعدل عنه))[٥].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن الآية استئناف ابتدائي لبيان فضيلة الإسلام، وشروع في غرض مهم من أغراض السورة، والمتمثل في محاجة نصارى نجران.

---

(١) من الآية (١٩) من سورة آل عمران.

(٢) أخرج هذه الرواية ابن هشام في السيرة النبوية (١٦٤/٢)، ولم يسنِدها.

(٣) من الآية (١٩) من سورة آل عمران.

(٤) التحرير والتنوير (١٨٨/٣).

(٥) البحر المحيط (٦٩/٣).

أما أبو حيان فيرى أن الآية مرتبطة بقوله تعالى: ﴿ شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾[1]، وأ ا جاءت بمثابة الحكم بأن الإسلام هو الدين المقبول عند الله بعد أن مهد له ذه الآية.

وهذا أنسب الأقوال في بيان هذه المناسبة. والله تعالى أعلم.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ربط الآيات بأغراض السورة أمر مطلوب، كونه يبرز تماسك الآيات والتئامها مع بعضها، ثم ارتباطها بالأغراض العامة للسورة، وهذا ما يجعلها متماسكة الأطراف، متعاضدة المعاني.

---

(١) الآية (١٨) من سورة آل عمران.

٨٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُوا۟ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف عقب به الآي المتقدمة، المتضمنة عداء المشركين للإسلام وأهله، وحسد اليهود لهم، وتولّيهم عنه، من قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ﴾[2]إلى هنا، فالمناسبة أنّ هذه كالنتيجة لما تقدمها))[3].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:

- قال الرازي: ((في كيفية النظم وجهان: **الأول:** أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم الله تعالى، ثم ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس، لأن كمال الأمر ليس إلا في شيئين: التعظيم لأمر الله تعالى، والشفقة على خلق الله؛ قال: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، **الثاني:** لما بين أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة؛ بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده، وعند أوليائه دون أعدائه))[4].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها، أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه من تعظيم الله تعالى، والثناء عليه بالأفعال التي يختص ا؛ ذكر ما يجب على المؤمن من معاملة الخلق، وكانت الآيات السابقة في الكفار فنهوا عن موالا م، وأمروا بالرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه، إذ هو تعالى مالك الملك))[5].

(١) الآية (٢٨) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١٠) من سورة آل عمران.
(٣) التحرير والتنوير (٢١٥/٣).
(٤) مفاتيح الغيب (١٠/٨).
(٥) البحر المحيط (٩٢/٣).

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((في كيفية النظم وجهان: **أحدهما:** أنه تعالى لما ذكر ما يجب أن يكون المؤمن عليه في تعظيم اللهِ تعالى؛ ذكر بعده ما يجب أن يكون المؤمن عليه في المعاملة مع الناس، فقال : ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[1].

والثاني: أنه لما بين أنه تعالى مالك الدنيا والآخرة، بين أنه ينبغي أن تكون الرغبة فيما عنده وعند أوليائه دون أعدائه))[2].

- وقال البقاعي: ((ولما بان ـذه الآية أن لا شيء في يد غيره، واقتضى ذلك قصر الهمم عليه، وكان نصارى نجران إنما داموا على موالاة ملوك الروم لمحض الدنيا، مع العلم ببطلان ما هم عليه؛ حذر المؤمنين من مداناة مثل ذلك، مع كو ـم مؤمنين...إشارة إلى أنه لا تجتمع موالاة المؤمنين، وموالاة الكافرين في قلب إلا أوشكت إحداهما أن تغلب على الأخرى فتنــزعها، فقال تعالى منبها على ذلك كله، سائقًا مساق النتيجة لما قبله: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَـٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ﴾))[3].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي التحذير من موالاة الكافرين بعد أن مهد لذلك في الآيات السالفة، وهذا القول لا يختلف عن قول البقاعي.

أما الرازي وأبو حيان وابن عادل الحنبلي فاتفقوا أن تعلق الآية بما قبلها من وجهين: **الأول:** توضيح كيفية المعاملة مع الخلق بعد أن بينت كيفية المعاملة مع الخالق، **والثاني:** التحذير من موالاة أعداء الله تعالى.

ويتبين أن ما ذهب إليه الطاهر والبقاعي موافق لما ذكره الباقون في الوجه الثاني، وهذا القول أولى من الوجه الأول، ويؤيد هذا القول سياق الآيات، فقد تحدثت الآيات السابقة عن ملكوت الله تعالى، ومظاهر قدرته في هذا الكون، فاستحق سبحانه

---

(١) من الآية (٢٨) من سورة آل عمران.
(٢) اللباب (١٤٢/٥).
(٣) نظم الدرر (٥٧/٢).

بذلك موالاة المؤمنين له دون غيره، لا أن يوالوا أعداءه، فجاء التحذير من الوقوع في موالاة الكافرين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من متطلبات الإيمان بالله تعالى، عدم موالاة الكافرين، لأن ذلك يتناقض مع الإيمان، إلا أن يكون المؤمنون في ضعف فلهم أن يداروا الكفار خشيةً من مكرهم وضررهم، على أن لا تستمر تلك المداراة فترة طويلة.

كما أن هناك دلالة على أن الله نهى المؤمنين عن موالاة الكفار بعد ما بين لهم بغي المخالفين وإعراضهم، لأنّ اتخاذهم أولياء بعد أنْ سفهوا الإسلام، وسفهوا أحلام المسلمين في اتباع هذا الدين العظيم يعد ضعفًا في الدين، وتصويبا للمعتدين.

٩٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((انتقال إلى الترغيب بعد الترهيب على عادة القرآن، والمناسبةُ أنّ الترهيب المتقدم ختم بقوله: ﴿وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[٢]، والرأفة تستلزم محبة المرؤوف به الرؤوف))[٣].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما دعا القوم إلى الإيمان به، والإيمان برسله على سبيل التهديد والوعيد؛ دعاهم إلى ذلك من طريق آخر))[٤].

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي، حيث قال: ((اعلم أنه تعالى لما دعاهم إلى الإيمان به وبرسوله على سبيل التهديد والوعيد؛ دعاهم إلى ذلك بطريق آخر))[٥].

- وقال البقاعي: ((ولما قطّمهم سبحانه وتعالى عن موالاة الكفار ظاهرا وباطنا، بما اقتضى القصر على موالاة أهل الله، لنفيه من تولى الكفر عن أن يكون في شيء من الله، وكان الإنسان ربما والى الكافر وهو يدعي محبة الله سبحانه وتعالى، وختم برأفته سبحانه وتعالى بعباده، وكانت الرأفة قد تكون عن المحبة الموجبة للقرب، فكان الإخبار ا ربما دعا إلى الاتكال، ووقع لأجله الاشتباه في الحزبين؛ جعل لذلك سبحانه وتعالى علامة فقال: ﴿قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ﴾))[٦].

---

(١) الآية (٣١) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (٣٠) من سورة آل عمران.
(٣) التحرير والتنوير (٢٢٤/٣).
(٤) مفاتيح الغيب (١٧/٨).
(٥) اللباب (١٥٧/٥).
(٦) نظم الدرر (٦١/٢).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما هدد وتوعد في الآية التي قبلها، وهي قوله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾[1]، ناسب أن يعقب هذا الترهيب بالترغيب، تنويعا في الأسلوب، ولأن الرأفة تستلزم المحبة.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن من علامات ودلالات محبة الله تعالى اتباع رسوله ﷺ، لأن من آثار المحبة التقرب إلى المحبوب، والاتصال به، وعدم مفارقته، ومحبة ما يسره ويرضيه، واجتناب ما يغضبه، وبذلك تتضح مدى رحمة الله تعالى بأمته، حين دلهم على ما يوصل إلى محبته، لتكون سببا في حبه إياهم، وغفران ذنو م.

---

(١) من الآية (٣٠) من سورة آل عمران.

٩١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مَنْ إِن تَأْمَنْهُ بِقِنطَارٍ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِن تَأْمَنْهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيْكَ إِلَّا مَا دُمْتَ عَلَيْهِ قَآئِمًا ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَيْسَ عَلَيْنَا فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((عطف على قوله: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ﴾(٢)، أو على قوله: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ لَوْ يُضِلُّونَكُمْ﴾(٣)، عطف القصة على القصة، والمناسبة بيان دخائل أحوال اليهود في معاملة المسلمين، الناشئة عن حسدهم، وفي انحرافهم عن ملة إبراهيم، مع ادعائهم أ م أولى الناس به، فقد حكى في هذه الآية خيانة فريق منهم))(٤).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن تعلق هذه الآية بما قبلها من وجهين: **الأول:** أنه تعالى حكى عنهم في الآية المتقدمة أ م ادعوا أ م أوتوا من المناصب الدينية، ما لم يؤت أحد غيرهم مثله، ثم إنه تعالى بين أن الخيانة مستقبحة عند جميع أرباب الأديان، وهم مصرون عليها؛ فدل هذا على كذ م.

والثاني: أنه تعالى لما حكى عنهم في الآية المتقدمة قبائح أحوالهم فيما يتعلق بالأديان، وهو أ م قالوا: ﴿وَلَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمْ﴾(٥)؛ حكى في هذه الآية بعض قبائح أحوالهم فيما يتعلق بمعاملة الناس، وهو إصرارهم على الخيانة والظلم، وأخذ أموال الناس في القليل والكثير)) (٦).

---

(١) الآية (٧٥) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (٧٢) من سورة آل عمران.

(٣) من الآية (٦٩) من سورة آل عمران.

(٤) التحرير والتنوير (٢٨٥/٣).

(٥) من الآية (٧٣) من سورة آل عمران.

(٦) مفاتيح الغيب (١٠٠/٨).

- وقال ابن عادل الحنبلي بنحو ما قاله الرازي في الوجه الثاني، حيث قال: ((لما حكى خيانتهم في باب الدين؛ ذكرها أيضا في الأموال)) [١].

- وقال البقاعي: ((فلما تقرر أن الأمر كله له؛ ذكر دليل ذلك فيهم، بأنه فضل فريقًا منهم فأعلاه، ورذل فريقًا منهم فأرداه، فلم يردهم الكتاب وهم يتلونه إلى الصواب، فقال عاطفًا على ما مضى من مخازيهم، مقررا لكتما م للحق -مع علمهم بأنه الحق- بأن الخيانة ديد م، في الأعيان الدنيوية، والمعاني الدينية، منبها على أ م وإن شاركوا الناس في انقسامهم إلى أمين وخائن، فهم يفارقو م من حيث إن خائنهم يتدين بخيانته ويسندها -مروقًا من ربقة الحياء- إلى الله، مادحا للأمين منهم: ﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٢]))[٣].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين إصرارهم على ارتكاب القبائح في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٤]، وفي قوله تعالى: ﴿وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ﴾[٥]، بين مدى إصرار فريق منهم على الكذب والخيانة، وعدم تورعهم من ذلك.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على التحذير من التعاملات المالية مع اليهود، كو م غير مأموني الجانب، وإن كان صدر الآية قد أثنى على فريق منهم بأمانتهم إلا أن الآية بينت بعد ذلك خيانة فريق آخر منهم، والذي يدل على أن الآية يراد ا التحذير وليس الثناء هي الآيات التي سبقت هذه الآية، والتي ورد فيها ذكر قبائح وفظائع اليهود، بل وتمنيهم أن يرتد المسلمون عن دينهم.

---

(١) اللباب (٣٢٩/٥).
(٢) من الآية (٧٥) من سورة آل عمران.
(٣) نظم الدرر (١١٤/٢).
(٤) من الآية (٧٢) من سورة آل عمران.
(٥) من الآية (٦٩) من سورة آل عمران.

٩٢- المناسبة في قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُوا۟ رَبَّٰنِيِّۦنَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ ٱلْكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((اعتراض واستطراد، فإنه لما ذكر لّي اليهود ألسنتهم بالتوراة، وهو ضرب من التحريف؛ استطرد بذكر التحريف الذي عند النصارى لمناسبة التشابه في التحريف))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن عادة علماء أهل الكتاب التحريف والتبديل؛ أتبعه بما يدل على أن من جملة ما حرفوه ما زعموا أن عيسى عليه السلام كان يدعي الإلهية، وأنه كان يأمر قومه بعبادته))[(٣)].

وقال البقاعي: ((ولما فرغ من بيان ما أراد من كتما م للحق، مع الإشارة إلى بعض توابعه، إلى أن ختم بأ م لا يتحاشون من الكذب على الله، المقتضي للكذب على الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، لأ م لا علم لهم بقول الله سبحانه وتعالى إلا بواسطة الأنبياء عليهم السلام، ومهما كان القول كذبا على الله سبحانه وتعالى اقتضى أن يكون تعبدا للمنسوب إليه من دون الله سبحانه وتعالى لأنه هو الذي شرعه، وذلك موجب لأن يدعي أن النبي دعا إليه عبادته من دون الله سبحانه وتعالى، وذلك بعد أن أوضح سبحانه وتعالى من صفات عيسى عليه الصلاة والسلام المقتضية لنفي الإلهية عنه ما لا يخفى على ذي لب؛ شرع يبين أ م كاذبون فيما يدعونه في عيسى عليه الصلاة والسلام، فنفى أن يكون قال لهم ذلك أو شيئًا منه على وجه شامل له

---

(١) الآيتان (٧٩،٨٠) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٢٩٣/٣).

(٣) مفاتيح الغيب (١٠٩/٨).

ولكل من اتصف بصفته، وبسياق هو بمجرده كاف في إبطال قولهم فقال: ﴿مَا كَانَ﴾[1]))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين ما ارتكبه اليهود من تحريف للتوراة، ونفى أن يكون ذلك التحريف من عنده تعالى كما زعم اليهود؛ أتبعه بنفيٍ آخر لتحريف آخر من نوعٍ آخر، وهو ما قام به النصارى من تأليه لنبي الله عيسى عليه السلام، إلا أن هذا التحريف كان تحريفًا عقديا بحتا.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن كثيرا من شرائع اليهودية، والنصرانية قد حرفت، وبدلت، وأن الإسلام هو الدين الصحيح الذي لم يدخله التحريف ولا التبديل، وأنه الدين الذي نسخ ما قبله من الأديان، ويقوي هذا الأثر المعنوي ما جاء بعد هذه الآيات في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾[3].

---

(١) من الآية (٧٩) من سورة آل عمران.

(٢) نظم الدرر (١١٧/٢).

(٣) الآيات (٨١-٨٣) من سورة آل عمران.

٩٣- المناسبة في قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلۡبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٞ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ومناسبة موقع هذه الآية تلْو سابقتها أنّ الآية السابقة لمّا بينت أنّ الّذين كفروا لن يقبل من أحدهم أعظم ما ينفقه؛ بينت هذه الآية ما ينفع أهل الإيمان من بذل المال، وأنه يبلغ بصاحبه إلى مرتبة البر، فبين الطرفين مراتب كثيرة قد علمها الفطناء من هذه المقابلة))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن الإنفاق لا ينفع الكافر البتة؛ علم المؤمنين كيفية الإنفاق الذي ينتفعون به في الآخرة))[(٣)].

- وقال أبو حيان: ((مناسبة هذه الآية لما قبلها هو أنه لما أخبر عمن مات كافرا أنه لا يقبل ما أنفق في الدنيا، أو ما أحضره لتخليص نفسه في الآخرة على الاختلاف الذي سبق؛ حض المؤمن على الصدقة، وبين أنه لن يدرك البر حتى ينفق مما يحب))[(٤)].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((لما بين أن نفقتهم لا تنفع؛ ذكَر هنا ما ينفع))[(٥)].

- وقال البقاعي: ((ولما كان آخر هذه القصص في الحقيقة إبطال كل ما خالف الإسلام...وختم ذلك بأن من مات على الكفر لا يقبل إنفاقه للإنقاذ مما يلحقه من الشدائد، لا بدفع لقاهر ولا بتقوية لناصر، فتشوفت النفس إلى الوقت الذي يفيد فيه الإنفاق، وأي وجوهه أنفع، فأرشد إلى ذلك، وإلى أن الأحب منه أجدر بالقبول،

---

(١) الآية (٩٢) من سورة آل عمران.
(٢) التحرير والتنوير (٥/٤).
(٣) مفاتيح الغيب (١٣٣/٨).
(٤) البحر المحيط (٢٦٠/٣).
(٥) اللباب (٣٨٦/٥).

رجوعا إلى ما قرره سبحانه وتعالى قبل آية الشهادة بالوحدانية من صفة عباده المنفقين، والمستغفرين بالأسحار، على وجه أبلغ بقوله: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ﴾[١]))[٢].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين عدم قبول ما ينفقه الكافر إذا مات على كفره، ولو كان من أعظم الأموال وأنفسها، وأن ذلك الإنفاق لا ينفع الكافر أصلا؛ عقب بذكر من ينفعه الإنفاق، وهم المؤمنون.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الأساس في قبول الأعمال عند الله هو الإسلام، وأن العمل مهما كان كثيرا، ومهما كان عظيما فإن الله لا يقبله من غير المسلم، وبالمقابل فإن المؤمن إذا عمل عملا صالحا، وأخلص فيه النية لله تعالى، فإن الله يجازيه خيرا على ذلك العمل مهما كان يسيرا، وما يقوي هذا الاستنتاج هو قوله تعالى مخاطبا المؤمنين: ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٣]، بينما تحدث تعالى عن إنفاق الكفار بقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾[٤].

---

(١) من الآية (٩٢) من سورة آل عمران.
(٢) نظم الدرر (١٢٥/٢).
(٣) من الآية (٩٢) من سورة آل عمران.
(٤) الآية (٩١) من سورة آل عمران.

٩٤- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾ إِذْ هَمَّت طَّائِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((ومناسبة ذكر هذه الوقعة عقب ما تقدم أنها من أوضح مظاهر كيد المخالفين في الدين، المنافقين، ولما كان شأن المنافقين من اليهود وأهل يثرب واحدا، ودخيلتهما سواء، وكانوا يعملون على ما تدبره اليهود؛ جمع الله مكائد الفريقين بذكر غزوة أحد))[(٢)].

<u>أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآية:</u>

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما قال: ﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾[(٣)]؛ أتبعه بما يدلهم على سنة الله تعالى فيهم في باب النصرة والمعونة، ودفع مضار العدو إذا هم صبروا واتقوا، وخلاف ذلك فيهم إذا لم يصبروا فقال: ﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ﴾))[(٤)].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما نهاهم عن اتخاذ بطانة من الكفار، ووعدهم أنهم إنْ صبروا واتقوا فلا يضركم كيدهم؛ ذكرهم بحالة اتفق فيها بعض طواعية، واتباع لبعض المنافقين، وهو ما جرى يوم أُحد لعبد الله بن أبي بن سلول[(٥)] حين

(١) الآيتان (١٢١،١٢٢) من سورة آل عمران.
(٢) التحرير والتنوير (٤/٦٩).
(٣) من الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.
(٤) مفاتيح الغيب (٨/٢٠٤).
(٥) عبد الله بن أُبي بن سلول، رأس المنافقين، وفيه نزلت سورة المنافقين بأسرها، وكان قد تمرد في غزوة أحد، فانسحب بنحو ثلث العسكر -ثلاثمائة مقاتل- قائلا: ما ندري علام نقتل أنفسنا؟ ومتظاهرا بالاحتجاج بأن الرسول ﷺ ترك رأيه وأطاع غيره. ينظر: السيرة النبوية لابن كثير (٣/٢٥)؛ عيون الأثر (٢/٥).

انخذل عن رسول الله ﷺ، واتبعه في الانخذال ثلاثمائة رجل من المنافقين، وغيرهم من المؤمنين))[١].

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة في ذكر غزوة أحد في هذا الموضع أ ا من أوضح مظاهر اشتراك المنافقين واليهود في الكيد للمسلمين.

أما الرازي فيرى أن المناسبة هي بيان سبب الهزيمة، وأ ا نتيجة حتمية للتخلي عن الصبر والتقوى الذي أمر الله تعالى بالتمسك ما في قوله تعالى: ﴿وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔا﴾[٢].

وأما أبو حيان فيرى أن المناسبة هي التذكير بما قام به بعض المؤمنين من اتباع المنافقين يوم أُحد، وفي ذلك وقوع فيما حذرهم الله تعالى منه في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾[٣].

والذي يظهر أن جميع ما ذكر يصلح أن يكون مناسبة للآية من وجوه متعددة، إلا أن قول الطاهر هو الأنسب، كون الآيات السابقة جاء فيها تحذير شديد من اليهود، وذلك في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمۡ لَا يَأۡلُونَكُمۡ خَبَالًا وَدُّواْ مَا عَنِتُّمۡ قَدۡ بَدَتِ ٱلۡبَغۡضَآءُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَمَا تُخۡفِي صُدُورُهُمۡ أَكۡبَرُ﴾ الآيات، ثم جاء ذكر غزوة أُحد التي حدثت فيها مؤامرة كبرى ضد المسلمين بقيادة رأس النفاق، عبد الله بن أبي بن سلول، وبذكر هذه الغزوة تكتمل صورة الحلْف القائم بين اليهود، وبين المنافقين المشار إلى كيدهم في هذه الغزوة.

---

(١) البحر المحيط (٣/٣٢٥).

(٢) من الآية (١٢٠) من سورة آل عمران.

(٣) من الآية (١١٨) من سورة آل عمران.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن المسلمين عانوا من معضلة كبيرة، تمثلت في تكامل استراتيجي بين المنافقين واليهود، فاليهود يخططون، والمنافقون ينفذون، ولذلك كان القرآن أحيانا يلف المنافقين واليهود لفا في موضع واحد للتحذير منهم.

٩٥- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَن يَكْفِيَكُمْ أَن يُمِدَّكُمْ رَبُّكُم بِثَلَٰثَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُنزَلِينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَىٰٓ ۚ إِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ وَيَأْتُوكُم مِّن فَوْرِهِمْ هَٰذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ ءَالَٰفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُسَوِّمِينَ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآيات الكريمة لما قبلها فقال: ((إذ قد كانت وقعة أُحد لم تنكشف عن نصر المسلمين، عقب الله ذكرها بأن ذكرهم الله تعالى نصره إياهم النصر الذي قدره لهم يوم بدر...فإنه لمّا ذكّرهم بتلك المنة العظيمة؛ ذكّرهم بأنها سبب للشكر فأمرهم بالشكر بملازمة التقوى تأدبا))[٢].

أقوال المفسرين في مناسبة هذه الآيات:

- قال الرازي: ((في كيفية النظم وجهان: **الأول:** أنه تعالى لما ذكر قصة أُحد أتبعها بذكر قصة بدر، وذلك لأن المسلمين يوم بدر كانوا في غاية الفقر والعجز، والكفار كانوا في غاية الشدة والقوة، ثم إنه تعالى سلّط المسلمين على المشركين فصار ذلك من أقوى الدلائل على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى تحصيل غرضه ومطلوبه إلا بالتوكل على الله، والاستعانة به.

الثاني: أنه تعالى حكى عن الطائفتين أ ما همتا بالفشل، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[٣]، يعني من كان الله ناصرا له ومعينا له فكيف يليق به هذا الفشل والجبن والضعف؟ ثم أكد ذلك بقصة بدر، فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف، ولكن لما كان الله ناصرا لهم؛ فازوا بمطلو م، وقهروا خصومهم، فكذا هھنا، فهذا تقرير وجه النظم))[٤].

---

(١) الآيات (١٢٣-١٢٥) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٧٢/٤).

(٣) من الآية (١٢٢) من سورة آل عمران.

(٤) مفاتيح الغيب (٢٠٨/٨).

- وقال أبو حيان: ((لمّا أمرهم بالتوكل عليه؛ ذكّرهم بما يوجب التوكل عليه، وهو ما سنى لهم ويسر من الفتح والنصر يوم بدر، وهم في حال قلة وذلة، إذ كان ذلك النصر ثمرة التوكل عليه والثقة به))(١).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((في كيفية النظم وجهان:

أحدهما: أنه تعالى لما ذكر قصةَ أُحد؛ أتبعها بقصة بدر؛ لأن المشركين كانوا في غاية القوة، ثم سلط المسلمين عليهم، فصار ذلك دليلا على أن العاقل يجب أن لا يتوسل إلى غرضه إلا بالتوكل على الله.

الثاني: أنه تعالى حكى عن الطائفتين أ ما همتا بالفشل، ثم قال: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَاۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴾(٢).

يعني: من كان الله ناصرا له ومعينا له فكيف يليق به الفشل؟ ثم أكد ذلك بقصة بدر، فإن المسلمين كانوا في غاية الضعف، ولكن لـما كان الله تعالى ناصرا لهم؛ فازوا بمطلو م، وقهروا خصومهم، فهذا وجه النظم))(٣).

- وقال البقاعي: ((ولما كان ظاهر الحال فيما أصاب الكفار من المسلمين في هذه الغزوة ربما كان سببا في شك من لم يحقق بواطن الأمور، ولا له أهلية النفوذ في الدقائق من عجائب المقدور في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغۡنِيَ عَنۡهُمۡ أَمۡوَٰلُهُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـٔٗا﴾(٤)، ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغۡلَبُونَ﴾(٥)؛ ذَكرهم الله تعالى نصره لهم في غزوة بدر، وهم في القلة دون ما هم الآن بكثير، مشيرا لهم إلى ما أثمره توكلهم من النصر، وحالهم إذ ذاك حال الآيس منه))(٦).

---

(١) البحر المحيط (٣/٣٣٠).

(٢) من الآية (١٢٢) من سورة آل عمران.

(٣) اللباب (٥/٥١٤).

(٤) من الآية (١٠) من سورة آل عمران.

(٥) من الآية (١٢) من سورة آل عمران.

(٦) نظم الدرر (٢/١٤٦).

ومن هذا النقل يتبين أن الطاهر يرى أن المناسبة هي أنه لما لم يتحقق النصر للمؤمنين في يوم أُحد؛ ذَكرهم الله تعالى بانتصارهم يوم بدر، ولما كان هذا الانتصار سببا للشكر؛ أمرهم بتأدية شكره تعالى على تلك المنة العظيمة.

أما بقية المفسرين فاتفقوا في المعنى الذي ذكروه، حيث إ م يرون أن المناسبة هي بيان أهمية التوكل على الله تعالى، وأن التوكل سبب في النصر، حتى وإن كان المسلمون في غاية الفقر والعجز.

والذي يظهر أن كلا القولين يصلح أن يكون مناسبة للآيات.

ويمكن كذلك القول بأن الله تعالى لما رأى انكسار قلوب المؤمنين بعد الهزيمة التي تعرضوا لها يوم أُحد أراد مواسا م، وذلك بتذكيرهم بأنه نصرهم يوم بدر وهم في غاية العجز والذل، وأن الله تعالى لا يتخلى عن نصرة عباده المؤمنين.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الإمكانات والقدرات العسكرية للمؤمنين لا تجدي نفعا إن لم يكن هناك توكلٌ حقيقي على الله تبارك وتعالى، وصبر وجلادةٌ في ميدان القتال، وأن الجانب المعنوي فعالٌ في ثبات المقاتل وعدم هزيمته.

٩٦- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((أعقب وصف الجنة بذكر أهلها))[(٢)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بين أن الجنة معدة للمتقين؛ ذكر صفات المتقين، حتى يتمكن الإنسان من اكتساب الجنة بواسطة اكتساب تلك الصفات))[(٣)].

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((ولما أخبر بأن الجنة معدة للمتقين؛ وصفهم بصفات ثلاث، حتى يقْتدى م في تلك الصفات)) [(٤)].

- وقال البقاعي: ((ولما وصف الجنة؛ بين أهلها بقوله: ﴿أُعِدَّتۡ﴾[(٥)]))[(٦)].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما ذكر الجنة في قوله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾؛ بين صفات أهلها، وفي ذلك رسم لطريق الجنة، متمثلٌ في بيان صفات من يستحقها، وذلك بمثابة الدعوة إليها.

---

(١) الآية (١٣٤) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (٩٠/٤).

(٣) مفاتيح الغيب (٧/٩).

(٤) اللباب (٥٣٩/٥).

(٥) من الآية (١٣٣) من سورة آل عمران.

(٦) نظم الدرر (١٥٧/٢).

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك إشارة إلى زيادة التنويه بالجنة، وبيان المواصفات المطلوبة في أهلها، ليكون ذلك بمثابة الدليل إليها، وفي ذلك توضيح للمستحق بعد ذكر الاستحقاق.

٩٧- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((استئناف لبيان سبب الهزيمة الخفي، وهي استزلال الشيطان إياهم...ومناسبةُ ذكر هذه الآية عقب التي قبلها، أنه تعالى بعد أن بين لهم مرتبة حق اليقين بقوله: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ ﴾(٢)، انتقل م إلى مرتبة الأسباب الظاهرة))(٣).

وقد وافق الطاهر البقاعي في بيان مناسبة هذه الآية، حيث قال البقاعي: ((ولما كان فيه(٤)مع ذلك معنى التعليل والتنبيه على أنه غني عن الاختبار، خبير بدقائق الأسرار؛ أتبعه قوله -مستأنفًا لبيان ما هو من ثمرات العلم-: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ﴾))(٥).

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى بعد أن بين للمؤمنين السبب الحقيقي واليقيني للهزيمة والقتل في قوله تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ ﴾؛ انتقل إلى بيان السبب الخفي، وإن كان ظاهرا، إلا أن كثيرا من المؤمنين لم يدركوه، وهو اتباع بعضهم لإملاءات الشيطان.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن هناك دلالة على إلقاء تبعة الهزيمة في يوم أُحد على عاتق المؤمنين، تبرئةً للرسول ﷺ مما عرض به المنافقون من رميٍ له ﷺ بأنه السبب في الهزيمة، عندما أمر بالخروج لمواجهة المشركين، ولا يخفى ما في ذلك من أثر في تزكية النفوس، وتحبيب الله ورسوله للمؤمنين، وتعظيمه عندهم، وتنفيرهم من الشيطان، والأفعال الذميمة، وتسفيه أحلام المشركين والمنافقين.

---

(١) الآية (١٥٥) من سورة آل عمران.

(٢) من الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.

(٣) التحرير والتنوير (١٤٠/٤).

(٤) أي في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

(٥) نظم الدرر (١٧٠/٢).

٩٨- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾[(١)].

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((الأظهر أنه عطف على مجموع الكلام عطف الغرض على الغرض، وموقعه عقب جملة: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ﴾[(٢)]الآية، لأنها أفادت أن النصر بيد الله، والخذْل بيده، وذلك يستلزم التحريض على طلب مرضاته ليكون لطيفًا بمن يرضونه، وإذ قد كانت هذه النصائح والمواعظ موجهة إليهم ليعملوا بها فيما يستقبل من غزواتهم؛ نبهوا إلى شيء يستخف به الجيش في الغزوات، وهو الغلول[(٣)]، ليعلموا أنّ ذلك لا يرضي الله تعالى فيحذَروه، ويكونوا مما هو أدعى لغضب الله أشد حذرا، فهذه مناسبة التحذير من الغلول، ويعضد ذلك أنّ سبب هزيمتهم يوم أُحد هو تعجلهم إلى أخذ الغنائم[(٤)]))[(٥)].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان هذه المناسبة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أنه تعالى لما بالغ في الحث على الجهاد؛ أتبعه بذكر أحكام الجهاد، ومن جملتها المنع من الغلول))[(٦)].

(١) الآية (١٦١) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١٦٠) من سورة آل عمران.
(٣) الغلول: الخيانة بأخذ شيء من الغنيمة قبل قسمتها. ينظر: مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني (ص٦١٠)؛ القاموس المحيط، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٢هـ، ١٩٩١م، مادة (غَلَلَ)، باب اللام، فصل الغين (٣٦/٤)؛ مختار الصحاح، باب الغين (ص٤٧٩).
(٤) الغنائم في الشرع: هي المال المأخوذ من أعداء الإسلام عن طريق الحرب والقتال. فقه السنة (٦١/٣).
(٥) التحرير والتنوير (١٥٤/٤).
(٦) مفاتيح الغيب (٦٩/٩).

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها من حيث أ ا تضمنت حكما من أحكام الغنائم في الجهاد، وهي من المعاصي المتوعد عليها بالنار كما جاء في قصة مدعم[(١)]؛ فحذرهم من ذلك))[(٢)].

- وقال البقاعي: ((ولما كان الغلول من أعظم موجبات الخذلان أو أعظمها، وال اهة عنه من أعظم موجبات النصر؛ كان أنسب الأشياء تعقيب هذه الآية بآية الغلول بيانا))[(٣)].

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هنا هي التنبيه على أمر خطير قد يحصل في الغزوات، فيكون سببا في الهزيمة، وقد يستخف به البعض وهو الغلول، لذلك حذرت هذه الآية من ذلك بعد الحث على الجهاد في الآيات التي سبقتها.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن ا اهد لا بد أن يكون أمينا، وأن جهاده لا ينفعه إذا أخذ شيئًا من الغنيمة قبل القسمة، وفي ذلك دلالة على شناعة هذا الفعل وقبحه.

كما أن هناك دلالة على أن سبب هزيمة المؤمنين يوم أُحد هو استعجال بعضهم في أخذ الغنائم قبل قسمتها، مما أدى إلى هزيمتهم.

(١) روى هذه القصة أبو هريرة ﵁ فقال: افتتحنا خيبر فَلَم نغنم ذَهبا ولا فضةً، إنما غَنِمنا الإِبِلِ والبقَر والمتاع والحَوائطَ، ثُم انصرفْنا مع رسولِ الله ﷺ إلى وادي القُرى، ومعه عبد لَه يقَالُ لَه مدعم، أهداه لَه بعض بني الضبيبِ، فَبينما هو يحط رحلَ رسولِ اللهِ ﷺ إذْ جاءَه سهم عائر حتى أصاب ذَلك العبد، فَقَالَ الناس: هنيئًا لَه الشهادةُ، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: {كَلا والذي نفْسِي بِيده إنّ الشملَةَ التي أصابها يوم خيبر لَم تصبها المقَاسم لَتشتعلُ علَيه نارا}. فَجاءَ رجلٌ حين سمع ذَلك من رسولِ اللهِ ﷺ بِشراك أو شراكين فَقَالَ: هذَا شيءٌ كُنت أصبته، فَقَالَ رسولُ اللهِ ﷺ: {شراك أو شراكَان من نار}. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر (١٢٨٥/٣)، رقم [٤٢٣٤].

(٢) البحر المحيط (٤١٢/٣).

(٣) نظم الدرر (١٧٤/٢).

٩٩- المناسبة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾(١).

ذكر الطاهر -رحمه الله- مناسبة هذه الآية الكريمة لما قبلها فقال: ((قوله: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ﴾ عطف على ﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ﴾(٢)، فلما أمر الله نبيئه أن يجيبهم بما فيه تبكيتهم، على طريقة إرخاء العنان لهم في ظنهم أنّ الذين قتلوا من إخوا م قد ذهبوا سدى، فقيل لهم: إنّ الموت لا مفر منه على كل حال؛ أعرض بعد ذلك عن خطا م لقلّة أهليتهم، وأقبل على خطاب من يستأهل المعرفة، فقال: ﴿وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ﴾))(٣).

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((اعلم أن القوم لما ثبطوا الراغبين في الجهاد بأن قالوا: الجهاد يفضي إلى القتل، كما قالوا في حق من خرج إلى الجهاد يوم أحد، والقتل شيء مكروه، فوجب الحذر عن الجهاد، ثم إن الله تعالى بين أن قولهم: الجهاد يفضي إلى القتل باطل، بأن القتل إنما يحصل بقضاء الله وقدره، كما أن الموت يحصل بقضاء الله وقدره، فمن قدر الله له القتل لا يمكنه الاحتراز عنه، ومن لم يقَدر له القتل لا خوف عليه من القتل، ثم أجاب عن تلك الشبهة في هذه الآية بجواب آخر، وهو أنا لا نسلم أن القتل في سبيل الله شيء مكروه، وكيف يقال ذلك والمقتول في سبيل الله أحياه الله بعد القتل، وخصه بدرجات القربة والكرامة، وأعطاه أفضل أنواع الرزق، وأوصله إلى أجل مراتب الفرح والسرور؟ فأي عاقل يقول إن مثل هذا القتل يكون مكروها! فهذا وجه النظم))(٤).

---

(١) الآية (١٦٩) من سورة آل عمران.
(٢) من الآية (١٦٨) من سورة آل عمران.
(٣) التحرير والتنوير (١٦٥/٤).
(٤) مفاتيح الغيب (٨٨/٩).

- وقال البقاعي: ((ولما أزاح سبحانه وتعالى العلل، وشفى الغلل، وختم بأنه لا مفر من القدر، فلم يبق عند أهل الإيمان إلا ما طبع عليه الإنسان من الأسف على فقد الإخوان، وكان سرور المفقود يبرد غلة الموجود؛ بشرهم بحيا م وما نالوه من لذا م، ولما كان العرب بعيدين قبل الإسلام من اعتقاد الحياة بعد الموت؛ خاطب الذي لا ريب في علمه بذلك، إشارة إلى أنه لا يفهمه حق فهمه سواه...فقال تعالى -عاطفًا على (قُلْ)، محببا في الجهاد، إزالة لما بغضه به المنافقون من أنه سبب الموت- : ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ ﴾[1]))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى لما بين أن الموت أمر واقع لا مفر منه، ولم يملك أقارب الميت إلا الحزن عليه، وكان من دواعي إذابة حز م هو علمهم بسرور مفقودهم، وكان العرب بعيدين عن اعتقاد الحياة بعد الموت؛ أعرض عنهم، وخاطب من هو أكثر وعيا وفهما فقال: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح إبطال ما اعتقده المنافقون من ضياع القتلى بعد الموت، فالشهداء وإن ماتت أجسادهم إلا أن أرواحهم تبقى حية حياة خاصة م، ليست كالحياة المتعارف عليها، ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴾.

---

(١) من الآية (١٦٩) من سورة آل عمران.

(٢) نظم الدرر (١٨٠/٢).

١٠٠- المناسبة في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴾[١].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآية الكريمة فقال: ((هذه الآية مرتبطة بأصل الغرض المسوق له الكلام، وهو تسلية المؤمنين على ما أصابهم يوم أُحد، وتفنيد المنافقين في مزاعمهم أنّ الناس لو استشاروهم في القتال لأشاروا بما فيه سلامتهم فلا يهلكوا))[٢].

وقد وافق الطاهر عددا من المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال أبو حيان: ((لمّا تقدم ذكْر المكذبين الكاذبين على الله من اليهود والمنافقين، وذكرهم المؤمنين، نبهوا كُلهم على أنهم ميتون ومآلهم إلى الآخرة، ففيها يظهر الناجي والهالك، وأن ما تعلقوا به في الدنيا من مال وأهل وعشيرة إنما هو على سبيل التمتع المغرور به، كلها تضمحل وتزول ولا يبقى إلا ما عمله الإنسان، وهو يوفاه في الآخرة، يوفى على طاعته ومعصيته))[٣].

- وقال البقاعي: ((ولما تقدم في قصة أُحد رجوع المنافقين وهزيمة بعض المؤمنين، مما كان سبب ظفر الكافرين، وعاب سبحانه ذلك عليهم بأنهم هربوا من موجبات السعادة، والحياة الأبدية إلى ما لا بد منه، وإلى ذلك أشار بقوله : ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ ﴾[٤]...، وختم بالإخبار بأنه وقع قتلٌ كثير من الرسل، فكان ذلك محققًا لأنه لا يصان من الموت خاص ولا عام، مضموما إلى ما نشاهد من ذلك في كل لحظة؛ صور ذلك الموت بعد أن صار مستحضرا للعيان تصويرا أوجب التصريح به،

---

(١) الآية (١٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) التحرير والتنوير (١٨٧/٤).

(٣) البحر المحيط (٤٦٠/٣).

(٤) من الآية (١٥٤) من سورة آل عمران.

إشارة إلى أن حالهم في هر م ورجـوعهم، وما تبـع ذلك من قولهم حـالُ من هو في شك منه فقال تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ﴾[1]))[2].

ومن هذا النقل يتبين أن الله تعالى بعد أنّ بين لهم ما يدفع توهمهم أنّ الا زام كان خذلانا من الله، وتعجبهم منه كيف يلحق قوما خرجوا لنصر الدين، ثم أمرهم بالتسليم لله في كلّ حال، وبين لهم أنّ قتلى المؤمنين أحياء، وأنّ المؤمنين الذين لم يلحقوا م لا يضيع الله أجرهم ولا فَضلَ ثبا م؛ ختم ذلك كلّه بما هو جامع للغرضين في قوله تعالى: ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ﴾، لأنّ الحزن إنما نشأ على موت من استشهد، وكأن لسان الحال يقول لهم: لا تأسفوا على موت قتلاكم في سبيل الله، ولا يفْتننكُم المنافقون بذلك.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن الله تعالى أراد تسلية الرسول ﷺ والمؤمنين على ما أصا م يوم أُحد، بتذكيرهم أن الموت حق لا مفر منه، وأن قتلى أُحد إن لم يقتلوا في الغزوة لماتوا آجِلا، وهناك إشارة إلى أن الموت لا يفرق بين شخصٍ وآخر مهما كانت الفوارق بينهما.

---

(١) من الآية (١٨٥) من سورة آل عمران.

(٢) نظم الدرر (١٩١/٢).

١٠١- المناسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩٠﴾ ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ ۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَٰنِ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِرَبِّكُمْ فَـَٔامَنَّا ۚ رَبَّنَا فَٱغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَءَاتِنَا مَا وَعَدتَّنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ﴾[1].

ذكر الطاهر -رحمه الله- المناسبة في هذه الآيات الكريمة لما قبلها فقال: ((هذا غَرض أُنف بالنسبة لما تتابع من أغراض السورة، انتقل به من المقدمات والمقصد والمتخللات بالمناسبات، إلى غرض جديد هو الاعتبار بخلق العوالم وأعراضها، والتنويه بالذين يعتبرون بما فيها من آيات))[2].

وقد وافق الطاهر عددا المفسرين في بيان مناسبة هذه الآية الكريمة، وإن كان هناك اختلاف يسير في العبارة إلا أن الجميع متفقون في المعنى نفسه.

- قال الرازي: ((فلما طال الكلام في تقرير الأحكام، والجواب عن شبهات المبطلين؛ عاد إلى إنارة القلوب بذكر ما يدل على التوحيد والإلهية، والكبرياء والجلال))[3].

- وقال أبو حيان: ((ومناسبة هذه الآية لما قبلها واضحة، لأنه تعالى لمّا ذكر أنه مالك السموات والأرض، وذكر قدرته؛ ذكر أنّ في خلقهما دلالات واضحة لذوي العقول)) [4].

---

(١) الآيات (١٩٠-١٩٤) من سورة آل عمران.
(٢) التحرير والتنوير (١٩٦/٤).
(٣) مفاتيح الغيب (١٣٣/٩).
(٤) البحر المحيط (٤٦٨/٣).

- وقال ابن عادل الحنبلي: ((اعلم أنه -تعالى- لما قرر الأحكام، وأجاب عن شبه المُبطلين، عاد إلى ذكْر ما يدل على التوحيد فذكر هذه الآية))(١).

- وقال البقاعي: ((ولما ذكر هذا الملك العظيم، وختم بشمول القدرة؛ دل على ذلك بالتنبيه على التفكر فيه، الموجب للتوحيد الذي هو المقصد الأعظم من هذه السورة))(٢).

ومن هذا النقل يتبين أن المناسبة هي الانتقال إلى غرض جديد تمهيدا للختام بما افتتحت به السورة من الأمر بالتوحيد.

أثر المناسبة:

من خلال ما سبق بيانه يتضح أن السورة بدأت بتمهيد يراد به رد العجز على الصدر، وربط الخاتمة بالمقدمة، وذلك من خلال الانتقال إلى غرض عام، تمثل في الاعتبار بخلق السماوات والأرض، وحال المؤمنين في الاتعاظ بذلك، وبعد إيفاء السورة أغراضها كاملة يأتي الإيذان بالإشراف على الانتهاء، فهذا شأن القرآن الكريم أن يختم بالموعظة، لأنها أهم أغراض الرسالة.

---

(١) اللباب (٦/١١٠).

(٢) نظم الدرر (٢/١٩٦).

الخاتمـــــة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات، وبتوفيقه يصل المرءُ إلى أسمى الغايات، والشكر له ليلَ ار على ما أنعم به وتفضلَ وأعانَ، حمدا يليق بجلاله تعالى. أما بعد:

فلقد قضيت شهورا مطلعا ومتأملا ودارسا للمناسبات القرآنية، مستهدفًا المناسبات في تفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور من خلال سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران، وقد ظهرت لي من خلال هذا البحث نتائج مهمة، فكانت كالنتيجة للمقدمة، ومن أهم تلك النتائج:

١- أن علم المناسبات القرآنية علم ذو وجوه إعجازية وبيانية وبلاغية متعددة.

٢- أن نشأة علم المناسبات القرآنية وربط الآيات ببعضها كان مطَبقًا منذ عهد الصحابة رضوان الله عليهم.

٣- أن استنباط المناسبات القرآنية يعتمد على التأمل والفكر مع ربط ذلك بمحور السورة الرئيس، وأغراضها المختلفة، مع عدمِ إغفال النظر إلى سبب الـ ول.

٤- أن المناسبات بين الآيات موجودة لا محالة، وإنما قد تظهر تارةً، وقد تخفى تارةً أخرى، فإذا لم تظهر للمفسر؛ لا ينبغي له التكلف في طلبها، فالتكلف في ذلك أمر غير محمود.

٥- أن العمل على إظهار المناسبات القرآنية وإبرازها فيه رد قاطع على كل من يشكك في ترابط القرآن الكريم من المستشرقين وغيرهم.

٦- أن الآية قد يكون لها أكثر من مناسبة من أوجه مختلفة.

٧- أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين اسم السورة وبين أهم أغراضها.

٨- أن الطاهر بن عاشور كان علما مبرزا وذا باع في علم المناسبات القرآنية.

٩- أن الطاهر كان معتدلا في طلب المناسبات بين الآيات، ولم يتكلف إلا في مواضع نادرة جِدا.

١٠- أن الطاهر يشير إلى المناسبات بين الآيات والمقاطع وفي أجزاء الآية الواحدة، ولا يشير إلى المناسبات بين السور، كونه يرى أن ذلك مما لا حاجة إليه.

١١- أن هناك أثرا يظهر في كل مناسبة، وهذا يزيد من وضوح غرض الآية ومقصودها.

هذا وأسأل الله الكريم، رب العرش العظيم أن يجعل هذا العمل خالصا لوجهه الكريم، وأن ينفع به كل مطلعٍ وباحث.

■ التوصيات:

أوصي بما يأتي:

١- أن تكون هناك دراسة مستقلة تقتصر على ما تفرد به الطاهر بن عاشور مـن مناسبات في تفسيره.

٢- قيام الجامعات ومراكز البحوث العلمية بتشجيع المتخصصين علـى القيـام بإعداد بحوث جزئية في علم المناسبات، تتحدث عن كل نوع على حدة، وتستوعب جميع أمثلتها في القرآن الكريم.

٣- ترجمة بعض تلك البحوث إلى لغات أجنبية - خصوصا التي يسهل على غـير العرب إدراكها وفهمها -.

٤- الاهتمام ذا العلم في أقسام التفسير في الكليات.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

الفهارس

وتتضمن الآتي:

١) فهرس الآيات القرآنية الكريمة.

٢) فهرس الأحاديث النبوية الشريفة.

٣) فهرس الآثار.

٤) فهرس الأعلام المترجم لهم.

٥) فهرس المصطلحات والمفردات المشروحة.

٦) فهرس القبائل.

٧) فهرس الأماكن والبلدان.

٨) فهرس الأبيات الشعرية.

٩) فهرس المصادر والمراجع.

١٠) فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات القرآنية الكريمة

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــــة
٨٥	١	الفاتحة: ١	﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾
٨٩، ٩٠، ١٢٤	١	الفاتحة: ٢	﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾
٩١	١	الفاتحة: ٣	﴿الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾
٩٣، ٩٤	١	الفاتحة: ٤	﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾
٨٩، ٩٥، ٩٧، ١٢٤	١	الفاتحة: ٥	﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾
٩٩	١	الفاتحة: ٦	﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ﴾
٤٣، ١٠٧، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١٢٠، ١٢٢	٢	البقرة: ١-٥	﴿الم (١) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾
٤٣، ١١٨، ١٢٠	٢	البقرة: ٦	﴿أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ﴾
١٢٠	٢	البقرة: ٧	﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾
١٢٢	٢	البقرة: ٨	﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ﴾
١٢٢	٢	البقرة: ١٤	﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا﴾

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى ٱسْتَوْقَدَ﴾	البقرة: ١٧	٢	١٣٢
﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ﴾	البقرة: ١٨	٢	١٣٣
﴿أَوْ كَصَيِّبٍ﴾	البقرة: ١٩	٢	١٠٥، ١٣٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾	البقرة: ٢١	٢	١٢٤، ١٢٦، ١٣٤، ١٣٦، ١٤٢
﴿فَلَا تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ٢٢	٢	١٢٦
﴿وَإِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ شُهَدَآءَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾	البقرة: ٢٣	٢	١٠٧، ١٢٦، ١٢٨
﴿أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ﴾	البقرة: ٢٤	٢	١٢٨
﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ الآية.	البقرة: ٢٥	٢	١٢٨، ١٣٤
﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْىِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا﴾ الآية.	البقرة: ٢٦	٢	١٣٠، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦
﴿ٱلْخَٰسِرُونَ﴾	البقرة: ٢٧	٢	١٣٤، ١٣٦
﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِٱللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾	البقرة: ٢٨	٢	١٣٤، ١٣٥، ١٣٦

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــة
١٣٥	٢	البقرة: ٢٩	﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ﴾
١٣٨، ١٤٠	٢	البقرة: ٣٠	﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ﴾ الآية.
١٤٠	٢	البقرة: ٣٤	﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِـَٔادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾
١٣٥، ١٤١، ١٤٤، ١٥٠	٢	البقرة: ٤٠	﴿يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا۟ بِعَهْدِىٓ أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّـٰىَ فَٱرْهَبُونِ ﴾
١٤٤، ١٥٠، ١٥١	٢	البقرة: ٤١	﴿ وَءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلْتُ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَكُمْ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ۖ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِيَّـٰىَ فَٱتَّقُونِ ﴾
١٤٦، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١	٢	البقرة: ٤٣	﴿ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَٱرْكَعُوا۟ مَعَ ٱلرَّٰكِعِينَ ﴾
١٤٩	٢	البقرة: ٤٤	﴿ أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
١٤٩، ١٥٢	٢	البقرة: ٤٥	﴿ وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ﴾
٢٨	٢	البقرة: ٤٧	﴿ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾
١٥٤	٢	البقرة: ٤٨	﴿ وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَـٰعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴾

الآيـــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ﴾	البقرة: ٦٢	٢	١٥٦
﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾ الآية.	البقرة: ٧٤	٢	٤١، ١٠٥
﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ﴾	البقرة: ٧٥	٢	٢٠٥
﴿نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا﴾، ﴿قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾	البقرة: ٩١	٢	١٦٦
﴿قُلْ إِن كَانَتْ لَكُمُ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ عِندَ ٱللَّهِ خَالِصَةً مِّن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ﴾	البقرة: ٩٤، ٩٥	٢	١٥٨، ١٦٦
﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾	البقرة: ٩٨	٢	١١٤
﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ نَبَذَ فَرِيقٌ مِّنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾	البقرة: ١٠١	٢	١٠٦، ٢٠٥
﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ الآية.	البقرة: ١٠٢	٢	١٦٠
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرْنَا وَٱسْمَعُواْ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾	البقرة: ١٠٤	٢	١٦٢، ١٦٧
﴿مَّا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَلَا ٱلْمُشْرِكِينَ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْكُم مِّنْ خَيْرٍ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ الآية.	البقرة: ١٠٥	٢	١٠٣، ١٦٤، ١٦٦، ١٦٨، ١٧٠، ١٧٢، ٢٠٧

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآۗ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة: ١٠٦	٢	١٦٦
﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ الآية.	البقرة: ١٠٩	٢	١٧٠
﴿وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾	البقرة: ١١٢	٢	١٠٣
﴿وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ﴾	البقرة: ١١٣	٢	١٧٢، ١٧٣، ١٧٧
﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ﴾ الآية.	البقرة: ١١٤	٢	١٧٢، ١٧٥، ٢٠٥
﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة: ١١٥	٢	١٧٥، ١٨٩
﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ﴾	البقرة: ١١٦	٢	١٧٧
﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا ٱللَّهُ أَوْ تَأْتِينَآ ءَايَةٌۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّثْلَ قَوْلِهِمْۘ تَشَٰبَهَتْ قُلُوبُهُمْۗ قَدْ بَيَّنَّا ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾	البقرة: ١١٨	٢	١٧٧، ٢٠٧
﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾	البقرة: ١٢٠	٢	١٨٩
﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتِىَ﴾	البقرة: ١٢٢	٢	١٧٩، ١٨٠
﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾	البقرة: ١٢٣	٢	١٧٩
﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِۦمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّۖ قَالَ إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًاۖ قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِىۖ قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾	البقرة: ١٢٤	٢	١٧٩، ١٨٣، ١٨٥

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾	البقرة: ١٢٨	٢	٨٥
﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ ۚ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسْلِمْ ۖ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾	البقرة: ١٣٠، ١٣١	٢	١٨٣، ١٨٧
﴿تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ ۖ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ ۖ وَلَا تُسْـَٔلُونَ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾	البقرة: ١٣٤	٢	١٨٥
﴿وَقَالُوا۟ كُونُوا۟ هُودًا أَوْ نَصَٰرَىٰ تَهْتَدُوا۟ ۗ قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِـۧمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾	البقرة: ١٣٥	٢	١٨٧
﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾	البقرة: ١٤٢	٢	١٨٩، ١٩٠، ١٩١
﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ﴾ الآية.	البقرة: ١٤٣	٢	١٩٣، ١٩٤
﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَيَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ١٤٤	٢	١٩٥
﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ مَّا تَبِعُوا۟ قِبْلَتَكَ ۚ﴾	البقرة: ١٤٥	٢	١٩٥
﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ١٤٦	٢	٢٠٥
﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا ۖ فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾	البقرة: ١٤٨	٢	١٩٧
﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾	البقرة: ١٥٠	٢	١٩٩، ٢٠١

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾	البقرة: ١٥٢	٢	٢٠٠، ٢٠١
﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ﴾	البقرة: ١٥٣	٢	١٠٥
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ﴾	البقرة: ١٥٥	٢	١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١
﴿إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾	البقرة: ١٥٨	٢	١٩٩، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٦
﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ﴾	البقرة: ١٥٩	٢	٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٩، ٢٢٥
﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾	البقرة: ١٦١	٢	٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٠
﴿خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾	البقرة: ١٦٢	٢	٢١٠
﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾	البقرة: ١٦٣	٢	٢٠٩
﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَالْفُلْكِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ﴾	البقرة: ١٦٤	٢	١٠٤، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥
﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾	البقرة: ١٦٥	٢	٢١٣، ٢٢٠
﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾	البقرة: ١٦٨	٢	٢١٥، ٢١٨

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ﴾	البقرة: ١٧٠	٢	٢١٨، ٢٢٠، ٢٢١
﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ۚ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾	البقرة: ١٧١	٢	٢٢٠
﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَـٰتِ مَا رَزَقْنَـٰكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾	البقرة: ١٧٢	٢	٢٢٣
﴿إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ وَٱلدَّمَ﴾	البقرة: ١٧٣	٢	٢٢٥
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ إِلَّا ٱلنَّارَ﴾	البقرة: ١٧٤	٢	٢٢٥
﴿لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ﴾	البقرة: ١٧٧	٢	١٠٤، ١٠٦
﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ﴾	البقرة: ١٨٠	٢	٢٢٧
﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَقْرَبُوهَا﴾	البقرة: ١٨٧	٢	٢٢٩
﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَـٰطِلِ وَتُدْلُوا۟ بِهَآ إِلَى ٱلْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا۟ فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ بِٱلْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾	البقرة: ١٨٨	٢	٢٢٩، ٢٣٠

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ ۗ﴾	البقرة: ١٨٩	٢	١٠٦، ٢٣١
﴿وَقَٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾	البقرة: ١٩٠	٢	٢٣٣، ٢٣٨
﴿وَأَنفِقُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُوا۟ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ ۛ وَأَحْسِنُوٓا۟ ۛ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾	البقرة: ١٩٥	٢	٢٣٣
﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا۟ فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ ۚ﴾	البقرة: ١٩٨	٢	٢٣٥
﴿مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيُشْهِدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا فِى قَلْبِهِۦ وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾	البقرة: ٢٠٤	٢	٢٣٨، ٢٤٢
﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾	البقرة: ٢٠٧	٢	٢٣٧، ٢٣٨
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱدْخُلُوا۟ فِى ٱلسِّلْمِ كَآفَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا۟ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيْطَٰنِ ۚ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾	البقرة: ٢٠٨	٢	٢٣٨
﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾	البقرة: ٢١٠	٢	٢٤١، ٢٤٢
﴿سَلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ كَمْ ءَاتَيْنَٰهُم مِّنْ ءَايَةٍۭ بَيِّنَةٍ ۗ وَمَن يُبَدِّلْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ﴾	البقرة: ٢١١	٢	٢٤١، ٢٤٨
﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّۦنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ﴾	البقرة: ٢١٣	٢	٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن ﴾	البقرة: ٢١٤	٢	٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٩، ٢٥٠
﴿ يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢١٥	٢	٢٥٠
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُواْ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾	البقرة: ٢١٦	٢	٢٤٩
﴿ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ ﴾	البقرة: ٢١٧	٢	١٠٦
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْيَتَـٰمَىٰ ۖ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ خَيْرٌ ۖ وَإِن تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ ۚ ﴾	البقرة: ٢٢٠	٢	٢٥١
﴿ وَلَا تَنكِحُواْ ٱلْمُشْرِكَـٰتِ حَتَّىٰ يُؤْمِنَّ ۚ وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ ﴾	البقرة: ٢٢١	٢	٢٥٣، ٢٥٥
﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ۖ قُلْ هُوَ أَذًى فَٱعْتَزِلُواْ ٱلنِّسَآءَ فِى ٱلْمَحِيضِ ۖ ﴾	البقرة: ٢٢٢	٢	٢٥٥
﴿ نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ ﴾	البقرة: ٢٢٣	٢	٢٧٥
﴿ وَلَا تَجْعَلُواْ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَـٰنِكُمْ أَن تَبَرُّواْ وَتَتَّقُواْ وَتُصْلِحُواْ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢٢٤	٢	٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩

الآيــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿لَّا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ حَلِيمٌ﴾	البقرة: ٢٢٥	٢	٢٥٩
﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾	البقرة: ٢٢٦	٢	٢٥٧
﴿وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍۚ وَلَا يَحِلُّ لَهُنَّ أَن يَكْتُمْنَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ فِيٓ أَرْحَامِهِنَّ إِن كُنَّ يُؤْمِنَّ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾	البقرة: ٢٢٨	٢	٢٦١
﴿ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِ﴾	البقرة: ٢٢٩	٢	٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤
﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِۖ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَۚ﴾	البقرة: ٢٣٣	٢	٢٦٥
﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُواْ لَهُنَّ فَرِيضَةًۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًا بِٱلْمَعْرُوفِۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ (٢٣٦) وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾	البقرة: ٢٣٦، ٢٣٧	٢	٢٦٧
﴿وَأَن تَعْفُوٓاْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰۚ وَلَا تَنسَوُاْ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾	البقرة: ٢٣٧	٢	٢٦٩، ٢٧٢
﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾	البقرة: ٢٣٨	٢	٢٦٩، ٢٧١، ٢٧٢
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً﴾	البقرة: ٢٤٠	٢	٢٧١

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمْ ﴾	البقرة: ٢٤٣	٢	١٠٥
﴿ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ ﴾	البقرة: ٢٥٢	٢	٢٧٣
﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ الآية.	البقرة: ٢٥٣	٢	٢٧٣
﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُۥ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ﴾	البقرة: ٢٥٥	٢	١٠٥، ٢٧٧
﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾	البقرة: ٢٥٦	٢	٢٨٠
﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِۦمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ﴾	البقرة: ٢٥٨	٢	٢٨١
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ لَا يُتْبِعُونَ مَآ أَنفَقُواْ ﴾	البقرة: ٢٦٢	٢	٢٨٣
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُبْطِلُواْ صَدَقَٰتِكُم بِٱلْمَنِّ وَٱلْأَذَىٰ كَٱلَّذِى يُنفِقُ مَالَهُۥ رِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾	البقرة: ٢٦٤	٢	٢٨٣، ٢٨٤
﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ﴾	البقرة: ٢٦٦	٢	٢٨٥

الآيـــــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿إِن تُبْدُواْ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾	البقرة: ٢٧١	٢	٢٧١
﴿لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾	البقرة: ٢٧٢	٢	٢٨٧
﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾	البقرة: ٢٧٥	٢	٢٨٩
﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾	البقرة: ٢٨١	٢	٢٩٢
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَٱكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ﴾ الآية.	البقرة: ٢٨٢	٢	٢٩١، ٢٩٣
﴿الٓمٓ﴾	آل عمران: ١	٣	٢٩٨
﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ نَزَّلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ﴾	آل عمران: ٢، ٣	٣	٣٠٠
﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾	آل عمران: ٧	٣	٢٩٩
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾	آل عمران: ١٠	٣	٣٠٤، ٣١٩
﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ سَتُغْلَبُونَ﴾	آل عمران: ١٢	٣	٣١٩
﴿ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ إِنَّنَآ ءَامَنَّا﴾	آل عمران: ١٦	٣	٣٠٠
﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾	آل عمران: ١٨	٣	٣٠٠، ٣٠٣

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُ ﴾	آل عمران: ١٩	٣	٣٠٠، ٣٠٢،
﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۖ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَلَيۡسَ مِنَ ٱللَّهِ فِي شَيۡءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾	آل عمران: ٢٨	٣	٣٠٤، ٣٠٥
﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ﴾	آل عمران: ٣٠	٣	٣٠٧، ٣٠٨
﴿ قُلۡ إِن كُنتُمۡ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحۡبِبۡكُمُ ٱللَّهُ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾	آل عمران: ٣١	٣	٣٠٧
﴿ وَدَّت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ لَوۡ يُضِلُّونَكُمۡ ﴾	آل عمران: ٦٩	٣	٣٠٩، ٣١٠
﴿ وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾	آل عمران: ٧٢	٣	٣٠٩، ٣١٠
﴿وَلَا تُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّا لِمَن تَبِعَ دِينَكُمۡ ﴾	آل عمران: ٧٣	٣	٣٠٩
﴿وَمِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مَنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِقِنطَارٖ يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ وَمِنۡهُم مَّنۡ إِن تَأۡمَنۡهُ بِدِينَارٖ لَّا يُؤَدِّهِۦٓ إِلَيۡكَ إِلَّا مَا دُمۡتَ عَلَيۡهِ قَآئِمٗاۗ ﴾	آل عمران: ٧٥	٣	٣٠٩، ٣١٠
﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرۡبَابًاۗ ﴾	آل عمران: ٧٩، ٨٠	٣	٣١١، ٣١٢

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــة
٣١٢	٣	آل عمران: ٨١، ٨٢، ٨٣	﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ الآيات.
٣١٤	٣	آل عمران: ٩١	﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِم مِّلْءُ ٱلْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوِ ٱفْتَدَىٰ بِهِۦٓ﴾
٣١٣، ٣١٤	٣	آل عمران: ٩٢	﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِن شَىْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾
٣١٦	٣	آل عمران: ١١٨	﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا۟ مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِى صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾
٣١٥، ٣١٦	٣	آل عمران: ١٢٠	﴿وَإِن تَصْبِرُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾
٣١٥	٣	آل عمران: ١٢١، ١٢٢	﴿وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ ٱلْمُؤْمِنِينَ مَقَٰعِدَ لِلْقِتَالِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (١٢١) إِذْ هَمَّت طَّآئِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾
٣١٨، ٣١٩	٣	آل عمران: ١٢٢	﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾
٣١٨	٣	آل عمران: ١٢٣-١٢٥	﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ ٱللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ الآيات.
٣٢١	٣	آل عمران: ١٣٣	﴿وَسَارِعُوٓا۟ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ فِي ٱلسَّرَّآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَٱلۡكَٰظِمِينَ ٱلۡغَيۡظَ وَٱلۡعَافِينَ عَنِ ٱلنَّاسِۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴾	آل عمران: ١٣٤	٣	٣٢١
﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ ﴾	آل عمران: ١٥٤	٣	٣٢٣، ٣٢٨
﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ مِنكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِ إِنَّمَا ٱسۡتَزَلَّهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِبَعۡضِ مَا كَسَبُواْۖ وَلَقَدۡ عَفَا ٱللَّهُ عَنۡهُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٞ ﴾	آل عمران: ١٥٥	٣	٣٢٣
﴿إِن يَنصُرۡكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمۡ ﴾	آل عمران: ١٦٠	٣	٣٢٤
﴿ وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّۚ وَمَن يَغۡلُلۡ يَأۡتِ بِمَا غَلَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا كَسَبَتۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ﴾	آل عمران: ١٦١	٣	٣٢٤
﴿قُلۡ فَٱدۡرَءُواْ عَنۡ أَنفُسِكُمُ ٱلۡمَوۡتَ ﴾	آل عمران: ١٦٨	٣	٣٢٦
﴿ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمۡوَٰتَۢاۚ بَلۡ أَحۡيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمۡ يُرۡزَقُونَ ﴾	آل عمران: ١٦٩	٣	٣٢٦، ٣٢٧
﴿ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوۡنَ أُجُورَكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَۗ وَمَا ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلۡغُرُورِ ﴾	آل عمران: ١٨٥	٣	٣٢٨، ٣٢٩
﴿ إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ لَأٓيَٰتٖ لِّأُوْلِي ﴾	آل عمران: ١٩٠-١٩٤	٣	٣٣٠

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم السورة	الصفحة
﴿غَيْرُ أُوْلِي ٱلضَّرَرِ﴾	النساء: ٩٥	٤	٦٩
﴿أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً﴾	النساء: ١٥٣	٤	٢٧٤
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ﴾	المائدة: ١	5	٤٤
﴿وَلَقَدۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾	المائدة: ١٢	5	٤٤
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنۡهُمۡۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾	المائدة: ٣٦	5	٢٢
﴿يُرِيدُونَ أَن يَخۡرُجُواْ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنۡهَاۖ وَلَهُمۡ عَذَابٞ مُّقِيمٞ﴾	المائدة: ٣٧	5	٢٢
﴿ٱجۡعَل لَّنَآ إِلَٰهٗا كَمَا لَهُمۡ ءَالِهَةٞ﴾	الأعراف: ١٣٨	٧	٢٧٤
﴿فَٱلۡيَوۡمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنۡ خَلۡفَكَ ءَايَةٗ﴾	يونس: ٩٢	١٠	٣٨
﴿وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾	هود: ١١٣	١١	٤١
﴿قَالُواْ تَٱللَّهِ تَفۡتَؤُاْ تَذۡكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوۡ تَكُونَ مِنَ ٱلۡهَٰلِكِينَ﴾	يوسف: ٨٥	١٢	٤٠
﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلۡتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحۡصُوهَآۗ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَظَلُومٞ كَفَّارٞ﴾	إبراهيم: ٣٤	١٤	٤١

الصفحة	رقم السورة	السورة ورقم الآية	الآيـــــــــــة
٩٤	١٥	الحجر: ٤٩، ٥٠	﴿ نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ ﴾
٤١	١٦	النحل: ١٨	﴿ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾
٨٥	١٩	مريم: ٤٥	﴿ يَٰٓأَبَتِ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يَمَسَّكَ عَذَابٞ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ﴾
٨٥	١٩	مريم: ٤٧	﴿سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ﴾
٨٥	٢٢	الحج: ٧٨	﴿مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ ﴾
٣٨	٢٣	المؤمنون: ٥٠	﴿ وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةٗ ﴾
٨٥	٢٧	النمل: ٣٠، ٣١	﴿ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُواْ عَلَيَّ وَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴾
٨٢	٣٩	الزمر: ٢٣	﴿كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ ﴾
٤٩	٥١	الذاريات: ٥٩، ٦٠	﴿ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبٗا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِي يُوعَدُونَ ﴾
٤٩	٥٢	الطور: ١-٨	﴿ وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَٰبٖ مَّسْطُورٖ ﴿٢﴾ فِي رَقّٖ مَّنشُورٖ ﴿٣﴾ وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٞ ﴿٧﴾ مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٖ ﴾
٨٢	٦٧	الملك: ٤	﴿ ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ ﴾

الآيـــــــــة	السورة ورقم الآية	رقم الآية	الصفحة
﴿ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأُهْلِكُوا بِالطَّاغِيَةِ ﴾	الحاقة: ٥	٦٩	٧٨
﴿ فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ ﴾	الحاقة: ٨	٦٩	٧٨
﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾	المدثر: ١١	٧٤	٢٠

فهرس الأحاديث النبوية الشريفة

فهرس الآثار

فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس المصطلحات والألفاظ المشروحة

فهرس القبائل

فهرس الأماكن والبلدان

فهرس الأبيات الشعرية

الأبيـــــــات	البحر	الصفحة
إن الدراهم في المواطن كُلها تكسو الرجالَ مهابةً وجلالا	الكامل	٢٣٤

فهرس المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم، برواية حفص عن عاصم.

٢. الإتقان في علوم القرآن، عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي، تقديم وتعليق: د. مصطفى ديب البغا، دار ابن كثير، دمشق وبيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٣. آثار الشيخ محمد النخلي سيرة ذاتية وأفكار إصلاحية، جمع وتقديم: عبد المنعم النخلي، تحقيق ومراجعة: حمادي الساحلي، دار الغرب الإسلامي: بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م.

٤. إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول، محمد بن علي الشوكاني، تحقيق وتعليق: د. شعبان محمد إسماعيل، دار السلام، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٥. أسباب ال ول، أبو الحسن علي بن أحمد الواحدي النيسابوري، عالم الكتب، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٦. الاستيعاب في معرفة الأصحاب، أبو عمر يوسف بن عبد البر، تحقيق: الشيخ علي معوض والشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧. أسد الغابة، أبو الحسن علي الجزري ابن الأثير، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، ١٣٩٠هـ، ١٩٧٠م.

٨. أسماء سور القرآن وفضائلها، د. منيرة محمد ناصر الدوسري، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.

٩. الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع ا ـاز، عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام، دار البشائر الإسلامية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٧م.

١٠. الإصابة في تمييز الصحابة، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، مطبعة السعادة، مصر، الطبعة الأولى، ١٣٢٨هـ.

١١. إعجاز القرآن، أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني، تحقيق الشيخ عماد الدين أحمد حيدر، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٢. الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الخامسة، ١٩٨٠م.

١٣. الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف من الأسماء والكنى والأنساب، أبو نصر علي هبة الله الشهير بابن ماكولا، تصحيح وتعليق: الشيخ عبد الرحمن بن يحي المعلمي اليماني، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

١٤. إنباه الرواة على أنباه النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة + مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م.

١٥. الإيضاح في علوم البلاغة، جلال الدين أبو عبد الله محمد بن سعد الدين القزويني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة السادسة، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١٦. البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف بن حيان الأندلسي الغرناطي، دار الفكر، بيروت، طبعة جديدة منقحة مصححة، ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.

١٧. البداية والنهاية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، دار الكتب العصرية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١٨. البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، محمد بن علي الشوكاني دار المعرفة، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

١٩. البرهان في علوم القرآن، محمد بن عبد الله بن ادر الزركشي، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٣٩١هـ، ١٩٧٢م.

٢٠. تاج العروس من جواهر القاموس، محمد بن محمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: علي شيري، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، ١٤١٤هـ، ١٩٩٤م.

٢١. تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٥هـ، ١٩٩٤م.

٢٢. تاريخ بغداد، الحافظ أحمد بن علي الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٢٣. تاريخ جامع الزيتونة، محمد بن عثمان الحشائشي، تقديم وتحقيق: الجيلاني بن الحاج يحي، المعهد القومي للآثار، [د.ط]، ١٩٧٤م.

٢٤. تاريخ مدينة دمشق، الإمام أبو القاسم علي بن الحسن بن عساكر، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد عمر بن غرامة العمروي، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، [د.ت]، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٢٥. التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، دار سحنون للنشر والتوزيع: تونس، [د.ط]، ١٩٩٧م.

٢٦. تذكرة الحفاظ، أبو عبد الله محمد بن أحمد الذهبي، دار إحياء التراث، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٢٧. تراجم الأعلام، محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشـر، تـونس، [د.ط]، ١٩٧٠م.

٢٨. تراجم المؤلفين التونسيين، محمد محفوظ، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م.

٢٩. التعبير القرآني، د. فاضل صالح السامرائي، جامعة بغداد، [د.ط]، ١٩٨٩م.

٣٠. تفسير القرآن العظيم، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ، تحقيق: سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، الرياض، الطبعة الثانية، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٣١. التفسير والمفسرون، د.محمد حسين الذهبي، آوند دانش للطباعة والنشر، [د.م]، الطبعة الأولى، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٥م.

٣٢. تقريب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، حققَه وعلق عليه: أبو الأشبال صغير أحمد شاغف الباكستاني، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ.

٣٣. ذيب التهذيب، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، ضبط ومراجعة: صدقي جميل العطار، دار الفكر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٣٤. جامع البيان عن تأويل آي القرآن، محمد بن جرير الطّبري، تحقيق: أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٠هـ، ٢٠٠٠م.

٣٥. جامع الزيتونة ومدارس العلم في العهدين الحفصي والتركي، الطاهر المعموري، الدار العربية للكتاب، [د.ط]، ١٩٨٠م.

٣٦. الجامع الصحيح، محمد بن إسماعيل البخاري، مراجعة: الشيخ محمد علي القطب، والشيخ هشام البخاري، المكتبة العصرية، بيروت، طبعة جديدة، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٣٧. الجامع الصحيح سنن الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢١هـ، ٢٠٠٠م.

٣٨. الجامع لأحكام القرآن، محمد بن أحمد القرطبـي، تحقيق: د. عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٧هـ، ٢٠٠٦م.

٣٩. الحركة الأدبية والفكرية في تونس، محمد الفاضل بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م.

٤٠. حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر، عبد الرزاق البيطار، حققه: محمد جة الطيار، دار صادر، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٤١. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد سيد جاد الحق، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الثانية، ١٣٨٥هـ ، ١٩٦٦م.

٤٢. دلالة القرآن المبين على أن النبي ﷺ أفضل العالمين، عبد الله بن صديق الغماري، طبع على نفقة الشيخ إسماعيل جمال الحريري، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٣. الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، إبراهيم بن علي بن محمد بن فرحون، تحقيق: د. محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث، القاهرة، [د.ط]، [د.ت].

٤٤. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي، بيروت، ط١، ١٤٢٠هـ، ١٩٩٩م.

٤٥. الروض الأنف في شرح السيرة، أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي، تحقيق: عبد الرحمن الوكيل، دار الكتب الحديثة، مصر، [د.ط]، [د.ت].

٤٦. الروض المعطار في خبر الأقطار، محمد بن عبد المنعم الحميري، دار القلم، بيروت، [د.ط]، ١٩٧٥م.

٤٧. سبل السلام في شرح بلوغ المرام، محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، دار ابن الجوزي، الدمام، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٤٨. سنن ابن ماجه، محمد بن يزيد القزويني، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، [د.ط]، ١٣٩٥هـ، ١٩٧٥م.

٤٩. سنن الدار قطني، علي بن عمر الدارقطني، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار المعرفة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

٥٠. السنن الكبرى، أحمد بن الحسين البيهقي، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٤٢٤هـ، ٢٠٠٣م.

٥١. السنن الكبرى، أحمد بن شعيب أبو عبد الرحمن النسائي، تحقيق: د.عبد الغفار سليمان البنداري، وسيد كسروي حسن، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٥٢. سير أعلام النبلاء، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة التاسعة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣م.

٥٣. السيرة النبوية، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة، بيروت، [د.ط]، ١٣٩٦هـ، ١٩٧٦م.

٥٤. السيرة النبوية، أبو محمد عبد الملك بن هشام الحميري المصري، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، دار الجيل، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٥٥. الشعر والشعراء، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٦هـ، ١٩٩٦م.

٥٦. شيخ الجامع الأعظم محمد الطاهر بن عاشور، د.بلقاسم الغالي، بيروت، دار ابن حزم، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٥٧. صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، علاء الدين علي بن بلبان الفارسـي، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسـة الرسـالة، بـيروت، الطبعـة الثالثـة، ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م.

٥٨. صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، دار ابن حزم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ، ١٩٩٥م.

٥٩. طبقات الشافعية، تقي الدين ابن قاضي شهبة، عالم الكتب، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م.

٦٠. طبقات الشعراء، عبد الله بن محمد المعتز بالله، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، دار المعارف، مصر، الطبعة الثالثة، ١٣٧٥هـ، ١٩٥٦م.

٦١. الطبقات الكبرى، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري المعروف بابن سعد، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٦٢. طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تحقيق: سليمان بن صالح الخزي، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

٦٣. طبقات المفسرين، الحافظ شمس الدين محمد بن علي الداوودي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٦٤. طبقات المفسرين، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ، ١٩٨٣م.

٦٥. طبقات النحاة واللغويين، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تحقيق: د. محسن غياض، مطبعة النعمان، النجف، [د.ط]، [د.ت].

٦٦. طبقات فحول الشعراء، محمد بن سلام الجمحي، قرأه وشرحه: محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة [د.ط]، [د.ت].

٦٧. علم المناسبات في السور والآيات، د. محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية: مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٦٨. عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير، فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس الشافعي، تحقيق: الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

٦٩. عيون الأنباء في طبقات الأطباء، أحمد بن القاسم بن أبي أصيبعة، دار مكتبة الحياة، بيروت، [د.ط]، ١٩٦٥م.

٧٠. غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد بن الجزري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٣٥١هـ، ١٩٣٢م.

٧١. فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير، محمد بن علي الشوكاني، حققه وخرج أحاديثه: د. عبد الرحمن عميرة، دار الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٦هـ، ٢٠٠٥م.

٧٢. فقه السنة، السيد سابق، المكتبة العصرية، بيروت، [د.ط]، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٧٣. فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، عبد الحي بن عبد الكبير الكتاني، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، ١٩٨٢م.

٧٤. في ظلال القرآن، سيد قطب، [د.م]، [د.ط]، [د.ت].

٧٥. القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروز آبادي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

٧٦. القسطاس في علم العروض، محمود بن عمر جار الله الزمخشري، تحقيق: د. فخر الدين قباوة، مكتبة المعارف، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤١٠هـ، ١٩٨٩م.

٧٧. قلائد الجمان في التعريف بقبائل عرب الزمان، أحمد بن علي القلقشندي، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتب الحديثة، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٣٨٣هـ، ١٩٦٣م.

٧٨. قواعد الترجيح عند المفسرين، حسين بن علي بن حسين الحربي، دار القاسم، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٦م.

٧٩. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ، ١٩٨٤م.

٨٠. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، جار الله أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م.

٨١. اللباب في علوم الكتاب، أبو حفص عمر بن علي بن عادل الحنبلي، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ،١٩٩٨م.

٨٢. لباب النقول في أسباب النـزول، جـلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، دار إحياء العلوم، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

٨٣. مجلة جوهر الإسلام، محمد الحبيب بن الخوجة، عدد ٣-٤، سنة ١٩٦٧م.

٨٤. مجمع الحكم والأمثال، أحمد قبش، مطبعة دار العروبة، دمشق، [د.ط]، ١٩٧٩م.

٨٥. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، للحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ ،١٩٨٦م.

٨٦. المحصول في علم أصول الفقه، فخر الدين محمد بن عمر الرازي، دراسة وتحقيق: د. طه جابر فياض العلواني، من مطبوعات جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ، ١٩٨٠م.

٨٧. المحلى، علي بن أحمد بن حزم، تحقيق: لجنة إحياء التراث العربي، دار الجيل + دار الآفاق، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

٨٨. مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٦٧م.

٨٩. مدخل لتفسير التحرير والتنوير لابن عاشور، ، محمد بن إبراهيم الحمد، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع: الرياض، الطبعة الأولى، ١٤٢٨هـ ، ٢٠٠٧م.

٩٠. مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع، جلال الدين السيوطي، تحقيق: د. محمد بن عمر بازمول، المكتبة المكية: مكة المكرمة، الطبعة الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

٩١. المستدرك، الإمام أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، تعليق الإمام الذّهبي، دراسة وتحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩٠م.

٩٢. المستطرف في كل فن مستظرف، اء الدين محمد بن أحمد الأبشيهي، حققَه وعلق عليه: إبراهيم صالح، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٩م.

٩٣. المصنف، أبو بكر عبد الرزاق بن همام الصنعاني، تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، منشورات ا لس العلمي، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، ١٩٧١م.

٩٤. معجم الأدباء، ياقوت الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

٩٥. معجم البلاغة العربية، د. بدوي طبانة، دار المنار، جدة + دار الرفاعي، الرياض، الطبعة الثالثة، ١٤٠٨هـ، ١٩٨٨م.

٩٦. معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار الكتب العلمية، بيروت، [د.ط]، ١٤١٠هـ، ١٩٩٠م.

٩٧. معجم الشعراء الجاهليين، د. عزيزة فوال بابتي، دار صادر، بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م.

٩٨. المعجم الكبير، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، حققه وخرج أحاديثه: حمدي عبد ا يد السلفي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠٢م.

٩٩. معجم المؤلفين المعاصرين، محمد خير رمضان يوسف، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، [د.ط]، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠٠. معجم المؤلفين، عمر كحالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ، ١٩٩٣م.

١٠١. معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مكتبة لبنان، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.

١٠٢. معجم المطبوعات، اليان سركيس، مطبعة سركيس، مصر، [د.ط]، ١٣٤٦هـ، ١٩٢٨م.

١٠٣. المعجم المفصل في علوم البلاغة، جمع وترتيب: د.إنعام عكاوي، مراجعة: أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ، ١٩٩٢م.

١٠٤. المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، [د.م]، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ، ١٩٧٢م.

١٠٥. معيار العلم في فن المنطق، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، دار الأندلس، بيروت، الطبعة الرابعة، ١٩٨٣م.

١٠٦. مفاتيح الغيب، أبو عبد الله محمد بن عمر الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الثالثة، [د.ت].

١٠٧. مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيـق: صـفوان عـدنان داوودي، دار القلم، دمشق + الدار الشـامية، بـيروت، الطبعـة الثالثـة، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٢م.

١٠٨. مقاصد الشريعة الإسلامية لشيخ الإسلام الإمام الأكبر محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الحبيب ابن الخوجة، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية: قطر، [د.ط]، ١٤٢٥هـ، ٢٠٠٤م.

١٠٩. مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر بن عاشور، تحقيق ودراسة: محمد الطاهر الميساوي، دار النفائس: الأردن، الطبعة الثانية، ١٤٢١هـ، ٢٠٠١م.

١١٠. المنمق في أخبار قريش، محمد بن حبيب البغدادي، صححه وعلق عليه: خورشيد أحمد فاروق، مطبوعات دائرة المعارف العثمانية، الهند، الطبعة الأولى، ١٣٨٤هـ، ١٩٦٤م.

١١١. المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، دار صادر، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

١١٢. الموافقات في أصول الفقه، أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمي الشاطبي، دار ابن عفان ، الخُبر، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، ١٩٩٧م.

١١٣. النبأ العظيم نظرات جديدة في القرآن، د. محمد عبد الله دراز، دار الثقافة، الدوحة، [د.ط]، ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.

١١٤. نظم الدرر في تناسب الآي والسور، برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي، خرج آياته وأحاديثه: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ، ١٩٩٥م.

١١٥. ـاية الأرب في فنون الأدب، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب البكري النويري، صححه: أحمد الزين، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، القاهرة، [د.ط]، [د.ت].

١١٦. الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفَدي، فرانز شتايز، ألمانيا، [د.ط]، ١٤١١هـ، ١٩٩١م.

١١٧. وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن خلكان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الفكر، بيروت، [د.ط]، [د.ت].

ا ـلات والدوريات:

- مجلة الأحمدية، دبي، العدد (١١)، جمادى الأولى، (١٤٢٣هـ،٢٠٠٢م).
- مجلة جوهر الإسلام، محمد الحبيب بن الخوجة، العدد (٣-٤)، سنة (١٩٦٧م).

فهرس الموضوعات